العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
منشئها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالا للأفراد و ١٠٠ لغيرهم
الإعلانات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٨ ريالات

ج ٣، ٤ س ١٥ رمضان وشوال ١٤٠٠ هـ — تموز، آب (يوليو - أغسطس) ١٩٨٠ م

أيام في بعض بلاد الشام

— ١ —

[عنيت بالشام المعنى الشامل المعروف عند علماء العرب ، وحديث اليوم يتعلق بأحد أجزائه وهو (بلاد الأردن) ولم تكن الرحلة التي أتحدث عنها الآن اول رحلة الى تلك البلاد ، بل خامسة تلك الرحلات ، وقد أتحدث عن بعضها في مناسبة أخرى] .

واستجابة لدعوة كريمة من الإخوة القائمين على شؤون (المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام) في (الجامعة الأردنية في مدينة عمّان) كان السفر من الرياض في صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جُمَادَى الأولى سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠/٤/١٥م) في الساعة التاسعة والنصف ، واستغرقت مدة الطيران ساعتين ونصفاً ، إذ كان الوصول الساعة الثانية عشرة بتوقيت الرياض (الحادية عشرة بتوقيت عمّان) .

جعلتُ نُصْبَ عَيْنَيَّ في هذه الرحلة أن أُقابل أيَّ أمر يعترضني بعدم الاكتراث ، وأن لا أتأثر ولا أهتم بشيء من الأمور التي قد تؤثر في النفس . وفي مطار الرياض أخرجت القلم لملء بطاقة جواز السفر ، فأزلت غطاءه ، ثم أعدته في جيبي بدون غطاء ، وكان مداده سائلاً فلم أشعر وأنا جالس في مكتب مدير المطار إلا بأحد الإخوة يشير إلى آثار المداد التي قد انتشرت فوق صدري . فأخرجت القلم وقلت للإخوة الجالسين : لا بأس ، ليعرف من رآني أنني أحسن الكتابة ، وحمدت الله على أن أم محمد لم تر ما وقع لما اختارته لي من الثياب . مع اني استنفدت — فيما يبدو لي — ما لديها من العتاب في المرة الأولى التي لم يمض لها سوى يوم واحد .

وفي الطائرة كنت آخرَ من دخلها وآخِرَ من خرج منها ، وكان الجلوس بين أخوين ملآ ما بين كرسيِّيهما بأمتعتهما بحيث سلمت الحقيبة الصغيرة التي أحملها للمضيفة التي أرشدتني الى هذا المكان ، وقعدت القُرفصاء فوق الكرسي الذي لم يبق لي منه سوى وسطه ، فقد أُحيط جانباه بذراعين عبلتين من جسمين وهبهما الله من البسطة ما جعلني أبدو بينهما كَفرُّوج بين أبويه !!

استرخيت في مكاني فغلبني النعاس ، حتى كرم أحدهما بإيقاظي بعد أن وُضع طبق الطعام أمامي ، غير أنني لم استطع مغالبة النوم حتى أيقظني النداء للهبوط في مطار عمّان ، بعد أن رفع الطعام ولم أطعمه !

ها هي الطائرة تحاول اختراق طبقات المُزْن المتراكم ، وها هي الأرض تزدان ببقع خُضْرٍ ، تتخللها مياه جارية تعكس أشعة الشمس حين تبدو من خلال السحاب صَفَاءها ، لقد جاد هذه البلاد الغيثُ فهذه آثاره بدت واضحة بعد أن قَرُبْنا من الأرض ، فالتِلاع جاريةٌ ، والغُدرانُ منتشرة ، والمطر لا يزال يتساقط رذاذا .

وعلى سُلَّم الطائرة لم آسَ لِمَا أصابني منه . وذكرتُ الحديث الشريف : «إنه حديث عهد بربه» ولكنني غفلت عن الاختلاف العظيم بين جو البلاد التي قدمت منها ، وجوِّ هذه البلاد التي حللت فيها . إن فرق درجة الحرارة بين البلدين في هذا اليوم عشرون درجة ، فهي هنا أربع درجات مئوية ، بينا كانت في الرياض نحو ٢٥ .

وفي داخل الجمرك تناولت حقيبة ملابسي ، حامداً الله على أنني خففتها مما أكرمتني به أم محمد من ملابس ثقيلة ، ووقفت في وسط صفٍ طويل ، فلم أشعر إلا وأنا آخر الصف ، بحيث لفت نظر موظف الجمرك الذي استفهم عن وقوفي فأجبته (حتى يصلني الدور) فخجل من نفسه — فيما يظهر — وقال لسيدة كانت قد وضعت حقيبتها أمامه : (هذا قبلك) ! ولقد صدق فلقد كنت قبل كثيرين غيرها ! ورفض أن ينظر حقيبتها قائلاً : (معك شيء للجمرك) ؟ فكان الجواب : ملابسي وأوراقي الخاصة ، فأشار لي بالخروج ، وخارج الباب — والرذاذ المشوب بالثلج يتساقط — تناول الحقيبة رجل يقاربني في السن قائلاً : (تكسي) ! فقلت : نعم !! فأخذ يعدو يميناً وشمالاً الى غير

قَصْدٍ ، فاضطرني المطر إلى دخول (صالة المستقبلين) وجعلت أرْمُقُهُ من بعد ، فلما فقدني رجع إلى الباب الذي خرجت منه ، ووضع الحقيبة على مقربة منه ووقف تحت السقف ، فأسرعت لأخذها بعد أن ازدان ظهرها ببقع ناصعة البياض من الثلج . ولما حاول أخذها مني قلت له : الى أين ؟ فخجل . واعتذر عن وجود (تكسي) ولكنه طلب أجرة عما فعل ! وبقيت في (الصالة) حتى أبصرت شرطياً قريباً مني فطلبت منه إرشادي الى سيارة أجرة ، وما أسرع من حضور رجل تناول الحقيبة ووضعها في سيارة كانت واقفة أمام باب (الصالة) وسار ينهب الأرض نهباً والمطر يهطل بغزارة ، مشوباً بالثلج وكنت بجواره ، قال : الأخ من تونس — قالها بصيغة التقرير لا الاستفهام — فأجبت : كيف عرفت ؟! فقال : من لهجتك ، أنا أعرف الناس من لهجاتهم . يا ليتني مثلك ! هذا ما أجبته به فأضاف : والأخ مسافر لدمشق متى ؟! لا أدري يا أخي لكنني أحب البقاء في هذه البلاد الطيبة حتى أستريح من تعب الرحلة . صحيح صحيح ! ! أنا من الخليل ولي سنين ما زرت أهلي ، (الملاعين) ما يمنعوننا ولكنهم (يبهذلوننا) وقت الزيارة ! الله يكون في عونكم ! أقبلنا على المدينة وأنا أريد النزول في فندق تختاره لي ! !

ذكرت — وأنا أقول هذا — ما حدث لي قبل عشرين عاماً حين مررت ببلدة معان ، وسكنت في مكانٍ يدعى فندقاً بت فيه كل الليل جالساً في السطح ، أجْرَد كما خرجت من بطن أمي بعد ان افترس جسمي البقُّ ، ولم أجد مخرجاً من ذلك المكان لأن بابه قد أُغلق لئلا يهرب سكانه . صار يسرد لي أسماء الفنادق ، فاكتفيت بأن طلبتُ منه أن يختار أجدَّها وأنظفها ، وعند باب (فندق امبسادور) وقف وأمرني بالبقاء في السيارة حتى يعود إلي ، فلما عاد فتح لي الباب وحمل معي الحقيبة ، ولدى موظف الاستقبال وضعها وطلب أجرة حددها بأربعة دنانير ، فاستوضحت من الموظف هل هي حقه ، فسكت وأجاب صاحبي : هي الأجرة المحددة ، وقد علمت فيما بعد بأنه لم يتقاض أكثر من النصف زيادة على ما يستحقه .

وبعد ملء بطاقة الاستقبال بما تُملأ به عادة سألني الموظف : من أي بلدة في تونس ؟! مع أنه نقل ما كتب من جواز سفري ! !

كان السكن مُرِيحاً ، فكل شيء شاهدته في الغرفة نظيف ، وكان الطعام حسناً وإن لم أتناول منه إلا يسيراً ، ويظهر أن تغير الجو فجأة أثر في صحتي فقد أحسست بصداع شديد ، وبآلام في الجسم ، فتناولت بعض الأدوية ، وأخلدت للراحة حتى قاربت الساعة السادسة صباحاً .

وقد حاولت فتح المِرْناة (التلفزيون) أثناء الليل فلم أُحسن ذلك ، فاكتفيت بسماع كلام لا أفهم معناه مع عدم رؤية المتكلم حتى غلبني النعاس .

(جاك يا مهنّا ما تمنّا)[1] ! ما أَوْسَعَ هذا الفضاء القريب من الفندق وما أجمله ! ! لقد كَسَا أرضَهُ العُشْبُ الأخضر ، واخترقته الطرُق المعبَّدة ، الخالية في هذا الوقت من مرور السيارات . وها هي الساعة قد شارفت السادسة ، ونور الصباح قد انتشر في كل مكان ، والسماء قد حجبتها غلالة بيضاء رقيقة من الغيم ، ومع أن لفع وجهي بَرْد الهواء حين فتحت باب الفندق الخارجي كاد أن يَثْني عزمي عن الخروج لشدته ، إلاَّ أنني أسرعت في المشي ، وأدخلتُ يديَّ في جيبي معطفي ، وسِرْتُ في أول منعطفٍ يَدَعُ الفندق يمينه ، وغالبت لَفْحَ الهواء القارس ، وكان شمالاً شديد البرودة ، مما دفعني الى الانحراف عنه يسيراً ، والسير في منعرجات توصل الى دارات حديثة البناء ، فأبصرت فوق أحدها كتابة ظننتها اسم فندق ، فرفعت رأسي لمحاولة قراءتها وأنا مُتَّجِهٌ نحوها ، حتى كدت أدخل بابها ، لولا أن صَوْتاً أجشَّ غليظاً : (وَيْن يا زَلَمَهْ ! !) صرف نظري عما شغلت به ، بل صرفت كل حواسي ، إنه شرطيٌّ يحمل (رشاشاً) قد أمسكه بيمينه ، وهو مُحْفَوفِزٌ مُتوثِّبٌ ، ولعله توقع مني صيداً ساقه الله اليه ! (هذا فندق نفرتيتي؟!) وكنت قرأت هذا الاسم في مدخل المنعطف . (لا يا زَلَمَهْ هذي السفارة الليبية) . (يا أخي أنا ساكن في ذالك الفندق امبسادور ، ومن عادتي المشي في مثل هذا الوقت ولا أعرف هنا إلا الفندق ، والعتب على النظر ! ! (أنت سوري ، وين هويتك؟) (لا يا أخي أنا

---

(١) القاعدة المتبعة كتابة (تمنّى) هكذا بالياء لا بالألف ، ولكن هناك من متقدمي العلماء من يرى كتابة الكلمة كما تنطق ، وأمر آخر فقواعد الإملاء وضعت وسيلة لصحة النطق بالكلمة ، وليست غاية في ذاتها ، ولهذا فقد أكتب بعض الكلمات بخلاف القاعدة المألوفة دَفْعاً للخطأ في قراءتها .

سعودي وهويتي جواز سفري في الفندق) (توكّل على الله ، وامْش من هنا) ! وسار معي خطوات حتى أبعدت (عن الدَّابّ وشجرته) ! !

أنا طُلَعَةٌ — كثير التطلع الى ما يَلْفِتُ النظر — وكثيراً ما استهواني ما أشاهده من العناوين ، اذا كانت كتابتها جميلة ، أو فيها شيء من الغرابة ، وأذكر أنني صبيحة أوّل ليلةٍ بتُّها في مدينة القاهرة في عام ١٣٥٨ هـ حين بُعِثْتُ للدراسة ، رأيتُ على مقربة من دار البعثة ، وكانت في حي (الحلمية الجديدة) دُكَّاناً كتب فوق بابه (حانوتي الحلمية) ولم أكن أعرف معنى هذه الكلمة ، إذا الحانوت هو الدكان ، فأطَلْتُ الوقوف أمامه ، حتى خرج منه رجل من أقبح من رأيته من الناس خلقة ، وكانتْ أول ساعة خرجت فيها من المنزل ، وقد لبست أجمل ما لديَّ من الملابس ، عقالاً (مقصَّباً) فوق (الشماغ) وعباءة وَبَرٍ ، وحِذاء (نجديّاً) وثوباً جديداً . فلما أبصرني الرجل كانت أول كلمة سمعتها منه : (يا فتاح يا رزاق يا كريم) . أهلاً بشيخ العرب ! ! ثم صار ينادي : (يا بو حنفي يا بو حنفي) فأجابه صوت أجشٌّ ممزوج بسعال متواصل : (حاضر. حاضر ! !) فخرج رجل شبْه عُريان ، قد استرخى بطنه حتى كاد يبلغ قريباً من ركبتيه . فقال صاحبي الأول : (أهُو زبون بَسّ لِسَّع ماشي على رجُوله) . وقال الثاني : (خِدْمة يا شيخ العرب . مستعديين؟ ! — ومطَّ الياء حتى صارت ياءين — داخلتني الريبة من منظرهما ومن كلامهما ، فأسرعت الانصراف ، وعدت الى المنزل .

ولما حدثت الأخ ابراهيم السويل — رحمه الله — بخبري معهما استغرق في الضحك ، ثم قال مازحاً : الحمدلله على السلامة ! !

اتخذت في سيري وجهة أخرى حتى تجاوزت الفندق منحدراً من طريق واسع معبَّدٍ ، وشاهدت أمامي رجلاً بديناً قصيراً قد أقبل نحوي يَعْدُو ، فوقفت حتى تجاوزني وأوشك أن يبلغ الفندق ثم رجع ، فلما حاذاني حاولت مجاراته في العدو ، ولكنه سبقني ، فاتبعته بصري حتى شاهدته داخلاً إحدى الدارات القريبة ، ثم رأيته يدور في حوشها ، فدفعني الفضول الى دخول الحوش ، ولكن كلمة (مَرحباً) نبهتني إلى رجل مسلّح واقف في مكانٍ مخصص له خارج باب الدارة فقلت (أهلاً بالأخ ظننت هذا المكان من الأندية الرياضية ، لأنني رأيت الرجل يركض داخله) ! كان صاحبي هذه

المرة شاباً مشرق الوجه فقال : (هذي السفارة الصينية ، ومن عادة الصِّينيين في الصباح كثرة الجري ، وأنا شفتك تجري مثله ، وأنت ما تعودّت مثلهم ، والطريق هذا ممر للسيارات وهو خطر) . فشكرته بعد أن رحَّب بِي كثيراً حين عرف بلادي ، وأشار الى تلٍّ واسع بقرب الفندق ، لكي اتجه نحوه ، ولكنني لم أكد أخرج من الطريق الممهد حتى غاصت قدماي إلى منتصف الساقَيْن في أرض قد ارتَوت من المطر ، فاضطررت الى خلع حذائي ، وازالة بعض ما علق بهما من الطين بالحصا والعشب ، وحملها والعودة الى الفندق حافياً ، ولكنني كنت أتمتع بقسط كبير من الراحة والنشاط ، والابتهاج . وقديماً وُصِفَت الأردن بأنها أرض غمِقةٌ فقد أورد الأزهريُّ في كتاب «تهذيب اللغة»[1] ما نصه : (وكتب عمر بن الخطاب الى أبي عُبَيدة بن الجرّاح : إنَّ الأُرْدُنَّ أرْضٌ غَمِقةٌ ، وأنَّ الجابية أرضٌ نَزِهةٌ ، فاظهر بمن معك من المسلمين اليها . وقال الأزهري : النَّزِهة البعيدة من الريف والغمِقَةُ : القريبة من المياه والخُضَرِ والنُّزوز ، وإذا كانت كذلك قاربَت الأوْبئة . أما الآن فقد تغيرت حالة هذه البلاد ، فأصبحت الآن أرْضاً نزهة ليست غَمِقةً . وجوُّها في فصل الرَّبيع من أجمل الأجواء وألْطَفها .

الى السفارة : وهي عادة اتبعتها في جميع أسفاري ، حين أقدم بلداً فيه سفارة لبلادنا أبادر بزيارتها ، ففيها قد أجد من الاخوة من أعرفه فيطلعني على ما جَدَّ من أخبار ، وقد أطالع بعض الصحف التي لم أطلع عليها ، وأهم من هذا وذاك أُسَجِّل جواز السفر ، وهذا أمر يتساهل فيه بعض من يسافرون الى خارج البلاد ، ممن لم يفكر فيما يترتب على فقدان جواز سفره من مشقة .

ها هي السفارة ، وها هو الشرطي عندما أراني مُتَّجهاً نحو الباب يعترضني سائلاً عما أريد : أنا سعودي وأرغب زيارة أي موظف هنا . ولكنه يسألني عمن أعرف ! يا أخي أعرف السفير الشيخ ابراهيم بن سلطان . وإذا كانت زيارته ليست ممكنة فها هو جواز سفري أريد تسجيله . فأجاب : السفير غير موجود ، وتسجيل الجوازات في القنصلية ، ووصف موقعها لسائق سيارة الأجرة التي أتيت فيها . وكان الشرطي الواقف عند بابها

(١) ج١٦ ص ١٥٣ .

أكرم من صاحبه ، فلم يعترضني في الدخول ، ولكنني بعد أن صعدت سُلَّماً ليس طويلاً ومع ذلك أتعبني صعوده . وبلغت الباب إذا بصوت أجش يصاحبه وقع أقدام من رجل يحمل بيديه الثنتين خرطوماً يُثجُّ منه الماء بقوة كان يسقي به ما في الحديقة من أشجار ، ويغسل السلم وما حوله : وَيْن رايح ؟ فرفعت جواز السفر بيدي وأنا ألهث من أثر الصعود ، ومن أثر البرد الذي أصابني بالأمس . إنْزل إنْزل ! ! من الباب الخلفي فقلت : يا أخي دَعْني أدخل عند أحد الإخوان لأستريح . ممنوع ممنوع ! فأطلَّ عليه الشرطي ويظهر أنه أشار إليه ليسمح لي بالدخول . ولكنه زاد في لجاجته : ما أحد يدخل ! مع الباب الثاني ! مع الباب الثاني ! ومن ذلك الباب — بعد استدارة طويلة وفي مبنى منفصل عن هذا المبنى — دخلت ، فإذا حوشٌ واسع امتدت فيه صفوف ثلاثة طويلة ، وعدد قليل من رجال ونساء يظهر أنهم فضلوا الجلوس ، إن لم يكونوا سئموا من الوقوف . ذكرني ما رأيت ما شاهدته في السفارة الانجليزية في القاهرة ، كان المراجعون للحصول على سمة دخول أكثر بكثير ممن شاهدت ، ولكن الواحد منهم يقدم جواز سفره وما معه من أوراق ، ويُهيِّء ما تلزم تهيئته من كتابة الايضاحات المطلوبة منه في أوراق مخصصة لذلك ، ثم يناول كل ذلك لأحد الموظفين فيقدم له ورقة صغيرة فيها رقم جوازه . وتحديد الوقت الذي يحضر فيه الى السفارة لاستعادته ، تحديداً دقيقاً ، باليوم والساعة والدقيقة ، فإذا حضر أخذ مجلسه في صالة واسعة قد صفت فيها الكراسي التي يتسع الجلوس عليها لكل المراجعين في ذلك الوقت ، وسرعان ما يسمع صوت النداء بذكر الرقم الذي يحمله ، إذا أتى في الوقت المحدد له . ولقد حدثت الأخ محمد بن غيث مدير جوازات الرياض بهذا ، وتمنيت أن أرى في بلادنا مثل تلك الطريقة التي تحفظ للمرء كرامته ، وتيسر إنجاز أمره ، وتحول دون إرباك الموظفين وإشغالهم عن أعمالهم بكثرة المراجعين ، فوعد خيراً وقال : إن المبنى الجديد لادارة الجوازات رُوعي فيه أن يكون على أحدث نظام ، وأطلعني على أنموذج مصغر له ، وشرح لي طريقة الحصول على سمات الخروج ، للأجانب ولغيرهم . ولكنه لم يستطع أن يصف لي مدى استجابة كل مراجع للتقيد بالأنظمة وتقبّل وسائل تطبيقها !

أبصرت حجرة في جانب الحوش كتب على بابها (الاستعلامات) فزاحمت بعض

داخليها ، ورميت بجسمي على أقرب كرسي . فقد أحسست بقليل من التعب ، وانتابني سعال متواصل ، وبعد استراحة قصيرة ، قربت من شاب رحمته من كثرة إشغال الهاتف له واشتغاله به ، وقدمت له جواز سفري مُبْدياً رغبتي بتسجيله . فقال : لا داعي لتسجيله . فقلت : واذا ضاع مني ؟ فتحدث بالهاتف حديثاً فهمت منه أنه طلب أحداً يبعث معه الجواز إلى مكان آخر . ولم أستطل الوقت فأنا بحاجة الى الاستراحة . فلم أشعر إلا بأحد الإخوة يوجه الي هذا السؤال : هم أخذوا منك في الحدود تعهداً بأنك تسجل هذا الجواز ؟! فاستفزَّني غضباً وتناولت منه الجواز ، وقلت للأخ الجالس على المكتب : أرجو أن تسجل الرقم والتاريخ والاسم عندك في ورقة إذا كان هذا ممكناً ويظهر أنه أراد مني إخلاء الكرسي ففعل ، وناولني الجواز ، فانصرفت !

في مكتب الملحق الثقافي : والأستاذ ابراهيم بن عبدالله بن عمار الملحق الثقافي في هذه البلاد بيني وبينه من الصلة ما يوجب زيارته ، ولحسن الحظ فصاحب السيارة يعرفه في جبل الحسين ، دوّار فراس ، إنه يعرف كل موضع أسأله عنه ، فهو خبير بشوارع عَمَّان و(دوَّاراتها) الأول والثاني . والسابع وهلمَّ جرًّا ، وله سبع عشرة سنة في عمله .

ها هو جبل الحسين وها هي وزارة التجارة والصناعة . وهذا سمو الأمير محمد خارج منها . تلك سيارته السوداء ! منذ يومين مررت مع طريق مسرعا ، لأسبق سيارة مرت بجانبي ، فلما تجاوزتها إذا هي سيارة جلالة الملك . نعم ! جلالة الملك وحده في سيارته . تركني حتى مررت . إنه متواضع متواضع مع كل أحد ! يا أخي أخشى أن نكون تجاوزنا مكتب الملحق الثقافي ! لا ! لا ! ولكننا أخذنا طريقاً آخر (علشان أفرجك على مباني الوزارات ثم ها هو قصر جلالة الملك . أنظر ! أنظر !) . ما شاء الله ! ما شاء الله ! يا أخي لِنَتْرك مشاهدة بقية الوزارات والقصور ليوم آخر ، ولنذهب إلى مكتب الملحق ! : (صحيح صحيح ! وأنا ما (فكيت الريق) تجلس عنده ، تشرب القهوة والشاهي وتنبسط وأنا .. تفضل إنزل ! ولم يشعر الابن الكريم وقد أخفى وجهه بين أوراق يقرأ ما فيها إلا بتحية الواقف أمامه تصرفه فجأة عما هو فيه .

وبعد كرم الاستقبال ، والاتصال بالخطوط السعودية لتحديد سفري يوم الخمس

(٩/٦/١٤٠٠ — ٢٤/٤/١٩٨٠م) وزيارة الأخ الأستاذ عبد الحميد مالكي مدير الخطوط ، فقد عرفت الرجل في الرياض وفي بيروت معرفة رأيت من حق الوفاء لها أن لا أمر ببلدة فيها ثم لا أراه . ولقد عرفت جده الشيخ جمال مالكي في آخر حياته وكان من أجلة العلماء ، وله مؤلفات معروفة في النحو وغيره ، وله ابن هو الأستاذ عبد الغني تزاملنا في الدراسة في (المعهد السعودي) بمكة ، وهو عم الأستاذ عبد الحميد .

كان الأستاذ عبد الحميد بعث برجل يأتي له بتذكرة السفر التي باسمي ، فذهبت معه ، ثم عدت لمكتب الملحق الثقافي الأستاذ ابراهيم الذي أبى كرمه حين أبديت له رغبتي في زيارة (مجمع اللغة العربية في الأردن) إلا ان نذهب معاً .

كنت تلقيت قبل سفري من الرياض من الأستاذ الجليل الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس هذا المجمع كتاباً تجد صورته في موضع آخر (ص ١٧٠) .

فكان عليَّ أن أزور هذا المجمع لأعبر بما أستطيع التعبير عنه من الشكر والاعتراف بالفضل لهاؤلاء الإخوة ، الذين بلغ بهم حسن الظنّ بي إلى إضافة اسمي الى أسماء أجلة العلماء في الشام ومصر والعراق .

وفي (المجمع) كان الاستقبال الحسن من الأستاذ عبد الحميد علي الفلاح من أمناء المجمع ، ومن الأستاذ عبد الرحمن بشناق أحد أعضائه ، وكان الرئيس في (الجامعة) فهو رئيس (قسم اللغة العربية) فيها . وبعد لأيٍ استطعت التخلص من الابن الكريم إبراهيم ، ولم أخبره باسم الفندق الذي أسكنه ، ولكنني وعدته بأن أتصل به في خلال أربع وعشرين ساعة .

كان مما قرأت في الجريدة التي وجدتها صباح اليوم في غرفتي وهي «الرأي» خبران وقفت عندهما طويلاً أحدهما نبأ وفاة الفيلسوف الوجودي المعروف جان بول سارتر — يوم الثلاثاء ٢٩/٥/١٤٠٠ — ١٥/٤/١٩٨٠م ، عن ٧٤ سنة ، بعد صراع مرير مع الشيخوخة والمرض ، على ما جاء في نبأ وفاته ، وبصرف النظر عما أحيطت به آراؤه ونظرته إلى الحياة من غموض فإنه بدون شك من أفذاذ الكتاب الذين برزوا في هذا العصر. أوكما رثاه رئيس الجمهورية الفرنسية ديستان : (كان شعاعاً من أشعة الفكر في

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع اللغة العربية الأردني

مكتب الرئيس



المملكة الأردنية الهاشمية

ص.ب (١٣٢٦٨) - عمان

الرقم : م ل ع/ ١/ ٩٠٠

التاريخ : ٦/ جمادى الاولى / ١٤٠٠هـ.

الموافق : ٢٢ / آذار / ١٩٨٠ م.

سيادة الاخ والزميل الاستاذ حمد الجاسر المحترم

يسرّني أن أبلغكم أن مجلس مجمع اللغة العربية الاردني في اجتماعه السابع والاربعين ، بتاريخ ٢٩/ربيع الثاني / ١٤٠٠هـ. الموافق ١٦/ آذار / ١٩٨٠ م. قد قرّر تعيينكم عضوا مؤازرا فيه ، تقديرا لفضلكم وخدمتكم الجليلة للّغة العربية العزيزة .

وانني اذ أهنئكم بهذا التعيين ، لأرحّب بكم زميلا كريما في مجمعكم الاردني ، متمنيا لكم التوفيق والسعادة .

حفظكم الله

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

نسخة الى الملف الشخصي

عصرنا فخبا) . والموت — وان كان غاية كل حيّ — إلا أنَّ لذكره مرارة في النفس تعصف بها حتى تكاد تصاب بالذهول .

وتَصَدَّرَت تلك الجريدة — كلمات تتضمن تهنئة الأميرة بسمة بنت الملك طلال بن عبدالله بن الحسين بزواجها . وهذا هو الخبر الثاني ، وإن كان بصورة اعلانات تجارية ، وان كان خبر الزواج أياًكان من الأخبار التي لا يوبه لها ، إلا أن زواج أميرة تنتسب الى الأسرة النبوية الكريمة برجل عرف بعصاميته لا بأصالة نسبه من الأمور التي يجب أن تستفاد منها العبرة .

لن أسترسل في الحديث عن الكفاءة في الزواج ، فمن ذا الذي يجهل الأثر الشريف : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» .

ولخبر هذا الزواج ارتباط وثيق بحادثة جَرَتْ في أول عشر الثلاثين من هذا القرن ، فقد قدم من الحجاز إلى بلدة ثَرْمَدَاء في نجد رجلٌ ينتمي إلى تلك الأسرة الهاشمية الكريمة ، يدعى سعد الشريف ، قدم في أول القرن ، فتزوج في تلك البلدة امرأة من أُسْرَةِ آل مُجَيْولٍ ، فولدت له ابنةً ثم عاد الرجل إلى الحجاز ، وفارق زوجته وابنته ، فلما بلغت البنت مبلغ النساء تزوجها رجل كريم النسب من العناقر أمراء بلدة ثَرْمَدَاء يدعى عبد المحسن بن محمد العنقري وقد تولى إمارة البلدة بعد استيلاء الملك عبد العزيز عليها ، فما كان من أحد أعداء هذا الرجل إلا أن أوصل خبر زواجه بابنة الشريف إلى شريف مكة في ذلك العهد عَوْن الرّفيق ، فأخذته النخوة الجاهلية ، وأمر بمنع حجاج الوشم من العودة إلى بلادهم حتى يؤتى بتلك السيدة الهاشمية وتُفْصَل من زوجها قَسْراً ، وتنزع منها ابنتها الطفلة التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها فأُرْغِمَتْ المرأةُ على ذلك وأُخرجت من بيتها وحجزت في بيت آخر وحدها حتى تم تجهيزها وإعادتها إلى والدها في الحجاز ، على أسوأ حالة من القَهْرِ والإذلال .

إن وجه العبرة في الخبرين تَتَجلّى حين يتضح الفرق بين ما حدث في ذلك الزمان وما

زيد (الخيل) الخير

— وفادته ووفاته —

في سنة تسع من الهجرة[1] ، وهي السَّنَةُ التي سُمِّيت سَنَةَ الْوُفُود ، لكثرة وفود القبائل التي وفدت فيها إلى المدينة المنورة ، لتقديم الطاعة للرسول ﷺ .

في هذه السنة — وقيل في السنة العاشرة — قدم زيدُ الخيل ، ومعه رجال من وجهاء قومه من طَيِّءِ ، وكان هو سيِّدهم[2] وكان من الوافدين معه زِرٌّ بن سدُوس النَّبهانيٌّ ، وقبِيْصَةُ بن الأسود بن عامر بن جُوَيْنٍ الْجَرميٌّ ، ومالك بن عبدالله ابن خَيْبَريٍّ — من بني مَعْن وقُعَيْن بن خُليف الطَّرِيفيٌّ .

فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ودخلوا فجلسوا بحيث يسمعون حديث رسول الله ﷺ أو خطبته ، فلما أبصر بهم قال ﷺ : «إنِّي خير لكم من العُزَّى وَلاَتِها ، ومن

يحدث الآن ، وتبرز العِبْرَةُ أكثر وضوحاً حين يشعر المرء بأن تيَّار الحياة أقْوى من أن يُوْقَفَ في مجراه ، ومن الخير كلِّ الخير السيْرُ على قواعد الشريعة السمحة التي وضعت للكفاءة في الزواج ، أسساً ثابتة تصونُ الكرامة للإنسان وتحُول بينه وبين طغْيان العواطف التي تميز بين الناس بمُمَيِّزات لا يقرها عقل ولا دِيْنٌ . «**إن الله قد أذهب نَخْوَةَ الجاهلية ، وفَخْرَها بالآباء ، إنَّما هو مُؤمنٌ تَقِيٌّ ، أَوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ**» .

(للكلام صلة) حمد الجاسر

---

(١) أنظر «العرب» س ١٢ ص ٤٩٧ وس ١٣ ص ٢١٤ وس ١٤ ص ١٤٢ إلى ١٥١ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ص ٤٠١ من «الروض الأنف» .

زيد (الخيل) الخير

— وفادته ووفاته —

في سنة تسع من الهجرة[1] ، وهي السَّنَةُ التي سُمِّيَت سَنَةَ الْوُفُود ، لكثرة وفود القبائل التي وفدت فيها إلى المدينة المنورة ، لتقديم الطاعة للرسول ﷺ .

في هذه السنة — وقيل في السنة العاشرة — قدم زيدُ الخيل ، ومعه رجال من وجهاء قومه من طَيِّءٍ ، وكان هو سيِّدهم[2] وكان من الوافدين معه زِرٌّ بن سدُوس النَّبهانيُّ ، وقبِيْصَةُ بن الأسود بن عامر بن جُوَيْن الْجَرميُّ ، ومالك بن عبدالله ابن خَيْبَريٍّ — من بني مَعْن وقُعَيْن بن خُلَيف الطَّرِيفيُّ .

فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ودخلوا فجلسوا بحيث يسمعون حديث رسول الله ﷺ أو خطبته ، فلما أبصر بهم قال ﷺ : «إنِّي خير لكم من العُزَّى وَلاَتِها ، ومن

يحدث الآن ، وتبرز العِبْرَةُ أكثر وضوحاً حين يشعر المرء بأن تيَّار الحياة أقْوَى من أن يُوْقَفَ في مجراه ، ومن الخير كلِّ الخير السيْرُ على قواعد الشريعة السمحة التي وضعت للكفاءة في الزواج ، أسساً ثابتة تصونُ الكرامة للإنسان وتحُول بينه وبين طغْيان العواطف التي تميز بين الناس بمُمَيِّزات لا يقرها عقل ولا دِيْنٌ . «**إن الله قد أذهب نَخْوَةَ الجاهلية ، وفَخْرَها بالآباء ، إنّما هو مُؤمنٌ تَقِيٌّ ، أوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ**» .

(للكلام صلة) حمد الجاسر

---

(١) أنظر «العرب» س ١٢ ص ٤٩٧ وس ١٣ ص ٢١٤ وس ١٤ ص ١٤٢ إلى ١٥١ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ص ٤٠١ من «الروض الأُنُف» .

الجبل الأسود الذي تَعْبدون من دون الله عز وجل ، ومما حازَتْ مَنَاعٍ [1] من كُلِّ ضَارٍّ غَيْرِ نَفَّاع » .

فقام زيد الخيل — وكان من أعظمهم خَلْقاً وأحسنهم وجْها وشعرا — فقال له النبيُّ ﷺ وهو لا يعرفه : « الحمد لله الذي أتى بك من سَهْلك وحزنك ، وسَهَّلَ قلبك للإيمان » . ثم قبض على يده فقال : « من أنت؟ فقال : أنا زيد الخيل ابن مُهَلْهِلٍ ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّكَ عَبْدُ الله ورَسُولُهُ . فقال له : « بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الخَيْرِ » . ثم قال : « يا زَيْدُ : ما خبرت عن رجل شَيْئاً قَطُّ ، إلا رَأَيْتُهُ دُوْنَ ما خُبرت عنه ، غَيْرَكَ » [2] فبايعه وحَسُنَ إسْلاَمُه ، وكتب له كتابا على ما أرادَ ، وأقطعه قرى كثيرةً منها فَيْدٌ [3] ، وكتب لكل واحد من رجال الوفد عَلَى قَوْمِهِ [4] إلاَّ وَزَرَ ابنَ

---

(١) مَنَاع : اسم لأجأ : سمي بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم ، أو اسم هضبة في جبال طيء ، ويقال : المناعان وهما جبلان . « المناسك » لابي اسحق الهجري ، تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ص ٣٠٨ . وجاء في « الكامل » لابن الأثير ج١ ص ٣٨٨ في سياق الحديث عن يوم البحاميم أو (قارات حوق) أن مَنَاع ذروة أجا ، وقد أوقدوا عليها النار ذلك اليوم ، وفي « معجم البلدان » الياقوت : مناع بوزن نزال ، وحكه من المنع : اسم هضبة في جبل طيء ، ويقال المناعان : وهما جبلان . انتهى أما الجبل الذي يعبدونه فهو الفلس .

(٢) في « سيرة ابن هشام » رواية عن ابن اسحق ، وقال رسول الله ﷺ كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه » .

(٣) تحدث عن (فيد) بتفصيل جميل أستاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر في (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) شمال المملكة بالقسم الثالث ص ١٠٤٧ فقال ما خلاصته : (فيد : بفتح الفاء واسكان الياء المثناة التحتية والدال مهملة من أقدم القرى وأشهرها وكانت من بلاد نبهان من طيء ولكونها كذلك أقطعها الرسول زيد الخيل النبهاني .. واشتهرت بأمرين ، أحدهما إضافتها إلى حمى كان من أشهر الأحماء ، والثاني وقوعها في منتصف طريق الحج العراقي ، وكان الحاج يودعون بها ما يثقلهم من أزوادهم وأمتعتهم فإذا رجعوا أخذوها ، وأهلها مغوثة للحاج ، وكان يضرب المثل بكعكها (الكليجة) ، وتقع فيد في أرض من أكرم نجد ، وكانت في فلاة بين أسد وطيء في الجاهلية ، وهي شرق جبل يدعى الصعانين الواقع جنوب جبل سلمى الشرقي بقرب الدرجة ٣٠— ٤٢ طولاً و١٠ — ٢٧ عرضاً شماليا تقريبا ، والمسافة بين فيد وحائل تقرب من مئة كيل ، وهي الآن قرية كبيرة يقارب عدد سكانها ألف نسمة ، نصفهم بدو رحل وفيها مدرسة ... أهـ . أقول : ومما ينبغي أن ينبه عليه ما ورد في الأغاني في ترجمة زيد (طبعة مكتبة الحياه) ص ٩٤ المجلي ١٦ القسم الأول قوله : (وكتب معه رسول الله ﷺ لبني نبهان بفدك كتاب مفرداً) إذ شواهد الحال تدل على أن المقصود فيد لا فدك .

(٤) في ترجمة زيد في تهذيب ابن عساكر ، أن رسول الله ﷺ أجازهم بخمس أواق من الفضَّة لكل رجل منهم ، وأعطى زيد الخيل اثني عشر أوقية ونشا ، وكانت (هذه الجائزة) أرفع ما يجيز بها .

سدُوس ، فقد قال — (أيْ وزر)— : إني لأَرَى رَجُلاً لَيَمْلِكَنَّ رِقَابَ الْعَرَب ، وَلاَ والله لا يملك رقبتي عَرَبِيٌّ أبداً . ثم خرج إلى الشام ، وتَنَصَّرَ وحَلَقَ رأْسُه .

إِذَنْ فقد أُعْجِبَ النبي ﷺ بشخصية زيد .. ورآى أنَّ ما نقله إليه الرواةُ عَنْهُ مطابق للواقع . ولكنه علِم بما آتاه الله من علم ، أنَّ هذه الشخصية الباذخة التي جمع الله لها من صفات الخيرِ الشَّيْءَ الْكَثِيْرَ ، تُوشِكُ أَنْ ترحل عن الدُّنيا فقال مُتَأَسِّفاً عليه بعد أن غادر مجلسه : «أَيْ فَتى لو لم تدركه أم كُلْبَةَ»؟![1] يعني الحُمَّى ، أو قال : «إنْ نَجَا من آجام المدينة» .

وقد بقي زيدُ الخيرِ ، في مدينة الرسول ﷺ حوالي أسبوعين ، كما صرح هو بذلك شعراً ، حين منصرفه منها :

أُنِيخَتْ بِآجَامِ المَدِيْنَةِ أَرْبَعاً ... وَعَشْراً ، يُغَنِّيْ فَوْقَهَا اللَّيْلِ طَائِرُ[2]
فَلَمَّا قَضَتْ أَصْحَابُهَا كُلَّ بُغْيَةٍ ... وخَطَّ كِتَاباً في الصَّحِيْفَةِ سَاطِرُ
شَدَدْتُ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وشَلِيْلَهَا ... مِنَ الدَّرْسِ والشَّعْرَاءِ والْبَطْنُ ضَامِرُ

وقد كانَ مُدَّةَ إقامته ، عند رسول الله ﷺ ، وبين ظهراني أصحابه مَحَلَّ الحفاوة البالغة والإكرام ، يُفْسِح له الرسولُ الكريمُ في المجلس ، ويُؤْثِرُهُ بما يَجْلِسُ عليه من بساط ، أوْ يَدفع إليه متكآته .. مُصِراً على إيثارِهِ[3] .. ويكتب له ما يُقْطِعُه من هبات

---

(١) الكَلَبُ في الأصل تعلق الشيء بالشيء في شدة ، وشدة جذب . كما هو في «مقاييس اللغة» لابن فارس ، وفيه يقول : ومن الباب كُلْبة الزمان وكَلَبه : شدته . وفي «الروض الأنف» ج٧ ص ٤٨٨ يقول : الكُلْبة شدة الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، فهذه أم كَلْبة بالهاء ، وهي الحُمَّى انتهى .

ويقال للحمى أيضاً (أم مِلْدَم) ، من لَدَمَتِ النائحةُ صدرها ، تَلْدُمُهُ وتَلْدِمُهُ ، وهي تلتدم معناه تضرب صدرها ، والمِلْدَمُ : الْحَجَرُ الذي يُدَقُّ به النَّوى ، وإنما سُمِّيَت الحمى أم مِلْدَم من هذا «النوادر» لأبي مسحل الأعرابي تحقيق عزة حسن . وفي «لسان العرب» أن أم ملدم : الحمى ، وهي كنيتها ، والعرب تقول قالت الحمى : أنا أمُّ ملدم آكل اللحم ، وأمص الدم ، وفيه : إن الميم الأولى مكسورة ، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة .

(٢) في رواية الأغاني ترجمة زيد :

أنخت بآجام المدينة أربعاً وخمسا يغني فوقها الليل الطائر

فتكون مدة إقامته بالمدينة المنورة تسعة أيام فقط .

(٣) روي أن رسول الله ﷺ طرح له مُتَّكأً ، فأعظم أن يتكيء بين يديه ، فرد المتكأ ، فأعاده عليه ثلاثا ، وتقول بعض الروايات : إنه بسط له بساطه ..

وأراضين ، ويُجْزِلُ جَائِزَتَهُ[1] .. فلما شَدَّ رواحله ، وعزم هو ورفقَتُهُ على العودَة إلى ديارهم ، كانتْ حُمَّى المدينة ، التي كانت سائدةً بها تلك الأيام ، قد أنْشَبَتْ أظفارَهَا به ، من حيث يَدْرِي أو لا يَدْري ، ومَضَى لِطِيَّتِهِ ، وطلبَ منْ أصحابِهِ أن يُجنِّبُوهُ ديار قَيْسٍ (من المضريِّينَ) لما كان بينه وبينهم في الجاهلية من حروبٍ ، وهو يُرِيْدُ — بَعْدَ إسلامه — أنْ يَقْضِي على ثَاراتِ الجاهلية ، فلما كان في فَرْدَة[2] وهو ماءٌ لِحَيٍّ من أحْيَاءِ طَيِّءٍ اشتدَّتْ عليه وطأةُ الْحُمَّى ، وأَحَسَّ بدُنُوِّ أجَلِهِ ، فَتَصَوَّرَ حَالَهُ وقد حالَ الْمَوْتُ بَيْنَه وبين أحِبَّتِهِ في دياره ، الذين كانوا في شوق إلى عودته ، وأَنَّ رُفَقَاءهُ سيعودون مع شُرُوقِ الشمس الى وطنهم .. وسيتلقاهم أَهْلُوهُمْ بالفرح الغامر .. وسَيُوَزِّعُونَ الهدايا والأعْطيَاتِ مما حملوا من المدينة .. أَمَّا هُوَ ! .. ليت ما أصابه كان وهو بين أَهْله وذويه في القَفِيل ، وطابة وإرمام ومنشد .. إذَنْ لهانَ الأمْرُ على نفسِهِ .. ولامْتَدَّتْ إلى تَمْرِيضْهِ وَمُوَاسَاتِهِ أيدٍ حَانِيَةٌ رفيقةٌ .. من نسائه أو من محارمه ، ولكانتْ أناملُهُنَّ الناعمةُ المخلصة تُعِيْنُ على التماس الشفاء .. أما هؤلاء النّسوة اللائي بادَرْنَ بمواساته بِفَرْدَةَ .. لَيْتَهُنَّ لَمْ يَعُدْنَهُ وليت أولئك الأحبة الْحانيَات كُنَّ في مكانهن :

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبي ، الْمَشَارِقَ غدْوَةً وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بِفُرْدَةَ مُنْجِدِ ؟!
سَقَى اللهُ ما بَيْنَ القَفِيْلِ فطَابَةٍ فمَا دُوْنَ إرْمَامٍ فما فَوْقَ مُنْشِدِ[3]

(١) تقول بعض الروايات : إن زيد بن مُهلهل أهدى الرسول عليه الصلاة والسلام مخذَماً والرسوب ، وكانا سيفين لصنم طَيِّءٍ الفلس (الروض الآنف ص ٤٤٩ ج٧) ولكن الطبري يذكر في الجزء ٢ ص ٣٧٥ أن علي بن أبي طالب حينما أرسله الرسول ﷺ سرية إلى طيء في ربيع الآخر سنة تسع سبى منهم ، وأخذ السيفين المذكورين ، ويقول ابن الأثير في الكامل : وحملهما إلى رسول الله ص ١٩٤ ج٢ .

(٢) فردة : لا يزال جبل فردة معروفاً في بلاد طيء وإلى جواره ماء وبه قبر زيد ، وهما فردتان تقعان في الطرف الشمـالي الشرقي من سلسلة جبال المِسْمَى (مُحَجِّر) الواقعة غرب أجا ، يفصل بينهما منخفض رملي ممتد من النفوذ ، يتجه صوب الغرب ، ثم ينقطع بقربهما ، والجنوبية منها تدعى فردة الشموس ، والغربية تدعى فردة النظيم . ص ١٠٣٢ و١٠٣٣ من المعجم الجغرافي — القسم الثالث — حمد الجاسر ، وفيه ص ١٠٢٨ : (أن زيداً تنكب عن أرض قيس ، وهم قيس عيلان ، وبلادهم كانت تحيط بشرقي المدينة ، ولا شك أنه أخذ طريق خيبر فتيماء ، ثم عطف من طريقها المتجه إلى بلاد طيء ، حيث يمر بماء فردة التي لِجَرْم من طيء ، بغرب الجبلين المعروفين الآن بهذا الاسم ، وهناك قضى نحبه رضي الله عنه . انتهى .

(٣) القَفِيل : ضبطها ياقوت بفتح القاف وكسر الفاء على وزن فعيل ، واستشهد بهذا البيت وقال عنه الأستاذ حمد الجاسر في «المعجم الجغرافي» القسم الثالث الخاص بشمال المملكة : «والقفيل لا يزال معروفاً ، وهو طرف بارز

هُنَالِكَ لَوْ أَنِّي مَرِضْتُ لَعَادَنِي عوائِدُ ، مَنْ لَمْ يُشْفَ مِنْهُنَّ يُجْهَدِ !
فَلَيْتَ اللَّواتي عُدْنَنِي .. لَمْ يَعُدْنَنِي وَلَيْتَ اللَّواتي غِبْنَ عَنِّي عُوَّدِي !

وقد قضى زَيْدٌ بِفَـرْدَةَ ، بعد أن تمرض بها سبعة أيام ، وأقام عليه المناحَةَ سبعاً ، صَاحِبُهُ قَبِيْصة بن الأسود ، ثم بعث راحلته ورحله ، مع ما كتب له رسول الله ﷺ من أراضي ، إلى رهطه بَني نَبْهَان بِفَيْد ، فلما رأتْ زوجته الراحلة خالية من صَاحِبِها ، أشعلت النار في الرحل[1] في سَوْرَةِ غضب ويأس ، وكانت على جاهليتها ، وقالت :

أَلاَ إِنَّـمَا زَيْدٌ لِكُـلِّ عَظِيـمَةٍ إِذَا أَقْبَلَت أَوْبَ الْجَرَادِ رِعالُها

= من حَرَّة أُبْضة ، مرتفع ، وهو طرفها الشرقي الشمالي مطل على قرية فيد ، وأهل تلك الجهة ينطقون بضم القاف (القُفيل) .

أما طابة فاكتفى ياقوت بأن قال : موضع في أرض طيء وأورد هذا البيت ، أما الأستاذ حمد الجاسر فأضاف في معجمه عن شمال المملكة ، بأنها الآن قرية في سفح جبل سلمى من الجنوب ، جنوب مدينة حائل بنحو ١٣٠ كيلاً .

أما (ارمام) فهذا الموضع عند (ياقوت) بفتح الهمزة ، وفيه إشارة أنه واد ، وأنه على مقربة من فيد . أما هو عند البكري فبكسر الهمزة ، وقد استشهد ببيت زيد ورواه هكذا :

سقى الله ما بين القفيل فطابة فبرقة إرمام فما حـول منشـد

(والبرقة) في (لسان العرب) الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل) فهي عند (زيد) برقة واحدة ، أما عند جرير برقتان : ولقد ذكرتك والمطي خواضع مثل الجفون ببرقتي إرمام .

وهذا هو الشاهد الثاني من شواهد البكري ، في سياق إرمام ، وقد استعرض الأستاذ الجاسر قول ياقوت والبكري وغيرهما ، وكأنه مال إلى فتح الهمزة ، فقد ضبطه بذلك واستنتج أنه يقع غرب فيد ، بميل نحو الجنوب حيث الاتجاه إلى الحجاز بـ٣٨ ميلاً ، وفيما لخصه ما يدل على وجود رَحبتين (برقتين) في واد واحد ، الشرقية منه هي إرمام والغربية وادي الخلة .

أما مُنْشِد ، وضبطه بضم الميم وشكون النون وكسر الشين ، فقد ذكر الأستاذ الجاسر في معجم شمال المملكة أنه يطلق على مواضع منها ما ذكره زيد في بيتـه هذا ، وأورد البكري رواية (مرشد) وليس فيه ولا في ياقوت ما يعين على تحديده إلا أن الأستاذ الجاسر يستنتج أنه يقع جنوب سلمى لأنَّ المواضع التي ذكرها تقع جنوبها أو شرقها .

(١) يقول ابن هشام : فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه التي قطع رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار ، وهذا يدل على أنها اقتصرت في الحرق على كتب الاقطاع .. ولم تحرق الراحلة أو الرحل .. أما الاقطاع ، فيقول صاحب الروض الأنف ص ٤٤٩ ج٧ (وكتب له كتاباً على ما أراد ، وأطعمه قرى كثيرة منها فيد) وفيد هي بلدة زيد .

لـقَاهُمْ فَمَا طَاشَتْ يَدَاهُ بِضَرْبِهِمْ ولا طَعْنِهِم، حتَّى تَوَلَّى سِجَالُهَا

وقيل : إن رسول الله ﷺ ،لما بلغه ضَرْبَ امْرأة زَيْدِ الرَّاحِلَةَ بِالنَّار ، واحتراق ما كتبه له قال : «بُؤْساً لبني نبهان» ! ! ولعل رسول الله ﷺ يقصد بذلك إبداء تَأَسُّفِهِ على ما أضاعَتْهُ على نفسها وعلى ولدِ زَيْدٍ وذويه ورهطه من أرضين.

* * *

ولنا أَنْ نَتَطَلَّع متسائلين عن حياة زيد ، مُدَّةَ بقائه في المدينة المنورة ، في صُحْبَةِ الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ..

سَنَجِد في كتب السيرة والتاريخ ، نُتَفاً صغيرة من الأخْبار ، هنا وهناك ، نَعُدُّهَا وَمَضَاتٍ خاطفةً ، تُنْبِيءُ على أَيَّةِ حالٍ ، على اهتمام زيد بأمور دينه ، أو على بُعْدِ هِمَّتِهِ ، وعُلُوِّ قدره ، عند رسول الله ﷺ ..

على أننا ينبغي أَنْ ندرك أنَّ الرِّوايات كثيراً ما تتداخل في أمر الوفود الذين كثر عَدَدُهُمْ في سنة تسع أو عشر ، وأنَّ ما يُرْوى في مصدر بحَقِّ وَفْدٍ ما ، أو رَجُلٍ من وفد ، قد يُرْوَى في مصدر آخر ، بحقِّ وَفْدٍ آخر أو رَجُل فيه .. على أنَّ هذا لا يَنْفِي الاستفادة من الحادثة في حَقِّ من رُوِيَتْ عنه .. وهناك من وسائل الترجيح ما قد يُعِيْنُ ــ أَحْياناً ــ على تحديد عَزْوِ الحادثةِ إلى صاحبها .

يُرْوى في تكريم الرسول ﷺ لِزَيْدٍ أَنَّهُ علمه دَعَواتٍ إذَا دعا بها وَجَدَ الإجابَةَ ، وإذا استَسْقَى بها وجَدَ السُّقْيا .

وقيل في مناسبة إيراد أم كُلْبَةَ (حُمَّى المدينة) أنه طلب من رسول الله ﷺ أنْ يُعْطِيهُ ثلاث مِئة فارسٍ ليغُيِرَ بهم على قصور الرُّومِ ، فقال له الرسول : «أيُّ رَجُلٍ أَنْتَ يا زَيد ، ولكنَّ أم كلبة تَقْتُلُكَ» !

وقيل : إن رسول الله ﷺ قال له : «إنَّ فيك لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله عز وجل . قال : ما هما يا رسول الله ؟ قال : «الأَنَاةُ والْحِلمُ» . فقال زيد : الحمدلله الذي جبلني

على ما يحب الله ورسُوله[1] .

ويغتنم زَيْدٌ وُجُودَهُ في صحبة رسول الله ﷺ ، فيسأله عَمَا يَهُمُّهُ من أمر دينه ، ومن ذلك استفتاؤُهُ عما تَصِيدُهُ الكلاب الْمُدَرَّبَةُ من الصَّيْدِ أَحَلالٌ هو ؟ قال متسائلاً : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما ذريح ، والآخر يكنى أبا دجانة[2] ، ولهما أكلب خمسة تصيد الظباء ، فما ترى في صيدهم ؟ فأنزل الله عز وجل : «**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ ، وما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِين تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ، فَكُلُوا مِمّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ، واذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ، واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**»[3] .

لذلك قال له رسول الله ﷺ ، مُعَلِّماً : «إذا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ ، فَاذْكُر اسْمَ الله عليهِ ، وكُلْ مِمَّا أَمْسَكَ» . أو كما قال عليه السلام[1] .

وأرى مما يتَّسِقُ مع خُلُقِ زيد ، أن يهتم أيضاً بسؤال رسول الله ﷺ عن مكارم الأخلاق .. ها هو يقول :

— يا رسول الله .. إني أتيتك من مسيرة تسع .. أَنْصَبْتُ راحلتي ، وأسهرت ليلي ..

---

(١) (١) «الأغاني» : ترجمته .

(٢) في بعض الروايات : (جداية) .

(٣) الآية ٤ من سورة المائدة ، ويراجع تفسيرها من ابن كثير ، حيث وردت رواية السؤال من عدي بن حاتم ولكنّ عدياً لم يكن مقدمه مع زيد . وتراجع القصة في «الحيوان» للجاحظ ص ٢٠٤ ج٢ تحت عنوان (مسائلة زيد الخيل للرسول الكريم) واستدل بها الجاحظ على شأن الكلب ، لاهتمام وافد كريم ، أحسن الرسول عليه الصلاة والسلام وفادته والثناء عليه ، بالسؤال في أمره .. وأنا أقول أن الدلالة لا على شأن الكلب ، وإنما للصيد وما يتعلق به . تراجع الإصابة أيضاً الترجمة ٢٤٢٩ .

وفي كتاب «الحيوان» أيضاً ص ٢٠٥ ج٢ أسماء الكلاب التي يملكها الرجلان .

وفي الحيوان أيضاً ص ٣٠٨ ج٢ في سياق ما تنبأ به رسول الله ﷺ من إصابته بحمى المدينة قوله (أبرح فتى إن لم تدركه أم كَلبة) وأبرح هنا كلمة تعجب ، وأورد صاحب الحيوان أيضاً ص ٣١٧ ج١ أنه ﷺ حينما استأذنه وزر بن جابر ، وهو ممن وفد مع زيد من وفود طيء : (نعم إن لم تدركه أم كلبة) .

(٤) «الأغاني» : ترجمة زيد الخيل .

وأَظْمَأتُ نهاري .. أسألك عن خصلتين ..

ــ سَلْ ..

ــ أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟

فقال رسول الله ﷺ :

ــ كيف أَصْبَحْتَ ؟

ــ أصبحت أُحِبُّ الخير وأهلَه ، ومنْ يَعْمَلُ به ، فإن عملتُ به أُثْبِتُ بثوابه ، وإنْ فَاتَني منه شيء حزنت عليه ..

فقال له النبي ﷺ :

ــ « هذه علامة الله فيمن يريد ، وعلامته فيمن لا يريد ، ولو أرادك بالأُخْرَى لَهَيَّأَكَ لها ، ثم لا يُبالي اللهُ في أيّ وادٍ هَلَكْتَ[1] » .



وبعد ..

وَقَبْلَ أَنْ أَتْرُكَ قِصَّةَ وِفَادَةِ زيدِ الْخَيْرِ مع نفرٍ من قومه على رسول الله ﷺ ، لا بُدَّ مِنْ وَقْفَةِ تأمُّلٍ في بعض ما ورد من أخبارٍ ، تُدْرِجُ اسْمَهُ ضِمْنَ الْمُؤَلَّفة قُلُوبُهُمْ .. فَلْنُلْقِ نَظْرَةً فاحِصَةً على هذه الأَخبار ..

هناك خبر يورد اسْمَهُ ضِمْنَ أولئك الرجال الذين ، أعطاهم رسول الله ﷺ أعطيات جزيلة ، مما أفاء الله عليه يوم حُنَيْنٍ .. ونحن نجد اسماء الْمُؤَلَّفَةِ قلوبهم ، ذلك اليوم ، في كتاب شامل هو « فتح الباري بشرح البخاري »[2] فنجده يقول : وذكر ابنُ الجوزيّ فيهم زَيْدَ الْخَيل ، و.. يعدد أسماء أخرى ..

وإذا افترضنا صحَّة الرواية .. فلنا أن نتساءَلَ : هل كان زَيْدُ يَوْمَهَا مُسْلِماً ؟! لأنَّ

(١) «الإصابة» وأسد الغابة» : ترجمته .

(٢) ص ١٠٩ ج٩ طبع مصطفى البابي ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُم جماعة أسلموا إسلاماً مَبْدَئِيّاً ضَعِيفاً .. هذا حسب التعريف المشهور ..

إذا كان قد اسلم يوم حُنَيْنٍ ، وهو في سنة ثمان من الهجرة .. فإنَّ وفادته بعد ذلك في سنة تسع أو بعدها ، تكون لتأكيد اسلامه .

لكِنَّ قصة لقائه بالرسول وسؤاله عن اسْمِهِ ، ثم تسميته زيد الخير .. وسرور الرسول ﷺ بمقدمه .. لَتَدُلُّ على أنه لم يكن قد أسلم من قبلُ ..

أَمَّا إذا كان قد أُعْطِيَ ما أُعْطِيَ ، يوم حُنَيْنٍ وهو لم يُسْلِمْ بعد .. رغبةً في اجتذابه إلى الإسلام ، وهذ رَأْيٌ آخرُ يقول به بعض المؤرخين في تفسير المؤلَّفةِ قلوبهم آنذاك .. فلا يزال الرَّدُّ الأَوَّلُ قائماً ، فإنَّ قصة اللِّقاءِ الذي تَمَّ بينه وبين رسول الله ﷺ ، تُصَوِّرُهُ لِقَاءً لأَوَّلِ مرة .. فلم يبقَ على افتراض صحته بالنسبة لزيد الخيل إلا أن يكون قد أُرْسِلَتْ إليه هِبَةٌ ، وهو في بلاده ، أو على الأقل دون أن يتمكن من رؤية رسول الله ﷺ ، وهذا يبدو افتراضاً بعيداً ..

وخبر آخر يدرج اسمه أيضاً ضِمْنَ المؤلفة قلوبهم ، وهو خَبَرُ الذُّهَيْبَةِ .. وخلاصته أن علي بن أبي طالب ، ذهب إلى اليمن ، وأرسل من هناك إلى رسول الله ﷺ الذُّهَيْـبَةَ .. أي ذهبا لم يخلص من شوائبه ، فقسمه الرسول ﷺ بين أربعة من المؤلفة قلوبهم ، وهذا الخبر في «صحيح البخاري» ، وفيه تصريح باسم زيد الخيل ، ونصه :

(بَعَثَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ في أَدِيْمٍ مَقْرُوظٍ ، لم تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِها ، قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وأَقْرع بْنِ حابِسٍ ، وزَيْدِ الخيل ، والرابع إمَّا عَلْقَمَةَ وإمَّا عامِرُ بْنُ الطفيل . الخ[1] .

---

(١) الحديث طويل ، أنظر ص ١٢٩ ج٩ من «فتح الباري» طبعة مصطفى البابي سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م ، وجاء في الشرح : (ذهيبة : تصغير ذهبة ، وكأنه أَنَّثَ على معنى الطائفة أو الجملة ، وقال الخطابي : على معنى القطعة ، وفيه نظر لأنها كانت تبرا ، وقد يؤنث الذهب في بعض اللغات ، وفي معظم النسخ من مسلم بذهبة : بفتحتين بغير تصغير ، وقوله (مقروظ) أي مدبوغ بالقرظ ، وقوله (لم تحصل من ترابها) أي لم تخلص من تراب المعدن ، فكأنها كانت تبرا وتخليصها بالسبك .

وهكذا نَجِدُ اسْمَ زَيْدِ الخيل ، في هذا الحديث وارداً في صلب «صحيح البخاري» وليس في شروحاته .. كما أن عنوان الحديث هو (بَعْثُ عليٍّ بن أبي طالب وخالِد بنِ الوليد ، رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجَّة الوداع) .

فإذا كان وصولُ تِلْكَ الذُّهيبة ، أثناء وجودِ زَيْدِ الخير في المدينة ، مُدَّةَ وفادته ، وقد طالت كما علمنا بعض الوقت ، وكانت حركةُ الوفود نَشِطَةً ، فإنَّ اجتماع الصَّنادِيد الأربعة فيها أمْرٌ وارِدٌ .. ويدل إعطاءُ الرسول ﷺ ، لزيد الخيل منها ، على إمْعَانٍ منه ﷺ في تكريمه ، وتحبيبه في الإسلام ، ولا يدل بالضرورة ، على ضَعْف إسلامه ، فقد دلَّت شواهدُ وفادته على صدْقِ يقينه ، وثباتِ قَلْبِهِ على الإسلام ..

كما لا تدُلُّ هذه القِصَّةُ ، ولا سابِقَتُها على لقاء سابق قد تم بين الرسول ﷺ وزيد الخيل وإن الخبر المشهور في وفادته ، ليدلُّ في أكْثَر مِنْ مَوْضِعٍ ، على أنه كان اللِّقاءَ الأول[1] كما كان اللِّقَاءَ الأَخِيْر .

ويَبْدَو أنَّ عمرَ بْنَ الخطَّاب ، رضي الله عنه ، كان معجباً بشخصية زيد ، فقد كان بينهما حوار طويل ، نَمَّ عن اهتمام عمر رضي الله عنه ، به وبقومه ، كما دل على أنَّ زَيْداً رضي الله عنه ، كان حينما يَغُضُّ من شأنِ نفسه بين قومه ، يَرْفَعُ مِنْ شأنِ رِجالٍ بارزين في قبيلته ، فيتمدَّحُ بهم وبِخِصالهم فيعددهم ويعدد فضائلهم .

وسأعود — إن شاء الله — الى هذا الحديث بشيء من التفصيل .

* * *

الرواية السابقة التي أوردتها في وفاته عند عودته من وفادته ، وفي الطريق إلى بلده هي المشهورة .. التي تناقلتها أكْثَرُ المصادر .. على أنَّ هناك رواية أخرى ، تشير إلى أنه بقي الى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بل قيل الى آخر عهد خلافته[2] .

---

(١) في «تهذيب ابن عساكر» في ترجمة زيد ، قول رسول الله ﷺ حينما جاء ليسلم على الرسول :
— تقدم يا زيد .. فما رأيتك حتى أحببت أن أراك .
وذلك في خبر وفادته ، مما يدل على أنه ﷺ لم يره من قبل .

(٢) قال صاحب «الإصابة» في ترجمته ، بعد إيراد الرواية الأولى ، وقيل : بل مات في خلافة عمر . وقال صاحب «أسد الغابة» بعد ايراد قصة وفاته المشهورة : وقيل بل توفي آخر خلافة عمر .

وقَدْ نَجِدُ من الروايات ، ما يذكر امتداد عُمرِهِ إلى عهد عمر ، بل إلى آخر عهد عمر .

فإنَّ صَاحِبَ «الأغاني» يروي أن رسول الله ﷺ بعثه لقتال رئيس تَغْلِبَ الذي يقال له الْجَزَّار ، عندما أبى الإسلام ، وامتنع منه ، وأنَّ زيداً مضى اليه يقاتله لما أبى الإسلام ، وقال في ذلك :

صَبَحْتُ حَيَّ بَنِي الْجزَّارِ دَاهِيةً ما إنْ لِتَغْلِبَ بَعْدَ الْيَوْمِ جَزَّارُ
نَحْوِي النِّهَابَ ونَحْوِي كُلَّ جَارِيَةٍ كأنَّ نِقْبَتَها فِيْ الْخَدِّ دِيْنَارُ[1]

كما أن صاحب «الاصابة» يذكر له بَيْتَيْن من الشعر بعث بهما إلى أبي بكر ، في حروب الرِّدَّة :

أُمَامَ أما تَخْشَيْنَ بِنْتَ أَبِي نَصْرٍ فَقَدْ قَامَ بِالأَمْرِ الْجَلِيِّ أَبو بَكْرِ
نَجِيُّ رَسُولِ الله ، في الْغَارِ وَحْدَهُ وَصَاحِبُهُ الصِّدِّيقُ في مُعْظَمِ الأَمْرِ[2]

ولكنَّ الروايةَ المشهورة هي وفاته بِفَرْدَةَ أثناء عودته الى بلاده ، ولعل ما قيل عن قتاله للجزَّار ، أو الشعر الذي بعث به لأبي بكر ، لعلهما لأحد من أولاده الشعراء .. وقد رُوِيَت هاتان الروايتان بصيغة (يُقال) التي لا يخفى ما فيها من تضعيف ..

ومما يؤيد وفاتَهُ إثْرَ قُفُولِهِ من وفادته على الرسول ﷺ ، أنَّهُ لَمْ يُرْوَ له أيُّ حديث .. ولو امتدَّ به الْعُمُرُ بعد ذلك ، لاتَّسَعَ له الزَّمَنُ برواية شيء مما رأى أَوْ سَمِع في مدينة الرسول الكريم[3] .

واذا لم يكُنْ في وُسعِ الباحثِ أَنْ يُعيِّن عُمُرَ زَيدِ الخير — رضي الله عنه — حين

(١) «الأغاني» : (ترجمة زيد الخيل) .
(٢) «الإصابة» : ترجمة زيد .
(٣) جاء في ترجمته في «الإصابة» قال ابن أبي حاتم : ليس يُروى عنه حديث .

مدينة عُنَيْزَة

– ٢ –

وهذه يقال لها الآن (عنز) بالتكبير وتسمى (عنز الترمس) إضافة إلى (الترمس) في شمال القصيم وتقدم رسمها قريباً.

وقال لغدة الاصبهاني وهو يعدد مياه بني وبر: ومن جبالهم القرنان: قرنا عنيزة، وعنيزة: ماءة كانت لربيعة.

أقول: بنو وبر هم بنو وبر بن الأضبط بن كلاب وبلادهم تقع في عالية نجد إلى الجنوب الغربي من ضريَّة بعيدة عن القصيم. وبنو ربيعة بن الأضبط من بني كلاب: وبلادهم بعيدة عن منطقة القصيم التي فيها مدينة عُنَيْزَةَ ثم قال لغدة: فيها — أي عنيزة هذه — بئر يقال له: أسْت كلب قال الوهبي:

قد كنت ريّان عن است الكَلْبِ ... وعن مقام فوقها مُجبِّي

وقالت الوهبية وزُوِّجَتْ في العراق:

لماءٌ من (عنيزة) لم يُصَبَّحْ[1] ... أحبُّ إليَّ من عسل العراق[2]

(١) لم يُصَبَّح: لم يمزج بلبن، وغيره.

(٢) بلاد العرب ص ٢١٠.

وفاتِهِ لأَنَّ تاريخَ مَوْلِدِهِ مجهول، فإنه يستطيع أنْ يستنتج أنه لم يَمُتْ وهُوَ هَرِمٌ.. فقد دَلَّتْ أوصافُهُ يوم قدومه في وفادته مع جماعة من قومه، أنه كان ذَا فَتاءٍ وَرُواءٍ[1] وإنني أرجّح أنه كان حوالي الستين من عمره.. وذلك على وجه التقريب..

عبد العزيز الرفاعي

(١) قال الرسول ﷺ: «وأي فتى..» الخ.

مدينة عُنَيْزَة

– ٢ –

وهذه يقال لها الآن (عنز) بالتكبير وتسمى (عنز الترمس) إضافة إلى (الترمس) في شمال القصيم وتقدم رسمها قريباً .

وقال لغدة الاصبهاني وهو يعدد مياه بني وبر : ومن جبالهم القرنان : قرنا عنيزة ، وعنيزة : ماءة كانت لربيعة .

أقول : بنو وبر هم بنو وبر بن الأضبط بن كلاب وبلادهم تقع في عالية نجد إلى الجنوب الغربي من ضريَّة بعيدة عن القصيم . وبنو ربيعة بن الأضبط من بني كلاب : وبلادهم بعيدة عن منطقة القصيم التي فيها مدينة عُنَيْزَةَ ثم قال لغدة : فيها — أي عنيزة هذه — بئر يقال له : أسْت كلب قال الوهبي :

قد كنت ريّان عن است الكَلْبِ وعن مقام فوقها مُجبِّي

وقالت الوهبية وزُوِّجَتْ في العراق :

لماءٌ من (عنيزة) لم يُصَيَّحْ[1] أحبُّ إليَّ من عسل العراق[2]

(١) لم يُصَيَّح : لم يمزج بلبن ، وغيره .

(٢) بلاد العرب ص ٢١٠ .

وفاتِهِ لأَنَّ تاريخَ مَوْلِدِهِ مجهول ، فإنه يستطيع أنْ يستنتج أنه لم يَمُتْ وهُوَ هَرِمٌ .. فقد دَلَّتْ أوصافُهُ يوم قدومه في وفادته مع جماعة من قومه ، أنه كان ذَا فَتاءٍ وَرُواءٍ[1] وإنني أرجّح أنه كان حوالي الستين من عمره .. وذلك على وجه التقريب ..

عبد العزيز الرفاعي

(١) قال الرسول ﷺ : «أي فتى ..» الخ .

فعنيزة المذكورة في هذا البيت والكلام الذي سبقه ليست هي التي أصبحت «مدينة عنيزة الآن» .

وقال القالي : قرأت على أبي بكر — يعني ابن دريد — للشَّمَّاخ ، ويقال : انها لرجل من بني فزارة :

رأيت وقد أتى نجران دوني ليالي دون أرجلنا السَّديرُ
لِلَيْلَى بالعنيزة ضوء نار تلوح كأنها الشعرى العبُورُ
إذا ما قلت أخمدها زهاها سوادُ الليل والريحُ الدَّبُورُ[1]

وأنشد السُّكَّري عن أبي مُحَلِّم لسليمان بن عيَّاش وكان لِصًّا من قصيدة[2] :

يقرُّ بعيني أن أرى بين عصْبَةٍ عِراقيةٍ قد جُزَّ عنها كِنابها
وان أَسْمَعَ الطُّرَّاق يلقون رُفْقَةً مُخَيَّمة بالسِّيِّ ، ضاعت ركابُها
أتيح لها بالصَّحْن بين (عنيزة) وبُسْيان ، أطلاس جُرود ثيابها
ذئاب تعاوتْ مِنْ سُلَيْمٍ وعامر وعَبْسٍ ، وما يلقى هناك ذِئابُهَا

والدليل على أن المراد عنيزة أخرى غير التي في القصيم أنه قرن ذكر هذه بِبُسْيان وبسيان في أرض بني جُشَمٍ من هوازن في منطقة ليست بعيدة من ركبة في عالية نجد وبعيدة كل البعد عن القصيم .

ثم نذكر بيتي مهلهل المشهورين الذين ورد فيهما ذكر (عنيزة) وسارع كثير من الناس إلى اعتقاد كونهما واردين في (عنيزة) هذه التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم اليوم . مع أن أبا الفرج الأصبهاني رحمه الله قد ذكر في الاغاني في سياق كلامه على حرب البسوس موضع عنيزة في مكان ناء عن مكان مدينة عنيزة . قال : وكان أول تلك الأيام (يوم عنيزة) وهي عند (فلجة) فتكافئوا فيه لا لبكر ولا لتغلب وتصديق ذلك قول مهلهل :

---

(١) الأمالي ج ٢ ص ٢٠١ . وهي في الحماسة البصرية ج ٢ ص ٩٤ للشماخ أو أخيه مزود .
(٢) ياقوت : بُسْيان .

كأنا غُدوة وبني أبينا بجنب (عُنيزة) رَحَيا مدير
ولولا الريح أسمع مَنْ بِحَجْرٍ صليل البيض يُقْرع بالذُّكور[1]

أقول : فلجة التي ذكر أبو الفرج أن (عنيزة) هذه عندها واقعة إلى الغرب الجنوبي من ضَرِيَّة فيما بينها وبين الدفينة وقد أصبحت معروفة في الإسلام بسبب كون طريق حاج البصرة إلى مكة يمر بها وهي المنزل الثالث بعد ضربة ، والمنزل الأول بعد ضرية هو الأبرقان اما المنزل الثاني فهو جديلة ، كما أوضح ذلك الإمام أبو اسحاق الحربي .

و(فلجة) تغير اسمها فأصبحت تسمى الآن «الخضارة»[2] .

ولا تزال (عنيزة) هذه معروفة هناك باسمها القديم (عنيزة) ويدل على ذلك كونها قريبة من الذَّنائِب المشهورة في الحرب المذكورة فهي — أي الذنائب — تقع إلى الجنوب من (عنيزة) هذه وترى منها أي : إذا كنت في عنيزة رأيت الذنائب ، وتقع إلى الغرب من بلدة عفيف وقد ذكرها الشيخ سعد بن جنيدل فقال :

عُنيزة : هضيبة سويداء صغيرة لها امتداد منطرح في الأرض ، تقع غرباً شمالياً من بلدة عفيف ، على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً ، في بلاد الروقة من عتيبة التابعة لإمارة عفيف[3] .

ويدل على بعد موقع (عنيزة) هذه عن القصيم قربها من فلجة التي أصبحت تسمى (الخضارة) في الوقت الحاضر ان الامام الحربي ذكر عدد منازل حاج البصرة فذكر أن المنزل السادس عشر هو ضريَّة وأن السابع عشر هو الأبرقان وان الثامن عشر هو الجديلة ، والتاسع عشر هو فلجة وان المنزل العشرين هو الدثينة[4] .

ومعلوم أن الدثينة هي التي تسمى الآن الدفينة بالفاء وهي كانت محطة معروفة من

---

(١) الأغاني ج ٥ ص ٤١ (طبعة دار الكتب)
(٢) راجع معجم العالية : رسم «الخضارة»
(٣) معجم العالية (حرف الخاء)
(٤) كتاب المناسك ص ٦١٢ — ٦١٣

محطات طريق السيارات بين الرياض والحجاز ، وأنها بعد عفيف إلى جهة الحجاز فأين ذلك من القصيم ؟

وكما ذكر مهلهل بن ربيعة يوم (عنيزة) ورد ذكر (عنيزة) في شعر شاعر يقال له أوس بن حارثة بن لام قال الهمداني : إنه قال ذلك يَمُنُّ على خولان بنصرة مَذْحج لقضاعة على بني ربيعة[1] :

ونحن ضربنا الكبش من فرع وائل ... بأسيافنا حتى اشتكىٰ ألم الخَدِّ
غداة لقيناهم بسفح (عنيزة) ... بكل جنيب الرجل والأجنب الوَرْد
بما اجترمت فينا وجَرَّتْ قُضاعةٌ ... علينا ، فسرنا بالخميس وبالبُنْدِ

وقال عبد المسيح بن عسلة من شعراء الجاهلية في يوم عنيزة هذا[2] :

غدونا إليهم والسيوف عِصيُّنا ... بأيماننا نفلي بهنّ الجماجما
لعمري لأشبعنا ضباع (عنيزة) ... إلى الحول ، منها والنُّسُوْرَ القشاعما[3]

ويوم عنيزَة هذا اليوم في الجاهلية الذي ورد ذكره في شعر مهلهل بن ربيعة يذكرنا بيوم آخر يقال له (يوم عنيزة) ورد في شعر لشاعر إسلامي هو شبيب بن البرصاء من شعراء الحماسة ، قال من قصيدة في حماسة أبي تمام[4] :

لعمري لقد أشرفت (يوم عنيزة) ... على حاجة لو شَدَّ نفسي مريرها
تبيّنُ أعقابُ الأمور إذا مضت ... وتقبل أشباها عليك صدورها
إذا افْتَخَرَتْ سعد بن ذبيان لم تجد ... سوى ما أتينا ما يعدُّ فخورُها
ألم تر أنا نور «قوٍّ»[5] وانما ... يُبيِّن في الظلماء للناس نورها

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ .

(٢) المفضليات ص ٣٠٤ .

(٣) القشاعم : جمع قشعم وهو المسنّ من النسور .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ص ١١٢٤ .

(٥) قو : عدة مواضع وقد فسر المرزوقي ذلك بأنه يريد انهم نور لأهل «قو» وقد رأيت في مصدر آخر غير المرزوقي «قوم» بالميم . وهنالك موضع كان يسمى «قوا» في القصيم في الزمن القديم حققت موضعه في حرف القاف وسيأتي ان شاء الله .

على أن البيت الذي فيه ذكر يوم عنيزة روى من قصيدة لشاعر جاهلي اسمه عوف بن الأحوص من بني جعفر بن كلاب قال من قصيدة في المفضليات[1] :

لعمري لقد أشرفت يوم (عُنَيزةٍ) على رغبةٍ لو شَدَّ نَفْساً ضميرها[2]
ولـكـنَّ هُـلْكَ الأمر إلاَّ تُـمـرَّه ولا خير في ذي مِرَّة لا يُغيرُها[3]

ومن الواضح أنه اياً كان قائل البيت فإن يوم عنيزة هذا هو غير يوم عنيزة الوارد في شعر مهلهل إلا أنه من المستبعد لنا جداً أن يكون المراد به « عنيزة » التي أصبحت مدينة عنيزة والله أعلم .

وأورد ياقوت « عنيزتين » وقال : تثنية الذي قبله — يعني عنيزة — وقال : قال العمراني : هو موضع آخر ، والذي أظنه انه موضع واحد كما قالوا : في عماية عمايتان ، وفي رامة رَامتان ، وأمثالها كثيرة . والله أعلم ، قال بعضهم :

أقرين ، إنَّك لو رأيت فوارسي بـعُـنـيـزتين إلى جوانب ضـلـفـع

هكذا قال ياقوت واستشهد بهذا البيت على رسم « عنيزتين » فإذا كان انشاده البيت صحيحاً كان من المحتمل أن المراد بضلفع هنا ضلفع الذي في القصيم أي الضلفعة ، وعُنيزتان هنا هما جبلا عَنْز وعنيزة وهما جبلان يقعان إلى الغرب من الضلفعة ويرى أكبرهما وهو عَنْزٌ من القارة التي تسمى حمار الضلفعة ولكن الذي يجعل المرء لا يستطيع أن يجزم بذلك هو أن هذا البيت ورد ضِمْنَ قصيدة وفيها « عمايتان » تثنية « عماية » بدلاً من عنيزتين تثنية « عُنَيْزة » وعماية — كما هو معروف — جبل كبير مشهور يُتَحَصَّنُ به وهو بعيد عن منطقة القصيم إلى جهة الجنوب .

ويكون ضلفع الذي مرت به عمايتان في الشعر هو جبل ضلفع الواقع قرب بلدة « رنية » وليس ضلفع القصيم . ومِمَّن ذكر الشعر بلفظ « عمايتين » ابن حبيب[4] وجاء

---

(١) المفضليات ص ١٧٨ والشرح من حاشيتها .

(٢) لو شد نفسا ضميرها أي : لو اشتد العزم . يقول : كنت عزمت على أن أغير عليهم وامكنتني الفرصة ثم فترت .

(٣) الاتمره : الا تحكمه . وأصل الامرار ، إحكام الفتل . يغيرها : من الإغارة وهي شدة الفتل (بالفاء) .

(٤) المحبر ص ٣٥١ .

اسم (عُنَيْزات) بصيغة جمع عُنَيْزة ولكنها ليست بعنيزة هذه التي أصبحت مدينة فيما أظن ، وذلك في هذا الرجز الذي أنشده الخليل[1] :

ما شربت بعد طَويٍّ القَريق
بين (عنيزات) وبَيْنَ الخرْبق
مِنْ بَلَلٍ غَيْرَ النّجاء الأَدْفَقِ

و(عُنَيْزات) أخرى أورد ذكرها ياقوت وليست في القصيم قال : وقيل : الشعث و(عنيزات) قَرْنان صغيران ، بين السُّوارقية والمعْدن[2] .

ومعلوم أن المراد بالمعدن في هذه الجملة هو معدن بني سليم ، الذي أصبح يسمى الآن (مهد الذهب) أو المهد بدون اضافة ، والسوارقية لا تزال معروفة باسمها القديم إلى الغرب من المهد فيما بينه وبين المدينة المنورة .

ايضاح :

رأيت من زعم أن عنيزة التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته بقوله :

ويوم دخلت الخِدْرَ خِدْرَ (عُنيزة) فقالت لك الويلات إنك مُرْجلي

المراد بها عنيزة هذه التي في القصيم ، ويفسر قول امرىء القيس فقالت : بأن الضمير فيه يعود على محبوبته وليس على عنيزة التي ذكرها في هذا البيت وقد رأيت في تكملة الصغاني توجيه إلى هذا الرأي ، لذلك لا بد من إيضاح أن المقصود من (عنيزة) في معلقة امرىء القيس هي فتاة اسمها (عنيزة) وهي ابنة عم لامرىء القيس . روى قصتها شاعر مشهور هو الفرزدق فيما حكاه عنه الانباري . ونُعقب بعد ذلك بما ذكره الصغاني قال الفرزدق : حدثني جدي وأنا يومئذ غلام حافظ لما أسمع ، أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه يقال لها (عُنَيْزة) وانه طلبها زمانا فلم يصل اليها ، فكان مُحْتالا لطلب الغرَّة من أهله ، فلم يمكنه ذلك حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٤٩٥
(٢) معجم البلدان رسم «شعث»

وذلك أن الحيَّ ارتحلوا فتقدم الرجال وخلَّفُوا النساء والعبيد ، فلما رأى امرؤ القيس ذلك تخلف بعد قومه فكمن في غيابة من الأرض حتى مرّ به النساء ، فإذا فتيات فيهن (عُنيزة) فلما رأين الغدير قلن : لو نزلنا في هذا الغدير واغتسلنا ليذهب عنا بعض الكلال ، فقالت احداهن فافْعلن .. فنزلن ونَحَّيْنَ العبيد عنهن ودخلن الغدير ، فأتاهُنَّ امرؤ القيس مُخَاتِلاً وهن غَوافِل . فأخذ ثيابهن وهُنَّ في الغدير ، ثم جمعها وقعد عليها وقال : والله لا اعطي جارية منكن ثوبها ، ولو ظَلَّتْ في الغدير إلى الليل حتى تخرج كما هي (...) فتكون هي التي تأخذ ثوبها .

ثم ذكر أنه ذبح لهن ناقته وأنهن بعد ذلك تقاسمن متاع راحلته كل واحدة حملت بعضه ، وبقيت (عنيزة) لم يُحَمِّلْها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : يا بنت الكرام ، ليس لك بُدٌّ من أن تحمليني معك ، فإني لا أُطيق المشي ولم أَتَعَوَّدْهُ فحملته على بعيرها ، فكان يميل اليها ، ويدخل رأسه في خدرها (...) فإذا مال هودجه قالت : يا امرأ القيس ، قد عَقَرْت بعيري ، حتى إذا كان قريباً من الحي نزل فأقام .. فقال في ذلك شعراً منه .. ثم أورد معلقته التي منها فيما يتعلق بعنيزة :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزة فقالت : لك الويلات انك مُرْجِلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها : سيري ، وأرخي زمامه ولا تُبعديني من جَناكِ المُعَلَّلِ
فَمِثْلُكِ حبلى قد طرقت ومُرْضِعٌ فألهيتها عن ذي تَمائِم محْوِلِ(1)

وبعد إيضاح هذه النقطة عن الفرزدق فيما نقله عنه الأنباري ننقل نَصَّ الصغاني : قال في التكملة :

وعُنَيْزة : هضبة سوداء بالشَّجي ببطن فُلَيج ، وإنما سُمِّيَ الشَّجيْ بها ، وهو بطن فُلَيج وإياها عنى ابن حبيب حيث روى بيت امرىء القيس :

ويوم دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالت : لك الويلات إنك مُرْجِلي

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٤ وما بعدها .

وقال : هكذا الرواية . قال : والدليل على أن عنيزة في هذا البيت موضعٌ قوله :

أفاطِم مهلا بَعْضَ هذا التَّدلُّل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجمِلْي

قال ابن الكلبي : هي فاطمة بنت العُبَيْد بن ثعلبة بن عامر ، وعامِرٌ هو الأجدار بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة[1] .

وفي كلام الصغاني من الغريب غير القول بأن (عنيزة) في شعر امرىء القيس اسم موضع القول بأن (عنيزة) هضبة سوداء بالشجي ببطن فليج بالتصغير إذ فليج الذي ذكره ورد في أكثر النصوص (فلج) بالتكبير.

وأيًّا كان الأمر فإن (عنيزة) في بيت امريء القيس هذا إذا صح أنها موضع ليست بعنيزة هذه التي أصبحت مدينة عنيزة ، اذْ لا دليل يدل عليه لا سيما إذا عرفنا أن عنيزة من أسماء النساء عند العرب القدماء كما قال الأزهري : وعُنيزة من أسماء النساء : تصغير عَنَزَة أو عَنْزَة[2] .

وذكر الشيخ سعد بن جنيدل في إحدى العنيزات الأخرى ويدل ذلك على أنها لا تزال تسمى بهذا الاسم وقد تكون إحدى العنيزات القديمة المجهولة الموقع التي ورد ذكرها في أحد النصوص القديمة التي سبق إيرادها قال :

عُنَيْزة : بعين مهملة مضمومة ونون موحدة مفتوحة ، وياء مثناة ساكنة ، ثم زاي معجمة مفتوحة ثم هاء كأنه تصغير عنز : هضبة سويداء صغيرة تقع في ضفة وادي الرشاء الغربية غرب جبل ثهلان[1] في بلاد عتيبة التابعة لإمارة الدوادمي تبعد عن مدينة الدوادمي غرباً ما يقرب من تسعين كيلاً[2] .

---

(١) التكملة والذيل والصلة ج ٣ ص ٢٨٦

(٢) تهذيب اللغة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣) ثهلان : أصبح اسمه ذهلان بالذال وهو اقع الى الغرب من بلدة الشعراء ملاصقا لها .

(٤) معجم العالية (حرف العين)

وهذه جملة من الشواهد الشعرية التي ورد فيها ذكر عنيزة ولكننا لا نستطيع الجزم بأن المراد بها عنيزة القصيم أو غيرها لعدم وجود قرينة تدل على تعيينها ونذكرها لعل أحدا من الباحثين يهتدي إلى تعيين عنيزة المرادة فيها قال أحدهم[1] :

أَلاَ هَلَكَ امرؤٌ ظَلَّتْ عليه ... بِجنْبِ عُنَيْزَةٍ بَقَرٌ هُجودُ[2]
سَمِعْنَ بِمَوْته فَظَلَلْنَ نَوْحاً ... قِياماً ما يَحِلُّ لَهُنَّ عُود

على أنه يمكن القول باحتمال أن تكون كلمة «جنب» محرفة عن كلمة «خبت» فإذا كان الأمر كذلك فإنه يرجح أن يكون المراد عنيزة القصيم لكونها تقع في مكان منخفض بالنسبة إلى ما حولها لأنها كانت روضة تنتهي إليها السيول كما قدمنا . ولكون «خبت» عنيزة ورد ذكره في عنيزة القصيم .

وقال الطِّرماح بن حكيم الطائي[3] :

ظُعُنٌ تَجاسَرُ بين حَزْمِ عُوَارِضٍ ... وعُنَيْزتين ، ربيعُهُنَّ الأغْيَدُ[4]
بأغَنَّ كالحُولاَء ، زَانَ جَنَانَهُ ... نُورُ الدكادِك سُوقُهُ تَتَخَضَّدُ[5]

فذكر عنيزتين ، تثنية عنيزة إلا أن «عوارض» واقع في بلاد غطفان إلى الغرب من بلاد طيء في المنطقة التي تقع إلى الشمال من عقلة الصقور إلى النقرة .

وقال الشَّمَّاخ بن ضرار يذكر محبوبة له تسمى «الميلاء» من قصيدة[6] :

على أن للميلاء اطلال دمنةٍ ... بأسْقُفَ تُسْديها الصَّبا وتُنِيرها

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣٧٠ وهي في الأصمعيات ص ٢٧٣ وفيه بشط عنيزة ونسبها لامرأة .

(٢) كنى عن النساء بقوله : بقر هجود وعَبَّر عن امساكهن عن الطعام بقوله : ما يحل لهن عود أهـ من المرزوقي .

(٣) ديوانه ص ١٣٢ .

(٤) الظعن : النساء في الهوادج . وتجاسر : تسير ، والأغيد : الناعم من النبات .

(٥) باغن : أي : بعشب أغن ، وهو الذي تسمع لمرور الريح بين أغصانه غُنَّة ، والحولا من الناقة كالمشيمة للانسان لون ماءها أخضر . والدكادك ما استوى وتلبد من الرمل .

(٦) ديوانه ص ١٦١ — ١٦٢ .

وخَفَّتْ خباها من جنوب (عُنيزةٍ) كما خَفَّ من نبل المرامى جفيرها
فإن خفت الميلاء عسفان أو دنت لحرة ليلى أو لبدر مصيرها
لِيَبْكِ عَلَى الميلاءِ منْ كان باكياً إذا خرجتْ منْ (رَحْرَحَان) خُدُورُهَا

ومن شعر مجنون ليلى الذي أورده الأصبهاني[1] :

فلو كنت إذْ ازمعت هجري تركتني جميعَ القوى ، والعقل مني وافرُ
ولكن ايامي بحقل (عنيزةٍ) وبالرَّضْم أيامٌ جناها التَّجَاوُرُ

وقال آخر وادخل عليها الألف واللام[2] :

لعمري لضَبٌّ بالعنيزة صائفٌ تضَحِّى عَرادا فهو ينفخ كالقَرِمْ[3]
أَحَبُّ الينا أن يجاور أرضنا من السمك البُنِّيِّ والسلجم الوخِمْ[4]

وقال نُصَيْبُ[5] :

جعلن ذروء البرْق برق عنيزة شمالاً ، وعن ايمانهن العواند

قال الشيخ ابن بليهد رحمه الله : عنيزة المذكورة في بيت نصيب جبل أسود في وادي الرِّشاء قريب العُويْند الواقع في عالِية نجد[6] ، وهذا البيت المنسوب لامريء القيس :

تراءت لنا يوماً بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص

وقال المعلوّط السَّعْدي[7] :

---

(١) الأغاني ج ٢ ص ٤١ .
(٢) الحيوان ج ٦ ص ٨٦ — ٨٧ .
(٣) صائف : دخل في زمان الصيف والعراد : ضرب من النبات .
(٤) البنى : نوع من السمك ، والسلجم : اللفت .
(٥) البكري : رسم العوائد ص ٩٧٨ .
(٦) صحيح الأخبار ج ٥ ص ٢١٠ .
(٧) ذيل الأمالي والنوادر ص ٨٠ .

نعر الخليط نوى عليك شَطُونا   وأراد يوم (عنيزةٍ) ليبينا
غَيْرَان شَمَّصَه[1] الوشاة فنَفَّروا   وحشا عليك عهدتهن سكونا
ان الظعائن يوم حزم عنيزة   أبكين يوم فراقهن عيونا
غَيِّضْنَ من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت، من الهوى ولقينا

فذكر حزم عنيزة إلى جانب ذكره عنيزة دون اضافة . ومراده بيوم عنيزة هنا وقت في عنيزة وليس يريد يوماً من أيام الحرب اذ هو يتحدث هنا عن محبوبته كما هو ظاهر.

كما ورد ذكر حزم عنيزة في شعر لشاعر سعدي آخر هو عريف بن ناشب[2]

ليالي ترعى الحزم حزم عنيزة   إلى الصلب يندى روضه فهو يأرج

وديار بني سعد كانت في صدر الإسلام بعيدة عن القصيم اذ هي تقع على مقربة من الخليج العربي إلى الشمال من الجبيل والى الجنوب من الكويت على وجه التقريب.

وقال البكري : عُنيزة : بضم أوله وبالزاي المعجمة على لفظ التصغير : قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم . وذلك الوادي يسمى الشجِّي . والشجي : سمى بذلك لأنه شجي بعنيزة صارت في وسطه قال الفرزدق وذكر قِدراً .

أنخنا اليها من حضيض عنيزة   ثلاثا كذود الهاجريِّ رواسيا

بنو هاجر من بني ضَبَّة لهم إبل سود ، شبَّه بها تلك الأحجار لسوادها والخرج متصل بعنيزة يدل على ذلك قول الجعدي المذكور في رسم «القِمْرى» .

أقول : يبدو لي أن جميع ما ذكر هنا من الأوهام ما عدا قوله : والخرج متصل بعنيزة الخ اذ ذلك صحيح والقمرى هي القاع الذي يسمى الآن قاع الخرما وخريمان وتقع إلى الغرب من الشقيقة التي تقع إلى الغرب الجنوبي من عنيزة كما سبق في حرف الخاء . فأول الوهم فيه قوله : إن عنيزة قارة في بطن وادي فلج فذلك يتنافى مع ما هو معروف بأن عنيزة روضة مطمئنة استخرجها محمد بن سليمان كما أورده البكري نفسه فيما

---

(١) شَمَّصَ الناقة : نخسها لتسرع في السير.

(٣) ياقوت : رسم «حزم عنيزة»

سبق والقارة لا يمكن أن يستخرج منها الماء كما هو معروف ، وانما ذلك من سمات الأرض المطمئنة أو مورد الماء كما هو معروف كما أن قوله في بطن وادي فلج ووادي فلج معروف مشهور مع قوله إن ذلك الوادي يسمى الشجي لانه شجى بعنيزة يظهر منهما التناقض إلا إذا أراد بعضه اما الشاهد الذي أورده للفرزدق فهو يرد عليه اذ ذكر الفرزدق «حضيض عنيزة» أي : المكان المنخفض منها والقارة : أكمة مرتفعة كما هو ظاهر.

فقول الفرزدق إذاً شاهد صحيح على «عنيزة» هذه التي أصبحت الآن المدينة الثانية في القصيم وليس شاهداً على عنيزة التي قال البكري : إنها قارة سوداء . يشهد لذلك واقع عنيزة والشواهد السابقة التي ذكرت (خبت عنيزة) وهو المكان المنخفض كما ذكر الفرزدق (حضيض عنيزة) .

ثم قال البكري بعد كلام له : وورد في شعر عنترة «عنيزتان» مثنى كما قال الفرزدق :

عشيَّة سال المربـدان كلاهمـا

قال عنترة :

كيف المزار وقد تربع اهلها بعنيزتين واهلنا بالعيلم

قال البكري : العيلم : ديار بني عبس .

أقول : لو كان العيلم هو ديار بني عبس لما قال عنترة كيف المزار الخ .. وهو يريد أن الشقة بعيدة جداً ما بين المنزلين اذ ما بين عنيزة وبلاد بني عبس التي هي في الجواء وهم أي : بني عبس — الضلفعة — وأثال ، وأبلق ، وكلها معروفة الآن لا يزيد على خمسين كيلا وهذه مسافة قصيرة جداً بالنسبة لرؤية البدوي للأشياء في الصحراء ، وتقديره للمسافات فيها .

(للبحث صلة)

محمد العبودي

أصول الأسر القديمة في مدينة الرياض

[يعني صاحب هذه المجلة بوضع معجم عن (أصول الأسر المتحضرة في نجد) وقد أمَدَّهُ أحد تلاميذه الأستاذ أحمد بن سلمان بهذا البيان، استجابة لرغبته].

مقدمـة : من الصعب على الباحث أن يحدد القبائل التي تنتسب إليها الأسر التي تسكن الرياض وما حولها . تحديداً دقيقاً . في منطقة ترك أبناؤها حياة البداوة والتنقل في طلب الكلا والمرعى الى طلب الزراعة والاستيطان في القرى والحواضر منذ أقدم العصور . ذلك أن مدينة الرياض وقبلها مُقْرِن ومِعكال ومنفوحة وحَجْر اليمامةَ وغيرها من القرى تقع في هذا الوادي الخصب الذي اشتهر بالزراعة وخصوبة الأرض ووفرة المياه مما جعل قبيلة حنيفة وبني عمهم قيس بن ثعلبة يستقرون فيه وينصرفون إلى الاستيطان والزراعة حتى أصبحت منطقة اليمامة عند ظهور الإسلام من أخصب المناطق وأجودها انتاجاً في المحاصيل الزراعية وأصبحت تَمير الحجازَ وغيرها من أقطار الجزيرة العربية . وعلى مر العصور بدأت أفواج من القبائل المجاورة للمنطقة من تميم وعامر والرباب تتحضر وتستقر طلباً للرزق وسعياً وراء لقمة العيش ولقدم الاستيطان وتعاقب الأُسَرْ التي توالت السكن مع بني حنيفة فإنه يصعب على الباحث أن يحدد الأصول التي تنتسب إليها تلك الأسر فضلاً عن الفروع إضافة الى ما طرأ على كل القبائل العربية من الاختلاط والتحالف حتى أصبحت كل قبيلة من القبائل عبارة عن مزيج من القبائل العدنانية والقحطانية . يدل على هذا أن الأسر التي ترك أسلافها حياة البداوة واستقروا في هذه المنطقة منذ عهد قريب لا توجد صعوبة في معرفة أصولها والقبائل التي تنتسب إليها مثل تلك الأسر التي تنتسب إلى قبائل مطير أو سبيع أو السهول . أما الأسر التي تنتسب إلى قبائل تركت حياة البداوة منذ أكثر من ألف عام فإنَّ من الصعوبة بمكان أن يعرف الفخذ أو القبيلة على وجه الدقة . من ذلك مثلاً أن الأُسَر التي تنتسب إلى حنيفة

أو إلى قَيْس بن ثعلبة تترك الانتساب إلى هذين الجدين وتجعل انتسابها إلى «عنزة» ولعل الظروف السياسية والاجتماعية التي صاحبت انتشار هذه القبيلة أو تلك وما صاحبها من قوة أوْ من ضَعف يزيد في اضطراب المدلولات التاريخية ويجعل الوصول إلى حقيقة الانتساب الى قبائل بعينها أمراً في غاية الصعوبة .

واذا بحثنا قبيلة واحدة مثل (عائذ) نجد الاضطراب والتباين في نسب هذه القبيلة هل هي قحطانية أمْ ربعيَّةٌ ذلك أنه على خلاف المشهور من أنها قحطانية يوجد أسر في هذه المنطقة تنتسب اليها وتصر على أنها من (عَنَزَة) أي أنها قبيلة ربعية فهل هناك عائذ ربعية وعائذ قحطانية دخلت إحداهما في حلف مع الأخرى واختلط الانتساب بينهما ؟ لا ندري .

ويرى أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر في بحثه القيم[1] عن هذه القبيلة انه بالنسبة إلى نسبتها إلى سعد أو سعيد (اما القول بأنهم بطن من سعد وأرجحها على سعيد فذلك أن منازل بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانت منتشرة في وسط نجد في اليمامة في وادي سُدير وفي الخرج وفي غير ذلك من المواضع ولذلك فأنا لا أستبعد أنَّ قسماً من عائذ تميمي النسب) انتهى .

ومثال آخر نجد أن بعضَ أفراد الأُسَر التي تنتسب إلى (سُبَيع) يرجع نسب أسرته إلى همدان من قحطان على رأي (المُغيري)[2] الذي أرْجَعَ هذه القبيلة إلى همدان كعادته في إرجاع معظم القبائل العربية إلى الأصول القحطانية ، ومنها قبيلة سُبَيْع على خلاف المشهور ، والصحيح من أنها قبيلة عدنانية[3] من عامر بن صعصعة . ولا يمنع أن يكونَ معها أخلاط من قبائل قحطانية . يُضَاف إلى صعوبة البحث عن أصول هذه الأُسَر وجود الجهل والأُمِّية . ذلك أن مفهوم عبارة : (الناس مؤتمنون على أنسابهم) صحيح بحق أهل العلم والمعرفة الذين يدركون ماضي أسرهم ويهتمون به أما (العوام) فالأمر يختلف عن ذلك أشدَّ الاختلاف ففضلاً عن عدم معرفتهم لأنساب الأُسر الأخرى فإنهم يجهلون القبائل التي ينتسبون إليها . وهذا يذكرني بأحدهم ممن كنت أظنه على علم بنسبه فقد سألت ذلك الشخص عن نسبه فقال نحن من قحطان ، وكنت أظنه تميمياً لمشابهة اسم أسرته لاسم أسرة تميمية مشهورة فقلت : الستم من تميم ؟ فقال نعم : وأضاف

قائلاً : إن تميم يرجعون إلى قحطان ؟ فهذا أنموذج لأولئك القوام الذين لا يعول عليهم في التحقيق من نسب أسرهم .

واذا تتبعنا الأُسَر الساكنة في الرياض وما حولها نجد أن أغلبها تنتسب إلى ثلاث قبائل وهي حنيفة وتميم وعامر بن صعصعة بينما ينعدم وجود أسر تنتسب إلى قبائل مشهورة مثل (عُتيبة) و(حرب) إلا ما ندر . وهذا يؤكد ما ذكرناه في أول البحث من أن أُسَر هذه المنطقة قديمة الاستيطان ، وترجع إلى القبائل التي كانت تعيش في هذا الوادي وما حوله منذ القدم . وقد يلاحظ القارىء الكريم أن هذه الجداول قد شملت إلى جانب أسر الرياض الأُسَر التي تسكن منفوحة والمصانع وعرقة والدرعية وذلك لسببين :

١ ــ ان هذه الأسر لا تخلو من بيت أو بيتين تسكن الرياض منذ القدم إلى جانب المصاهرة والاختلاط بين أسر هذه البلدان .

٢ ــ ان الرياض العاصمة الكبرى للبلاد ــ قد تطورت واتسع عمرانها في هذا العهد الزاهر حتى أصبحت هذه المناطق من أحيائها وضواحيها .

وقد تتبعت هذه الأسر وسألت عن أصولها ممن يوثق به من أفراد كل أسرة كما حرصت على الاجتماع بالأشخاص المشهورين بمعرفة أسر الرياض والقبائل التي تنتسب إليها . ومنهم العلامة الفقيه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان والنسابة الشيخ صالح بن حمد بن رَيِّس والنسابة الراوية الشيخ ابراهيم بن عبدالله بن ريس فلهؤلاء الأجلاء ولكل من تفضل بمساعدتي في هذا البحث الشكر والامتنان .

وهذه المعلومات التي توصلت إليها لا زالت بحاجة إلى الكثير من البحث لاكمال ما نقص منها وتصحيح ما وقع الخطأ فيه وإضافة ما سقط عن سهو أو عدم إدراك وسيكون الباب مفتوحاً للقراء الكرام لإضافة ما لديهم من معلومات أو تصحيح ما في هذا البحث من نقص أو خطأ والله الموفق .

وها هي أسماء من عرفت من الأُسر مرتبة على حروف المعجم :

إسم الأسرة	الفخـذ	إسم القبيلـة
آل ابراهيم		فضول (آل فضل) من طيء
آل أبو حميد[1]		تميم
آل إسماعيل		عنزة
آل إدريس	أهل الدرعية	سُبَيع
آل بتَّال		مطير
آل بشر	من آل حامد	اشراف
آل بكر		تميـم
آل بنْيَان		سبيع
البواهل		باهلة
آل تُرْكي	من آل سعود	عنزة
آل ثاقب		لأم من طيء
آل ثُنَيَّان	من آل سعود	عنزة
آل ثُنَيَّان	من آل عمران	عنزة
آل ثُنيَّان	من آل حوشان	عنزة
آل جاسر		تميم
آل جَفَّال		عنزة
آل الجُهَيْمي		سهول
آل جبرين		من بني زيد
آل جُرَيْوي		من بني خالد
آل حاضر		العجمان من يام
آل حمود		حنيفة
آل حمود		عائذ

(١) صحة كتابة الاسم (ال ابن أُحَيْمد) لادغام النون عند العامة الذين يسهلون الهمزة كما في (ابن وهق) و(ابن واصل).

آل حمد	(هؤلاء انقرضوا)	سُبَيع
آل حسين	من الوداعين	دواسر
آل حماد		عنزة
آل الْحَمَّادي	من الخَتَالين «آل خثلان»	سُبَيع
آل حُوتان	من عَبْدَل (العبادلة)	تميم
آل حُميد	رهط الشيخ عبدالله بن حميد	من بني خالد
الحقابين		من الحقبان الدواسر
آل حذيفه		من الأشراف
آل حِقَّان		من الأشراف
آل حوَّال	حَوَّال استوطن الرياض في أول عهد الملك عبد العزيز	عتيبة
آل الحسيني		تميم
آل خالد		من بني خالد
آل خُرَيِّف		تميم
آل خُنَـيْزان		عنزة
آل خُضَيْر		زعب
آل دَاود		هاجر قحطان
آل ذايل	من الوداعين	دواسر
آل دِرْع	الدروع	حنيفة
آل دغيثر	من آل يزيد	حنيفة
آل دُخَيِّل	من المساعرة	من الدواسر
آل دَخيل		عنزة
آل دُهَيْمش	من السُّحَمَة	من قحطان
آل الدُّوسِري		عنزة

آل الذهيبي		عنزة
آل راشد	أهل مُقَيْصِبَة ومقيصبة هذه حلة غرب الرياض ودخلت فيها الآن	سُبَيع (انقرضوا)
آل راشد	من آل عمران	عنزة
آل رُشَيْد		هاجر
آل رشود		من عائذ
آل راجح	من العناقر	تميم
آل ريس	من الدروع	حنيفة
الرواتع		اشراف
آل الرعوجي		عنزة
آل رَوَّاف	من الوهبه	تميم
آل رُميزان		تميم
آل زامل		قيس بن ثعلبة
آل الزحيفي		تميم
آل الزمامي	من الوداعين	دواسر
آل زيد	أهل المصانع من الدروع	حنيفة
آل زيد	من آل راشد	سُبَيع
آل زيد	من آل سليمان العناقر	تميم
آل الزهيري		عائذ
آل زرعه		حنيفة
آل السديري		دواسر
آل سلمة	من الغبيثات	دواسر
آل سحيم	السحمه	قحطان
آل سرحان		عنزة

آل سليمان[4]	أهل الرياض من آل ريمان من العناقر	تميم
آل سليمان	(أهل عرقة) من النواصر	تميم
آل سالم	وهبه	تميم
آل سالم		عائذ
آل سعيد	أهل منفوحة	سُبَيع
آل سُعيِّد	وهبه	تميم
آل سيف	أهل منفوحة	عنزة أظنهم من قيس بن ثعلبة
آل سيف	أهل النبهانية في صياح من بني	هاجر
آل سيف	أهل الرياض	ودآعين من آل سويلم من الدواسر
آل سيف		
السايرة		بني خالد
آل سعدون	أهل منفوحة من بني ثور	سُبَيع
آل سويلم	عزينات	سُبَيع
آل السُّمَاري		هاجر قحطان
آل سويدان		سبيع
آل شاشات		حنيفة
آل شقران		سُبَيع
آل الشقري		من بني خالد
آل الشُّعَيْبي		قحطان
آل شعوان		مطير
آل شُديِّد	من القريشات	من السهول
آل شُهَيْل		عائذ
آل الشنيفي		سُبَيع

الشواعر		عنزة
آل الشيخ	وهبه	تميم
آل شويش	من الجبلان	مطير
آل الشميسي		حنيفة
آل صالح (العنزي)		عنزة
آل صالح		عنزة
آل صقيعان	من الهلالات	تميم
آل الظَّفيري		الظفير
آل طالب		فضول
الطِّوَال		تميم
آل عبد الرحمن	من الهزازنة	عنزة
آل عبد القادر	من آل عمران	عنزة
آل عبد القادر		مطير
آل عبد الكريم		سُبَيع
آل عبيد		عجمان
آل عبيكان	من آل عمران	عنزة
آل عثمان	(رهط أخينا الشيخ ابراهيم بن عثمان)	قيس بن ثعلبة
آل عثمان	رهط عبدالله بن عثمان رئيس الديوان الملكي سابقاً	هاجر
آل عثمان	من الهلالات	تميم
آل عثمان	أهل الدرعية	بني خالد
آل عثمان	من آل مدهش	حنيفة
آل عجلان	من محلف	سهول
آل عساكر		عنزة
آل عشبان	من هزان	عنزة

آل عكرش	من السحمه	قحطان
آل العريني	عرينات	سُبَيع
ال عمران	السبعة	عنزة
آل عمران	(رهط حسن بن عمران أمير مراة سابقاً) من المزاريع	تميم
آل عون		اشراف
آل عواد		عائذ
آل عياف	من آل مقرن	عنزة
آل غُدَيِّر		عجمان
آل غانم		سُبَيع
آل غنيم		من بني خالد
آل الغنيمي		من بني خالد
آل غيث	من السيايرة	من بني خالد
آل غنام		قحطان وقيل من زعب
آل فرحان	من آل سعود	عنزة
آل فارس	من العرينات	من سُبَيع
آل فُرَيَّان		من بني هاجر
آل الفطيماني		سهول
آل فَيَّاض		عنزة
آل فوزان		دواسر
آل قاسم	من آل عاصم	قحطان
آل قضيب		قحطان
آل القَضيبي		قحطان
آل القريشي		قريش
الْكُـثْرَانُ		من لاَمٍ من طيء

آل لُوَيْبَه		من العجمان من يام
آل المُدَاوي		قحطان
آل مدهش		حنيفة
آل مرزوق		زعب
آل مديرس		حنيفة
آل مانع		تميم
آل محمود		اشراف
المدامغة		تميم
آل مزروع		تميم
آل مَرْشَد	من جُميلة	عنزة
آل مرشد		تميم
آل مقرن	من آل سعود	عنزة
آل مقرن	أهل الباطن	حنيفة
آل مشاري	من آل سعود	عنزة
آل مشاري		تميم
آل مشرَّف	من الوهبه	من تميم
آل المطرفي		عنزة
آل المُطَيْري		مطير
آل مُقْحم	من آل عاصم	قحطان
آل مُعَمَّر		تميم
آل محمد من آل حسين	من الوداعين	من الدواسر
آل ناصر		من بني زيد
آل ناصر	أهل الدرعية	من بني زيد
آل ناصر	من آل جميل	تميم
النمور ويدعون آل عبدالوهاب	من الدروع	حنيفة

آل نوح		عنزة
آل نشوان	من الوهبه	من تميم
آل أبونيان (ابن ونيَّان)		حرب
آل وعلان		تميم
آل الوَهيْبي		قحطان
آل الوُهَيْبي	من الوهبه	تميم
آل هدَّاب		فضول
آل هذلول	من آل ثنيان آل سعود	عنزة
الهلالات		تميم
آل يوسف	اهل الرياض	تميم
آل يوسف	أهل عرقه والدرعية	عنزة
آل يوسف	أهل الداخله بالرياض	هاجر

الرياض **أحمد بن سليمان**

تعليقات :

١ ــ مجلة العرب السنة الخامسة ص ١١٥٩ .

٢ ــ الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب للمغيري ص ١٣٥ .

٣ ــ مجلة العرب السنة السابعة ص ١٥٢ .

٤ ــ أسرة كاتب هذا : قَدِمَ جدنا سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن زيد بن ريمان بن إبراهيم بن خنيفر العنقري وأخوه محمد إلى الرياض في عهد الإمام تركي وغرس المكان المعروف (أم قرو) جنوب غرب الرياض .

معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية

— ٤٧ —

المطابع والصحافة والمكتبات
في معجم المطبوعات العربية السعودية

(١)

إن الطباعة (والمطابع) جديرة ببحث مستقل، وهي ترتبط برباط متين مع الكتاب ومعجم للمطبوعات، ويتصل بها وبالكتاب موضوع الصحافة في نشأتها وتطورها وبما تشتمل عليه من جرائد ومجلات.

وارتباط الصحافة بمعجم للمطبوعات قوي لأسباب منها أن الجرائد والمجلات ضروب من الكتاب، وفيها، ولا سيما في المجلات، ما يصدر خاصاً بمناسبة أو موضوع واحد، ومنها أنها قد تنشر مسلسلاً يؤلف مجموعه كتاباً، ومنها أن مجموع ما يكتبه كاتب واحد في صحيفة واحدة أو عدة صحف يمكن أن يجمع في كتاب أو أكثر من كتاب؛ ومنها أن تكون صحيفة واحدة موضوعاً لكتاب أو كتب ومنها ... ومنها انك تستقي كثيراً من أخبار الكتب لدى صدورها — أو بعد صدورها — وما يصحب ذلك من إعلان أو خبر أو تعريف أو نقد ... مع تعريج متصل أو مستقل على الحديث عن المؤلف نفسه ... ولا يمكن أن يستغني المؤلف المعجمي عن هذه الأمور ... ومن ثم لا يستغني الدارس الذي يريد أن يذهب إلى ما هو أبعد من معجم المطبوعات أو الذي يريد أن يسد ثغراته ويكمل نواقصه.

أقول هذا ... وقد صار شيء منه واقعاً فهناك الأعداد الخاصة ومن أمثلتها ما أصدرته «المنهل» وهناك الكتب الكثيرة المتسلسلة وخير مثال عليها ما تجريه «العرب» وهي تكاد تكون مجموعة كتب ...

وهناك المقالات التي جمعت، والدراسات التي أجريت ...

كل هذا ونحن في بداية الطريق وإذن ، فما أحوجنا إلى معجم خاص بالمطابع يبين نشأتها وتطورها وتاريخ تأسيسها وشيئاً عن أصحابها ... وآثارها ...! وما أحوجنا إلى معجم خاص بالصحافة وربما احتجنا إلى معجمين واحد للجرائد وثان للمجلات ...

أقول : ما أحوجنا !! ولست في ذلك مبالغاً أو خيالياً ، لأني أقول هذا اليوم ونحن في عام ١٤٠٠/ ١٩٨٠ وإزاءنا ما يصدر من جرائد ومجلات ... وكتب ... وما يدل على المنهجية في البحث وما تستدعي المنهجية ... ثم ما نراه من فهارس ومعجمات ... ولا أشك في أننا سنقف قريباً على معجم للمطابع ومعجم للصحافة ومن يدري فقد يكون بين الباحثين من سار في الطريق شوطاً ملحوظاً ولن يكون صدور عمله غداً مفاجأة .

أقول هذا وأنا أسترجع الحال وكنت في الرياض عام ١٣٨٣/ ١٩٦٣ وقلت : ما أحوجنا إلى معجم للمطبوعات ... العربية السعودية ... وبدوت في عيون بعضهم ، بمن في ذلك عدد من «الوطنيين» أنفسهم مبالغاً أو خَيَالِياً ، وربما عجب بعضهم من رؤيته إياي أُقَلّب الكتب وقد عَلَتْها الأتربة وأبحث عن الكتب وقد ضاعت في الزَّوايا ...

ربما ... ولكن آخرين ارتاحوا لإعلان الحاجة ... وفي هؤلاء الآخرين من كان أعد شيئاً من فهرس على وجه من الوجوه ، وقد أشرت مرة إلى الفهرس الأوليِّ الذي عملته وزارة المعارف وطبعته على الرونيو ، والفهرس الذي عمله لحاجة عاجلة وصدر عن وزارة المعارف باسم : دليل المؤلفات السعودية ـــ مصطفى حسين عطار ١٣٨٤ هـ ـــ ١١ ـــ ٤٢ ـــ ١٢٠ ص .

ومرت أيام وسنون وإذا بواحد من طلبتي النجباء (هو يحي الساعاتي) يتجرد للفهرسة ويصدر فهارس ويتخصص بالمكتبات ...

ويعمل في السعودية أديب مصري أحسَّ بالحاجة إلى الفهارس فأصدر معجمين ولعله يعمل الآن معجماً ثالثاً ورابعاً ، ذلك الأستاذ شكري العناني .

أنتهي من هذا إلى النص على ضرورة أن يكون للمطابع معجم ، وأن يكون للجرائد

والمجلات معجم (أو معجمان) وإلى أني لا أستبعد تحقيق ذلك قريباً .

وبعد .

فان الصحافة والمطابع في ترابط وتلازم ولا سيما في المراحل الأولى — لدى النشأة وبداية التطور .

وليس في هذا القول ابتكار ، فقد تنبه إليه الأدباء منذ وقت مبكر ، تلاحظ آثار ذلك التنبه في المراجع التي يسطرها الباحثون المتأخرون في موضوع الصحافة ونشأتها : في الحجاز على وجه الخصوص .

ولعلك لحظت خلال ذلك بحثاً لرشدي ملحس في «تاريخ» الطباعة والصحافة في الحجاز» نشره في عددين من أعداد جريدة «أم القرى» ٢٠٧ (رجب ١٣٤٧/ ١٤/ ١٢/ ١٩٢٨) ، ٢١١ (رجب ١٣٤٧/ ١١/ ١/ ١٩٢٩) .

وتلاحظ في كثير من الأحاديث — والبحوث التي جعلت الصحافة مدار موضوعها ...

ولا تعدم أن تجد مقالاً خاصاً بالطباعة كالذي كتبه محمد سعيد عبد المقصود في جريدة صوت الحجاز ، العدد ٣٤٣ بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٣٩ ، بعنوان «الطباعة في الحجاز» (ينظر الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ، الصحافة في الحجاز ١٣٩١/ ١٩٧١) .

ولا بد من النص على أن الصحافة وجدت عدداً لا بأس به من الأدباء يتكلم على نشأتها أو يتحدث عن انطباعاته وتجاربه فيها أو «يشرع» لما يجب أن تكون عليه الصحيفة والصحفي ... ولو جمع ما ورد في ذلك لأمكن أن يؤلف كتاباً طريفاً قيماً — وقد يعمله باحث يوماً ، وقد يعمله قسم الإعلام من جامعة الرياض ... وستكون الافتتاحيات جزءاً من ذلك المجموع .

ومما يذكر من «المقالات» التي تحدثت عن تاريخ الصحافة ما كتبه محمد سعيد العامودي (ينظر) بعنوان «من تاريخ الصحافة في بلادنا» لعله نشره في أول الأمر

مستقلاً في مجلة كالمنهل أو الحج ثم ضمه إلى مقالات أخرى متنوعة أصدرها في كتاب جعل عنوانه «من تاريخنا» وقد صدر في ١٣٧٣/ ١٩٥٤ ولكنه لم يذيل المقالات بتواريخ كتابتها أو أماكن نشرها مع ملاحظة أنه انتهى في «بحثه» بحديثه عن مجلة الحج. وقد صدرت في غرة رجب من عام ١٣٦٦ ثم رئاسته تحريرها منذ أول عام ١٣٧٠ ؛ وبهامش استدراكي أشار فيه إلى ظهور «مجلة جديدة راقية وتلك هي اليمامة لصاحبها ومؤسسها ... الأستاذ حمد الجاسر» ويبدو أن الاستدراك قد وقع متأخراً قبيل الانتهاء من الطبع ، ومعلوم أن اليمامة صدرت في عام ١٣٧٢ .

أعادت «الدار السعودية» طبع «من تاريخنا» محرم ١٣٨٧/ ١٩٦٧ مع تعديلات وإضافات طفيفة.

... هذا وانك واجد كلاما نافعاً عن الطباعة وعن الصحافة في بطون كتب ألفت لتاريخ عهد أو تاريخ بلدة أو تاريخ أدب ...

نذكر منها هنا كتاب عبدالله عبد الجبار — التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٥٩ .

وأعد محمد علي مصلي كتاباً صدر في القاهرة ١٩٦١ بعنوان «دراسات متخصصة» فيه مقالة لحمود البدر بعنوان «الصحافة السعودية في ثمانين عاماً» — وقد أحال عليه الدكتور محمد الشامخ في مقالة نشرها في مجلة العرب بعنوان الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني — الجزء الحادي عشر في السنة الرابعة جمادى الأولى ١٣٩٠/ تموز ١٩٧٠ ص ١٠١٩ — وينظر الفصل الأول من كتاب الصحافة في الحجاز.

ثم شرع صحفي معروف هو الأستاذ عثمان حافظ (ينظر) يكتب في جريدة المدينة في عامي ١٣٨٢ هـ — ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ — ١٩٦٤) . سلسلة من المقالات بلغت «حوالي ٢٦ حلقة بعنوان «الصحافة في ربع قرن» — يمكن أن تطبع في كتاب مستقل — وقد وعد بذلك . وما أحسبه أصدر الكتاب العتيد ثم تجرد لموضوع «الصحافة في الحجاز» باحث أكاديمي هو الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ (وقد حصل على الدكتوراه من جامعة لندن وعين للتدريس بجامعة الرياض) ومضى ينشر في مجلة «العرب» ، فكانت

الحلقة الأولى : «الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني» — العرب من ٤ ، ج١١ ، جمادي الأولى ١٣٩٠/ تموز — آب (يوليو أغسطس) ١٩٧٠ .

وكانت الحلقة الثانية بعنوان :

«الصحافة في الحجاز في العهد الهاشمي» — العرب — س٥ ، ج١ ، رجب ١٣٩٠/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

والحلقة الثالثة «الصحافة في الحجاز في أوائل العهد السعودي» — العرب س ٥ ، ج٤ ، شوال ١٣٩٠/ ك١ (ديسمبر) ١٩٧٠ .

لو جمعت هذه البحوث القيمة الثلاثة لكانت كتاباً مهماً في بابه — وستجمع كما سنرى .

كانت هذه الجهود المتفرقة ، وبينها ما هو رسمي ، مقدمة لصدور كتب مستقلة قيمة عَرَفتُ منها :

١ — الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ — ١٩٤١ دراسة ونصوص . تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس في كلية الآداب بجامعة الرياض ، بيروت ، دار الأمانة ، ١٣٩١/ ١٩٧١ .

وقد اقترن فيه الحديث عن الصحافة بالحديث عن المطابع — وضمنه مختارات مهمة منها مقالة محمد سعيد عبد المقصود «الطباعة في الحجاز» .

ويرجع تأليفه إلى ما قبل هذا التاريخ فقد نشر بحوثه الثلاثة في مجلة العرب — كما رأينا — عام ١٣٩٠/ ١٩٧٠ .

٢ — موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية تأليف محمد بن ناصر بن عباس (بكالوريوس آداب من جامعة الرياض — عضو مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر) . الرياض ، مطابع زنكوغراف مؤسسة الجزيرة ١٣٩١/ ١٩٧١ .

وفي الكتاب لمحة عن «المطابع» كنت أود لو طالت ...

٣ — عثمان حافظ — تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية . جدة ، شركة

المدينة للطباعة والنشر .

وقد صدر الكتاب من غير تاريخ . وكان آخر تاريخ بصدد التعريف بالمؤلف على الغلاف الأخير من الكتاب هو ١٣٨٦ .

ولا يبعد أن يكون التأليف في هذه الكتب الثلاثة قد جرى في وقت واحد لأني لم أجد بينها تقارباً كبيراً في منهج التأليف ولم ألحظ إشارة في كتاب الأستاذ محمد ناصر بن عباس إلى كتاب الشامخ ؛ وأشار الأستاذ عثمان حافظ إلى الشامخ مرتين مرة إلى بحثه المنشور في مجلة العرب (تنظر ص ٣٨) ومرة إلى كتابه (ص ٤٢٤) — وربما كانت هناك إشارات محدودة أخرى .

وللأستاذ عثمان حافظ خبرة طويلة بالصحافة (والطباعة) «ولد بالمدينة عام ١٣٢٨ هـ» ... وفي عام ١٣٥٠ عين مدرساً ... ثم اشترك مع أخيه السيد علي حافظ في تأسيس مطبعة المدينة وأصدر جريدة المدينة المنورة ... وفي عام ١٢٨٣ اختير عضواً بمؤسسة المدينة للصحافة ... وفي عام ١٣٨٦ انتخب رئيساً لتحرير جريدة المدينة . كما أسس مع السيد علي حافظ شركة المدينة للطباعة بجدة» .

وحياة الأستاذ عثمان حافظ دليل آخر على ارتباط الصحافة ، بالطباعة ... ومن هنا يمكن أن يعزى تضمينه كتابه «ما صدر من قوانين ونظم للمطابع والمطبوعات (صص ٤٢٤ — ٤٦٧) .

وليلاحظ أنه لم يضمن كتابه هذا الحلقات التي نشرها في جريدة المدينة بعنوان «الصحافة في ربع قرن» .

هذا ومن أدلة الاهتمام بالبحث في تاريخ الصحافة والعلم بأهمية الصحف مشروع الدكتور منصور إبراهيم الحازمي : «معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية» وقد أصدر الحلقة الأولى بعنوان «صحيفة أم القرى» ، الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ، ١٣٩٤/ ١٩٧٤ — مطبوعات جامعة الرياض — ٥ .

والمشروع ضخم وربما حالت أشغال الدكتور الحازمي الأخرى دون تنفيذه كاملاً ،

ولعله يشرك معه من يتعاون وإياه على الإنجاز أو من يعمل تحت إشرافه وتوجيهه .

وأشار الدكتور الشامخ وهو يذكر مراجعه من الكتب إلى : «فهرس أم القرى» الذي عمله «معهد الإدارة العامة بالرياض» «الرياض ، هـ . ت» .

تقول : إن مؤلف «معجم المطبوعات العربية ...» قد ابتعد عن «الكتب» وعن التاريخ الذي جعله الحد الذي ينتهي به المعجم (١٣٩٠/ ١٩٧٠) ، وفي قولك صواب ، ولكن المؤلف لا يرى نفسه مجانباً القصد الذي قام من أجله كتابه وهو خدمة الباحثين ، والعقلية السائدة في كتابه وهي الموسوعية .

ثم إن «المعجم» قد يقع بيد لم تصل إليها الصحف والكتب التي ألفت في الصحافة (والطباعة) إن المؤلف يؤمن بصلة الصحافة والطباعة بالكتاب ... وبالبحث ... وبالمعجم ... وقد فاته أن يحيل في حرف الجيم من المعجم : الجريدة ، وفي حرف الصاد : الصحافة ، في حرف الطاء : الطباعة ، وفي حرف الميم : المجلة ... المطبعة ... فليكن ذلك في المستدرك من غير اشتراط الفصل بين المواد الثلاث ، خصوصاً واننا نعني ـــ هنا ـــ بالنشأة أكثر ما نعني .

وسنحاول ـــ قدر المستطاع ـــ أن نثبت خلال ذلك الكتب التي طبعت في الحجاز ـــ من كان مؤلفوها ـــ قبل ضمه إلى نجد .

ونثبت الكتب التي طبعت في الهند أو مصر ... و«للسعودية» أثر أو صلة بها حتى لو لم يكن المؤلف «سعوديا» أو من العهد السعودي .

كل ذلك إتماماً للفائدة وتتبعاً للتطور واستجابة للمعنى الموسوعي في خدمة الباحثين وإيصالاً بالمعلومات إلى من لا تقع مراجع الصحافة والطباعة ... والتأليف في متناول أيديهم .

وإذا كنا قد أثبتنا شيئاً من ذلك خلال الحروف المختلفة للمعجم فلا مانع من الإثبات المنهجي هنا زيادة في الدقة والاستيعاب وحرصاً على ضبط ما يكون قد فات ولفتاً لأنظار القراء بالإضافة والتعليق والتصحيح .

كما أننا سنثبت للمطابع الحديثة ما أصدرت من كتب لمؤلفين قدامى أو غير سعوديين ...

وسيكون كتاب الدكتور الشامخ (الصحافة في الحجاز) مصدراً أساساً يرجع إليه كل ما نقتبسه ونضعه بين قوسين من غير إحالة على المرجع .

قال الدكتور الشامخ «كانت مطبعة الولاية التي أسست بمكة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا أول مطبعة تنشأ في الحجاز» .

وقال في بحث له نشره في مجلة الدارة بعنوان «ظهور الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين» — العدد الرابع ، السنة الرابعة محرم ١٣٩٩/ ديسمبر ١٩٧٨ .

«في عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣م) أسس والي الحجاز عثمان نوري باشا مطبعة حكومية بمكة المكرمة هي (المطبعة الميرية) أو مطبعة الولاية كما كانت تسمى في بعض الأحيان وقد أنشأها ... «ليطبع فيها كتب العلوم ليكثر انتشار العلم» ...

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» المطبوع ببيروت ١٣٩٢/ ١٩٧٢ — وكأنه يعتمد على مقالة رشدي ملحس : «استحضرت الحكومة العثمانية سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م مطبعة تدار بالقدم ، وأطلقت عليها إذ ذاك اسم «حجاز ولايتي سي» أي مطبعة ولاية الحجاز . وفي سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م استحضرت السلطة التركية طابعة متوسطة ، ثم أتت بمطبعة حجرية بعد عدة سنوات ، دعتها «المطبعة الأميرية» وفيها كانت تطبع جريدة «الحجاز» المكية ، وخلال الحرب العالمية الأولى صادر الأتراك «مطبعة زحلة الفتاة» ونقلوها إلى الحجاز لتدعم المطبعة الأميرية» .

ويقول الدكتور الشامخ :

«إلى جانب ما قامت به مطبعة الولاية حين إنشائها من طبع للكتاب الدوري الرسمي «سالنامة ولاية الحجاز» حجاز ولايتي سالنامة سي ، العدد الأول عام ١٣٠١/ ١٨٨٤ — كانت تسهم ... في طبع بعض مؤلفات علماء الحرم المكي الذين كانوا يطبعون

مؤلفاتهم في مصر من قبل . وفي عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) نشرت سالنامة ولاية الحجاز» قائمة بأسماء المؤلفات العربية والملايوية التي تم طبعها حينئذ في مطبعة الولاية . وحيث ان لهذه القائمة أهمية في تاريخ الطباعة في الحجاز فسأوردها هنا فيما يلي :

أولاً : أسماء الكتب العربية :

١ ـــ تسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن الأزرق وبهامشه كتاب الطب النبوي للإمام الذهبي .

٢ ـــ تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي .

٣ ـــ الرسالة المسماة فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأخير .

٤ ـــ تحفة الصبيان في الفقه على مذهب النعمان . وبهامشها كفاية الغلام للنابلسي .

٥ ـــ رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه لابن كمال باشا .

٦ ـــ عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب المصري الشافعي .

٧ ـــ فيض الرحمن في المعاني والبيان .

٨ ـــ تطبيق الألسنة الثلاثة العربي والفارسي والتركي .

٩ ـــ المنح السنية في الوصية المتبولية للشعراني .

١٠ ـــ دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار .

١١ ـــ كتاب النهاية في التعريض والكناية للثعالبي .

١٢ ـــ فتح البرية شرح نظم الآجرومية للباجوري .

١٣ ـــ شرح بافضل في فقه الشافعية لابن حجر .

١٤ ـــ الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد دحلان (ينظر) .

١٥ ـــ رسالة أيها الولد للإمام الغزالي .

١٦ ــ الفواكه الجنية في النحو .

١٧ ــ منهاج الطالبين للإمام النووي .

١٨ ــ نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد المرسلين .

١٩ ــ مختصر بافضل ! وبهامشه متن التقريب لأبي شجاع .

٢٠ ــ رياض الصالحين للإمام النووي .

٢١ ــ شرح الستين مسألة للميهي في فقه الشافعية .

٢٢ ــ شرح الجزرية في التجويد للملا على القاري ، وبهامشه شرح طاش كبرى .

٢٣ ــ منظومة في التوحيد لاسحاق أفندي .

٢٤ ــ تنقيح القول الحثيث .

٢٥ ــ تعليم المتعلم .

٢٦ ــ جواهر القرآن .

٢٧ ــ الكبريت الأحمر .

٢٨ ــ شرح المولد للبرزنجي .

٢٩ ــ كتاب الأربعين النووية .

٣٠ ــ اللمعة النورانية .

٣١ ــ سلوك الجادة .

٣٢ ــ رسائل أبي الليث .

٣٣ ــ كتاب الصرف للكيلاني .

ثانياً : أسماء الكتب الجاوية الملايوية :

١ ــ فروع المسائل في الفتوى على مذهب الشافعي .

٢ — كشف الغمة في ذكر الموت وأحوال الآخرة.

«وعندما انقطعت «سالنامة ولاية الحجاز» عن الصدور في عام ١٣٠٩ هـ أصبح نشاط المطبعة الميرية غير واضح، إذ لم يعثر بعد ذلك على مثل هذه القائمة الشاملة، ولكني وجدت أثناء التنقيب في المكتبات المحلية بعض الرسائل والكتب المتناثرة التي طبعت في هذه المطبعة بعد عام ١٣٠٩ هـ وهي تبين أن المطبعة الميرية قد استمرت في طبع كتب التراث ومؤلفات الثقافة العربية التقليدية كما أنها كانت تولي المتون والشروح التي تستخدم في حلقات التدريس بالمسجد الحرام كثيراً من عنايتها».

«ويظهر أن المطبعة الميرية لم تكن مقصورة على المطبوعات الرسمية وما في حكمها. ذلك لأنها كانت تتقاضى أجراً على طباعة بعض المطبوعات الأخرى، فقد جاء في كتاب (أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب) للجزري بأن هذا الكتاب قد طبع في المطبعة الميرية عام ١٣٢٤ هـ على نفقة الحاج عمر الميمني والشيخ أحمد المكي...

وقد طبع الشيخ محمد ماجد الكردي كذلك كتباً عديدة على نفقته في المطبعة الميرية».

«ورغم ما أحاط بتاريخ المطبعة الميرية في بعض سنواتها من غموض، فان لها دوراً بارزاً في الحياة الفكرية ببلاد الحرمين الشريفين، لقد ظلت المطبعة الوحيدة في هذه البلاد مدة تزيد على ربع قرن، فنشأت الصحافة المحلية في ظلها، حيث طبع فيها ثلاث من أولى الجرائد صدوراً في هذه البلاد كما أنها قامت بطبع عدد وافر من كتب التراث والمؤلفات العلمية التي كان يدرس فيها طلاب العلم في الحرمين الشريفين.

إذا كان المقصود بالجريدة الاولى ما سبق الكلام عليه من «سالنامة ولاية الحجاز» فان ذلك من باب التجوز والتوسع لأن «سالنامة» «كتاب دوري».

وحينما أنشئت الصحافة في الحجاز عقب إعلان الدستور العثماني قامت المطبعة الميرية بطبع الجريدة الرسمية التي صدرت في مكة سنة ١٣٢٦/ ١٩٠٨ باسم «حجاز» والأعداد الأولى من جريدة شمس الحقيقة التي صدرت في ١٦/ ٢/ ١٩٠٩ نصف شهرية، غير

رسمية والتاريخ الذي ذكر لصدور «حجاز» أقرب ما يذكر من تواريخ إلى التصديق ويمكن تحديده بـ٨/ ١٠/ ١٣٢٦ هـ = ٣/ ١١/ ١٩٠٨ م و«حجاز» هذه جريدة بمعنى الكلمة ، والاجماع — على هذا — أنها أول جريدة تصدر في الحجاز ، وقد يرد اسمها على «الحجاز» وهي «جريدة الولاية الرسمية» الخادمة لعموم منافع الدولة والملة» «صدرت ... في أربع صفحات ، فالصفحتان الأولى والرابعة كانتا تكتبان باللغة العربية أما الثانية والثالثة فتكتبان باللغة التركية» و«تتكون معظم مواد «حجاز» من الأخبار والمقالات المتنوعة والإعلانات الرسمية ... إن من أبرز عيوبها هو أنه قد حرر معظم ما فيها من مواد بأسلوب ركيك تكثر فيه الأخطاء اللغوية والنحوية ... ورغم ما في أسلوب تحرير جريدة «حجاز» من عيوب لغوية ، فقد كانت تنشر عدداً من الافتتاحيات والمقالات التي تنعي على الحجاز تأخره ، وتدعو بحرارة إلى إصلاح أمره ، وتناشد الحجازيين أن يعيدوا ماضيهم المجيد وأن يلحقوا بركب الحضارة والمدنية ... من المرجح أن تكون «حجاز» قد انقطعت عن الصدور في عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) وأنها لم تصدر بعد ٩ — ٩ — ١٧٣٤ هـ (١٠ — ٧ — ١٩١٦ م) حينما قضي على الحكم التركي بمكة» .

«من الممكن أن يقال بأنه كان لجريدة «حجاز» ... أهمية أدبية واضحة ، لقد كان فيها ركن أدبي نشرت فيه قصائد لشعراء معاصرين كشوقي وحافظ ، وكانت تقدم لهذه القصائد بمقدمات نقدية رصينة تدعو إلى الأصالة في الأدب ، وتهاجم الشعراء المقلدين ، وتنادي الأدباء أن يتخذوا من شوقي — الذي مزج في شعره بين عناصر من الثقافتين الشرقية والغربية — مثالاً يتحذى . إنه لا يجوز أن ينكر أن «حجاز» قد أسهمت في الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز ، إن لم تكن قد ابتدأتها ...» .

ويبدو أن الذين أسسوا شمس الحقيقة «كانوا من شبان الأتراك المولودين بمكة» و«كانوا ينتمون إلى جمعية الاتحاد والترقي» ويخدمون «المنافع العثمانية» ويعرِّضون بالشريف حسين — ولم تلبث الجريدة أن أنشأت لها مطبعة خاصة باسم مطبعة شمس الحقيقة (١٣٢٧/ ١٩٠٩) أسستها «شركة تجارية» .

«ولم أعثر على شيء مما طبع في مطبعة شمس الحقيقة ولكن إذا فرض أنها قامت

بالطباعة خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٣٢٧ هـ فإن من المحتمل أن يكون من بين ما طبعته من جريدتي شمس الحقيقة (بالعربية) وشمس الحقيقة (بالتركية) ... وكذلك بعض مطبوعات الدعاية التي كانت تصدرها جمعية الاتحاد والترقي .

ويبدو أن أمر مطبعة شمس الحقيقة كان مرتبطاً بمصير جريدة شمس الحقيقة ، إذ ما لبثت أن أقفلت حينما احتجبت الجريدة أواخر عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) على أثر النزاع الذي نشب بين الشريف حسين بن علي أمير مكة وبين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بمكة المكرمة» .

وفي الوقت الذي صدرت فيه شمس الحقيقة بمكة كان أهل جدة يعملون على تأسيس مطبعة وإنشاء جريدة و«في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ (١٧ مايو ١٩٠٩) افتتحت بمدينة جدة مطبعة الإصلاح حيث قامت في هذا اليوم بطبع جريدة الإصلاح الحجازي الاسبوعية ، ويبدو أن هذه المطبعة كانت ملكاً لعدد من الشركاء ، فقد ذكر صاحب جريدة الإصلاح الحجازي ومديرها راغب مصطفى توكل بأنه قام (بمعاونة بعض الأصدقاء) بانشاء مطبعة الإصلاح وجريدتها ، كما أن المرحوم الشيخ محمد حسين نصيف ذكر بأن أهالي مدينة جدة وتجارها قد ساهموا في تأسيس مطبعة الإصلاح بجدة وأنه كان أحد المساهمين فيها» .

استمرت الجريدة عدة شهور وكانت تتميز بالرد على شمس الحقيقة .

حين توقفت الجريدتان عن الصدور توقفت مطبعة (شمس الحقيقة عن العمل) (أواخر عام ١٣٢٧) فاشتراها الشيخ محمد ماجد الكردي وأسس «مطبعة الترقي الماجدية بمحلة الفلق في مكة المكرمة» فكان «رائد الطباعة الأهلية» .

«وقد شغف الشيخ محمد ماجد الكردي (١٢٩٢ هـ/ ١٣٤٩ م) بنشر العلم فطبع وهو في صدر شبابه عدداً من الكتب في المطبعة الميرية على نفقته كما أنشأ مكتبة خاصة كانت مخطوطاتها من أنفس ما تحتويه مكتبات مكة المكرمة . وقد رأى الكردي أن رسالته في نشر المعرفة لا تتحقق إلّا بتأسيس مطبعة خاصة به ... ولذلك ... اشترى مطبعة شمس الحقيقة ثم زودها بأدوات وأضاف إليها مكائن فكون مطبعته (الماجدية)

«من ثلاث مطابع إحداها مطبعة حجرية ... تطبع بها الخرائط الملونة المتنوعة ، ومن ضمن ما طبع بها خريطة جزيرة العرب بالألوان ومعها مطبعتان حرفيتان ...»

«لم تقم المطبعة الماجدية بطبع شيء من الجرائد المحلية ولكن إسهامها الثقافي تمثل في طبع الكتب والرسائل . ويظهر أنه قد توافر لها من الإمكانات الطباعية حين تأسيسها ما جعلها تتم طبع واحد وثلاثين كتاباً ورسالة باللغتين العربية والجاوية خلال عامها الأول — أنظر قائمة هذه المؤلفات في كتاب (ثمرة العلم بأم القرى) للشيخ حسين باسلامة (ينظر) مطبعة الترقي الماجدية ١٣٢٨ هـ ، ورسالة (الدرر الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية) لأبي بكر الأهدل ، مطبعة الترقي الماجدية ١٣٢٨ هـ» —

نظرنا في آخر كتاب «ثمرة العلم» — مستعينين بالأستاذ يحي الساعاتي — فوجدنا :

«بيان الكتب المطبوعة بمطبعة الترقي الماجدية الموجودة بها من أراد شيئاً فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي» — والترقيم منا .

١ — تنقيح القول الحثيث للشيخ محمد نووي الجاوي على لباب الحديث لجلال الدين السيوطي .

٢ — الجواهر المكية في فضيلة الجمعة وما ورد في وجوبها وشروطها للسيد سعيد شطا .

٣ — الدرر البهية للمرحوم السيد أبي بكر شطا المكي .

٤ — صدى العلم من الحجاز حفلة توزيع على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي المكي .

٥ — القول المختصر المفيد لأهل الإنصاف في بيان الدليل لعمل إسقاط الصلاة والصوم المشهور عند الأحناف للشيخ محمد صالح كمال الحنفي المكي .

٦ — ثمرة العلم بأم القرى بنجاح تلامذة المدرسة الخيرية لمؤسسها ومديرها الشيخ محمد حسين الخياط المكي .

وزودنا الأستاذ يحى الساعاتي معلومات عن كتاب «فتح الإله بما يجب على العبد لمولاه من توحيد وواجبات الصلاة وجملة من معاني تقوى الله للسيد محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي مفتي الشافعية بمكة. الطبعة الأولى بمطبعة الترقي الماجدية بمكة ١٣٢٩ هجرية على نفقة الشريف حسين».

وما ورد في آخره من «بيان بعض أسماء الكتب العربية المطبوعة بمطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية والموجوده بها من أراد شيئاً منها فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي»:

وهي تكرر أسماء الكتب السابقة مع زيادة «المكي» بعد الجاوي مؤلف الكتاب الأول، وذكر الكتب الآتية:

٧ — حاشية الدردير على قصة المعراج للغيطي.

٨ — دعاء ليلة النصف من شعبان.

٩ — حاشية الشيخ محمد نووي الجاوي المكي على مناسك العلامة الخطيب الشربيني.

١٠ — الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرومية للمرحوم الشيخ عبدالله العجيمي.

١١ — حل المعقود من نظم المقصود صرف.

١٢ — هداية الناسك على توضيح المناسك مالكي للعلامة الشيخ محمد عابد المكي مفتي المالكية حالاً بمكة.

١٣ — شرح الملا على قاري المسمى المسلك المتقسط في المنسك المتوسط على لباب المناسك للشيخ الإمام رحمة الله الهندي.

وزودنا الأستاذ يحي الساعاتي معلومات عن رسالة: «الدرر الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية تأليف أبي بكر الأهدل الذي طبع عام ١٣٢٨ هـ وورد في غلافه الأخير

قائمة بمطبوعات الماجدية هي نفسها التي وردت في غلاف «فتح الاله» السابق ولكن زادت بما يلي بعد كتاب شرح ملا على الذي هو رقم ١٣ ، والزيادة هي :

١٤ ــ مناقب الإمام الشافعي للسيد داود بن سليمان البغدادي .

١٥ ــ الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية للسيد أبي بكر الأهدل اليمني الشافعي .

١٦ ــ ملتقط الزواجر في معرفة الكبائر نظم العلامة محمد بن محمد اليمني ثم المدني الشافعي .

١٧ ــ فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأمير لمحمد بن سليمان الكردي ثم المدني الشافعي .

ملاحظة : بلغت الكتب الجاوية المذكورة على آخر صفحة من كتاب «ثمرة العلم» ثلاثة عشر كتابا في التجويد والتوحيد والمناسك والمعراج ويغلب عليها الطابع التعليمي ، وجاء إزاء كتاب «مجموع المصدفات» أنه «جاري طبعه» .

ملاحظة أخرى : ذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه عن التعليم في مكة والمدينة : كتاب «الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية» - إمارة مكة المكرمة . المطبعة الماجدية . مكة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣) .

وقال الدكتور الشامخ : «يتبين من هذه القوائم وما اطلعت عليه في المكتبات المحلية من مطبوعاتها أن معظم هذه المؤلفات كان عبارة عن رسائل وشروح ألفها علماء الحرمين في الفقه والنحو والبلاغة والمنطق . ويظهر أن الجو الثقافي السائد في بلاد الحرمين الشريفين قد صبغ المطبوعات الماجدية بصبغته ، فلم ينل الانتاج الأدبي أو التاريخ الحديث شيئاً من عنايتها» .

ومما طبع في الماجدية «مزدوجة» لإبراهيم الاسكوبي (ينظر) ، والثمرات الجنية لجمال المالكي ــ رسالة في الأسئلة النحوية ــ طبعت بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة على نفقة مالكها ومؤسسها محمد ماجد الكردي ١٣٣١ .

ومنه عبد القادر حسن ــ من أساتذة المدرسة الصولتية ــ في المناسك ، المطبعة

الماجدية ، مكة (ينظر عمر عبد الجبار) .

ومنه صدى العلم من الحجاز ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) — عن الشامخ : التعليم .

وللدكتور أحمد محمد الضبيب عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض بحث قيم بعنوان «حركة احياء التراث» «في الجزيرة» نشر الحلقة الأولى منه : حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة» في مجلة «الدارة» ٩ الرياض ، العدد الأول . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م (السنة الأولى) جاء فيه ص ٥٣ — ٥٨ عن الطباعة في مكة :

« ١ — **المطبعة الأميرية** »... وقد أسهمت ... في تغذية حركة النشر في البلاد فكان أن نشر بها علماء الحرمين مؤلفاتهم كما نشرت فيها بعض كتب التراث غير أن ما نشر من هذه الكتب كان قليلاً نسبياً . والظاهر أنه كان — في معظمه — متونا صغيرة تستعمل في حلقات الدرس التي تعقد في الحرمين الشريفين ، كما أن المطابع المصرية كانت — فيما يبدو — تلبي حاجات القراء من كتب التراث الكبرى ولم تكن المطبعة الأميرية قادرة بوسائلها المحدودة على منافسة تلك المطابع .

وفيما يلي قائمة مختارة تضم مجموعة من كتب التراث التي طبعتها الأميرية رتبناها حسب مداخل المؤلفين ، وقد اطلعنا على عدد من هذه الكتب فذكرنا معلومات وافية عنها وبعضها الآخر استفدناه من معجم سركيس أو غيره فأثبتنا المعلومات التي وجدناها فيه .

قائمة ببعض كتب التراث التي نشرتها المطبعة الميرية بمكة (١٣٠٠ — ١٣٤٣) .

١ — الابراهيمي : جمال الدين بن منصور (ت ٩٢٩)— ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ .

٢ — البارزي : رسالة في طواف الحائض ، على هامش : عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار للوناني سنة ١٣٠٥ ، ص ١٢ .

٣ — الثعالبي : أبو منصور عبد الملك ابن محمد بن اسماعيل النيسابوري (٤٢٩ هـ) — النهاية في التعريض والكناية سنة ١٣٠١ هـ ، ص ٤٨ .

على هامشه : رسالة الفوائد العجيبة في اعراب الكلام الغريبة ، لمحمد أمين بن عابدين .

٤ ــ الجيلاني : عبد القادر (٤٧١ ــ ٥٦١) ــ الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل . سنة ١٣١٤ جزءان ، ٢٦ سم .

٥ ــ الذهبي : محمد بن أحمد (ت ٧٤٨) الطب النبوي ، بهامش تسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن الأزرق (؟) .

٦ ــ السمهودي : نور الدين أبو الحسن علي بن غسان بن أحمد السمهودي (٨٠٤ ــ ٩١) ــ خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى سنة ١٣١٦ ، ص ٢٨٦ .

بهامشه حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهي .

٧ ــ السيوطي : جلال الدين (٨٤٩ ــ ٩١١) .

أ ــ الأشباه والنظائر في الفروع .

بهامشه : المواهب السنية شرح الفوائد البهية سنة ١٣٣١ .

ب ــ متشابه القرآن سنة ١٣١١ .

جـ ــ نور اللمعة في خصائص الجمعة بهامش صلح الجماعتين للشيخ أحمد الخطيب المنكاباوي ، ١٣١٢ هـ ، ٦٨ ص ، ٢٦ سم .

٨ ــ ابن العربي : محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨ هـ) ــ الفتوحات المكية ، سنة ١٣٠٦ ، ١٤٤ ص ، ٢٨ سم .

٩ ــ الغزالي : أبو حامد محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) ــ جواهر القرآن ودرره ، سنة ١٣٠٢ هـ . ــ كتاب الأربعين في أصول الدين : وهو القسم الثالث من جواهر القرآن سنة ١٣٠٢ ، ١٠٨ ص .

١٠ ــ الفاكهي : جمال الدين (٨٩٩ ــ ٩٧٢ هـ) ــ حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل .

بهامش خلاصة الوفاء للسمهودي . سنة ١٣١٦ .

١١ ـــ القاري : نور الدين علي بن سلطان (ت ١١٠٤ هـ) .
أ ـــ الحرز الثمين للحصن الحصين (حاشية على الحصن الحصين للنووي) .
على هامش الدر الغالي شرح إرشاد المتحلي من سنن النبي العالي لقمان القونيوي ، سنة ١٣٠٤ هـ .

ب ـــ الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ، طبع حجر سنة ١٣٠٧ هـ .

جـ ـــ المسلك المتقسط في المنسك المتوسط شرح على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندي (ت ٩٩٣) .

بهامشه كتاب أدعية الحج والعمرة لقطب الدين النهر والي سنة ١٣١٩ ، ص ٣٠٨ + ٤ ، ٢٦ سم ...

د ـــ المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية في علم تجويد القرآن المجيد مع شرح لطاش كبرى زاده سنة ١٣٠٣ ، ١١٩ ص .

١٢ ـــ ابن القيم : شمس الدين أبو عبدالله الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) التبيان في أقسام القرآن . سنة ١٣٢١ هـ .

١٣ ـــ الكناني : عبد العزيز بن يحيي بن مسلم ـــ الحيدة ، سنة ١٣٣٩ هـ ، ٩٦ ص ، ٢٠ سم .

١٤ ـــ الكيلاني : أبو الحسن علي بن هشام ـــ شرح التصريف العربي .
بهامشه التصريف المذكور . سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ٤٠ .

١٥ ـــ ابن مالك : جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مالك ـــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو .

محلى بهوامش وفوائد منتخبة من شرحي المتن المذكور للمصنف والعلامة الدماميني . سنة ١٣١٩ هـ ، ٨٨ + ٥ ص .

١٦ ـــ ابن المقرب ـــ ديوانه ، سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٢٠ ص .

١٧ ــ **النووي** : **محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف بن بري النوبي الشافعي** ــ الإيضاح في المناسك على مذهب الإمام الشافعي . سنة ١٣١٦ هـ ، ٢٦ ص ، ٢٦ سم .

ــ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . سنة ١٣٠٢ هـ ، وسنة ١٣١٢ هـ ، ص ١٤٢ .

ــ منهاج الطالبين وعمد المفتين .

بهامشه : منهج الطلاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري . سنة ١٣٠٦ هـ .

١٨ ــ النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد (ت ٩٩٠ هـ) ــ أدعية الحج والعمرة ، ١٣١٩ ، هـ ٣٠٨ ص .

بهامش المسلك المتقسط في المنسك المتوسط لملا على القاري .

١٩ ــ الونائي : علي بن عبد البر الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) ــ عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتماد .

يليه نبذة في مناقب المؤلف المذكور ، ورسالة في طواف الحائض لـ[ابن] البارزي (؟) ، وبهامشه مختصر الإيضاح لابن حجر الهيثمي سنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص .

٢٠ ــ الهيثمي : ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حمد بن علي (ت ٩٧٤ هـ) ــ مختصر الإيضاح (في الفقه) .

على هامش عمدة الأبرار في أحكام الحاج والاعتمار . سنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص ــ انتهى النقل عن الدكتور الضبيب بشأن المطبعة الميرية .

ومما وجدنا من مطبوعات «الميرية» :

١ ــ **الرضا والقبول** في فضائل المدينة وزيارة الرسول . تأليف أحمد بن محمد أحمد الحضراوي . مكة . المطبعة الميرية ١٣١٤ ، ٨١ ، ١٥ ص ــ على هامش كتاب العقد الثمين في فضائل البلد الأمين (للمؤلف) .

٢ ــ **العقد الثمين** في فضائل البلد الأمين مكة ، المطبعة الميرية ١٣١٤ هـ ، ٨١ ص ويظهر أن الصفحات هكذا ٨١ ، ١٥ .

وذكر ساعاتي — «مؤلفات ومراجع» ص ٧٦ : ... الرضا ...، ٩٦ ص ... العقد ...، ٩٦ ص .

ينظر عن الحضراوي القوائم السابقة ، وأعلاه في التسلسل الهجائي للأعلام ... توفي الحضراوي عام ١٣٢٧ — ينظر عمر عبد الجبار ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

٣ — نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين . المدني البرزجي مكة ، المطبعة الميرية ١٣٠٣ — يذكر ساعاتي أنه في ١١٩ ص .

ملاحظة : أعيد طبع هذا الكتاب بالقاهرة ، مطبعة الجمالية ١٣٣٢/ ١٩١٤ ، ١١٧ ص + ٣ كتب عليه الطبعة الأولى ، وفيها ما يدل على طبعة مكة «الميرية المكية» ١٣٠٣ ، وأن المؤلف ألف كتابه هذا سنة ١٢٨٧ .

وجاء العنوان هكذا : «هذا التاريخ المسمى نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين» .

ولم أطلع على الحلقة الرابعة من بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب عن «حركة إحياء التراث» فقد يكون فيها شيء من مطبوعات الميرية .

ومن مطبوعات الميرية ديوان ابن المقرب ربيع الثاني ١٣٠٧ ينظر أعلاه علي بن المقرب .

وترد في كتاب «معجم المطبوعات» لسركيس أسماء كتب يقول إنها طبع مكة ، دون أن يحدد اسم المطبعة . وأكبر الظن أنه يقصد المطبعة الميرية فقد قال ذلك مثلاً بصدد كتب نعلم أنها من طبع «الميرية» . ومما ذكر سركيس :

أدعية زيارات المدينة المنورة ، طبع حجر مكة ١٣١٦ (سركيس ص ١٩٩١) .

فتاوي الشيخ سليمان بن محمد الكردي ، وبهامشها فتاوي الشيخ محمد صالح الرسي ، الزبيري ، مكة ١٣٠٧ ، ٣٠٤ ص (سركيس ١٥٥٣) .

مجموعة طبع مكة ١٣٠٤ ، ٤٦ ص فيها :

١ — منهل العطشان على فتح الرحمن للسيد زيني دحلان .
٢ — شرح الشيخ محمد نووي المسمّى بحلية الصبيان علي فتح الرحمن .

حول مدينة جدة

[دُعيت للتحدث إلى الطلاب والطالبات في (جامعة الملك عبد العزيز) في مدينة جدة ليلة الاثنين ٢١ جمادي الأولى سنة ١٤٠٠ (٧ إبريل ١٩٨٠ م) فكان مما تحدثت به تلك الليلة هذه الكلمة التي أكتفي بنشر جزء منها ، لأن ما يتعلق بوصف المؤلفات عن تاريخ تلك المدينة ، تحدثت عنه في مجلة «العرب» بعنوان (مؤرخو مدينة جدة) وفي مقدمة رسالة المؤرخ الحضراوي التي نشرت في تلك المجلة[1] .

رحم الله عبد المطلب محمداً حيث يقول :

---

٣ ــ فتح الأقفال لشرح تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزوري .

وتحت اسم : ملا علي القاري (سركيس ص ١٠١٤) :

نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي .

الحرز الثمين للحصن الحصين ، طبع شرح عليه لعثمان وهبي القونوي ، مكة ١٣٠٤ .

الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ــ جمع فيه ما ورد في الحديث من الأدعية .

طبع حجر مكة ١٣٠٧ .

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية (تجويد) ... مع شرح لطاش كبرى زاده ، مكة ، ١٣٠٣ ، ١١٩ .

وفي أوراقي ما يشير إلى أن الآثار الآتية طبع مكة :

شرح رسالة حقائق البيان في علمي العروض البيان للمفتي زاده عبد الرزاق الأنطاكي ، ورسالة في علم الأدب والمناظرة له ، متن الآجرومية لابن آجروم ، صلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين للشيخ أحمد الخطيب ، رياض الصالحين للشيخ النووي .

كلية الآداب : جامعة بغداد   علي جواد الطاهر

---

(١) «العرب» ش ٢ ص ١٩٣ وس ١٣ ص ٤٠٤ وما بعدها وس ١٤ ص ١٠٩ .

ذكريات وأحاديث

حول مدينة جدة

[دُعيت للتحدث إلى الطلاب والطالبات في (جامعة الملك عبد العزيز) في مدينة جدة ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ (٧ إبريل ١٩٨٠م) فكان مما تحدثت به تلك الليلة هذه الكلمة التي أكتفي بنشر جزء منها ، لأن ما يتعلق بوصف المؤلفات عن تاريخ تلك المدينة ، تحدثت عنه في مجلة «العرب» بعنوان (مؤرخو مدينة جدة) وفي مقدمة رسالة المؤرخ الحضراوي التي نشرت في تلك المجلة[1] .

رحم الله عبد المطلب محمداً حيث يقول :

---

٣ ــ فتح الأقفال لشرح تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزوري .

وتحت اسم : ملا علي القاري (سركيس ص ١٠١٤) :

نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي .

الحرز الثمين للحصن الحصين ، طبع شرح عليه لعثمان وهبي القونوي ، مكة ١٣٠٤ .

الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ــ جمع فيه ما ورد في الحديث من الأدعية .

طبع حجر مكة ١٣٠٧ .

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية (تجويد) ... مع شرح لطاش كبرى زاده ، مكة ، ١٣٠٣ ، ١١٩ .

وفي أوراقي ما يشير إلى أن الآثار الآتية طبع مكة :

شرح رسالة حقائق البيان في علمي العروض البيان للمفتي زاده عبد الرزاق الأنطاكي ، ورسالة في علم الأدب والمناظرة له ، متن الآجرومية لابن آجروم ، صلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين للشيخ أحمد الخطيب ، رياض الصالحين للشيخ النووي .

كلية الآداب : جامعة بغداد   علي جواد الطاهر

---

(١) «العرب» ش ٢ ص ١٩٣ وس ١٣ ص ٤٠٤ وما بعدها وس ١٤ ص ١٠٩ .

لي في ظِلالك مَـرْتَـعٌ ومَقِيـل   رَوْضٌ أغَنُّ ومَـرْبَـعٌ مـأهول

فلقد كانت لي في هذه المدينة الكريمة ذكرياتٌ ما زالت تتجددُ وتزداد منذ سبع وخمسين وثلاث مئة وألف ، حين فُصِلْتُ من وظيفة القضاء ، فعدتُ للعمل في المعارف ، معاوناً لمعتمدها الأستاذ عمر بن الشيخ محمد حسين نصيف — رحمهما الله — فسكنت في المدرسة الابتدائية التي يتولى الأستاذ عمر إدارتها ، واشتغلت في التدريس فيها ، وكانت المدرسة تحوي مكتبة تضم من نفائس الكتب ما يندر وجود مثله في كثير من مكتبات ذلك العهد .

كان الثريُّ الأمريكي المعروف (كراين) قد زار هذه المدينة لمقابلة الملك عبد العزيز — رحمه الله — فأظهر لرئيس الديوان في ذلك العهد الشيخ إبراهيم بن معمر رغبتَهُ في تقديم هدية لتلك المدرسة ، فاقترح ابنُ معمَّر أن تكون كتباً ، فأجزلها المُهدي ، وأُحْسِن اختيارها .

ثم عرفتُ سَرِيَّ هذه المدينة وشيخَها الشيخ محمد حسين نصيف معرفة مكنتني من الاطلاع على كثير مما في مكتبته النفيسة من نوادر الكتب ، مخطوطها ومطبوعها . وقد أنعم الله عليّ — فيما أنعم — بفراغٍ من الوقت ، فاتجهت إلى المطالعة اتجاهاً شغل ما أُحسُّ به من فراغ .

ولا أزال أذكر كلمة لرجل كان ذا يدٍ كريمة عليَّ لا أنساها هو العالم الجليل السيد محمد طاهر الدباغ فقد زار جدة ، فبات في المدرسة ، فما شعرت آخر الليل وأنا داخل المكتبة إلا به يخاطبني قائلاً : أرفق بنفسك يا رجل إنَّ لبدنك عليك حقاً .

وأذكر أن في إحدى زياراتي المتكررة للشيخ محمد نصيف طلبت منه إطلاعي على جزء نُسِخَ له من صنعاء من كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي ، فأمر فتى كان على مقربة منه بإحضار الكتاب ، بعد أن ذكر له مكانه ووصفه بأنه مجلد أسود كبير ، فأحضر الفتى كتاباً تنطبق عليه الصفة ، فلما فتحته وجدته أحد مجلدات جريدة «القبلة» فعاتب الشيخ الفتى على جهله ، فقلت : (ما يعرف للخيل إلا ركابها) فنهض الشيخ مسرعاً وهو يردد هذه الكلمة حتى أحضر لي الكتاب . وصار تكرارُ تلك الكلمة دَيْدَنَهُ

ـــ تغمده الله برحمته ـــ كلما رآني داخلاً عليه ، وما أكثر ما كان يراني ، ومن ذا الذي لا يعرف سماحة خلق الشيخ وكرم خلاله ، ونفاسة ما تضمنه مكتبته من الكتب ، ولا يكثر الترداد على منزله الذي كان مقصداً لرجال الفضل والعلم طيلة حياته .

حين سألت (ماريانِلِّينو) منذ عشرين عاماً حين زرت (معهد الشرق للدراسات) في مدينة روما ، وعرفت أنها أتت إلى جدة سألتها عن أحسن ما شاهدته فيها ، قالت : مكتبة الشيخ نصيف .

في هذه المدينة ، وفي مكتبتها في ذلك العهد ، أدركت أثر المطالعة في صقل الذهن ، وتنمية الموهبة ، واستزادة المعرفة ، بل أحسست ـــ فوق ذلك بأثرها القويّ في إتاحة الراحة للنفس ، وفي البعد بها عن كل ما يؤثر في صفائها وحيويتها .

وأذكر أنني عندما أُصبت بفقد ابني محمد ، بحادث مفاجيء من حوادث بيروت ، كاد الأسى يستولي عَلَيَّ ، فاتجهت للمطالعة بل ألزمت نفسي دراسة كتاب لم أقرأه من قبل . حتى أحسست أنني أعيش في جوٍّ بعيد عما يحيط بي ، بحيث أوشكت أن أنسى ما أُصبت به .

وكنت كثيراً ما أستغرق في المطالعة فيطغى على مشاعري من الراحة ما يذكرني بقول الصوفيّ القديم : لو علم الملوك وأشباه الملوك بما نحن فيه من سعادة لجالدونا عليه بالسيوف ـــ أو ما هذا معناه ـــ

وعندما أرادت إحدى فتياتنا أن أكون المتحدث الليلة لم أستجب للرغبة في تحديد الموضوع ، بل رأيت أن يكون حديثي حول هذه البلدة الكريمة ، ولكن ماذا أقول :

مـا أرانـا نـقـول إلا مُـعَـاراً أو مُعَاداً من قولنا مكرورا

فليكن ذلك ، ولتكن التبعة على من تَوَسَّم فيَّ خلاف ما أتَّصِفُ به . ومن جاد لك لما لديه فلا لوم عليه .

ولن أكون ضنيناً بما أستطيع أن أعبر به عن الوفاء لهذه المدينة الكريمة مما يتعلق بتاريخها القديم .

بين جدة والشُّعيبة

يجد الباحث في كثير من الكتب المتعلقة بتاريخ مكة المكرمة نصوصاً صريحة في أن الشعيبة كانت ميناء مكة قبل جدة ، وأن أول من اتخذ جدة ميناء لمكة هو الخليفة عثمان بن عفان — رضي الله عنه — سنة ست وعشرين من الهجرة .. ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي — ونصه[1] :

ثم إن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشُّعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش ، فركبوا إليها وأخذوا خشبها ورُومياً كان فيها يقال له باقوم نجاراً بنَّاءً ، فلما قدموا به مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا فاجتمعوا لذلك . انتهى .

وقال ابن حجر في الإصابة[2] :

وقصة بناء الروميّ الكعبة مشهورة وقد ذكرها الفاكهيٌّ وغيره في رواية عثمان بن ساج عن ابن جريج كان روميٌّ يقال به باقوم يتّجِر إلى المندب فانكسرت سفينته بالشعيبة فأرسل إلى قريش : هل لكم أن تجروا عِيْري في عِيرِكم يعني التجارة وأن أُمِدَّكُمْ بما شئتم من خشب ونجار فتبنوا بَيْتَ إبراهيم .

وفي «معجم البلدان»[3] :

عن وهب بن منبِّهٍ أن سفينة حَجَتْها الريحُ إلى الشُّعيبة ، وهو مرفأ السفن في ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة ، فاستعانت قريش في تجديد عمارة الكعبة بخشب تلك السفينة .. انتهى .

ولا أطيل بإيراد مثل هذه النصوص التي يظهر أنها ترجع إلى مصدر واحد ، وقل أن يخلو منها كتاب تعرض لذكر بناء الكعبة المعظمة قبل ظهور الإسلام ولكنني سأعرض نصوصاً أخرى تعارضها ، وتدل على قدم جدة ، واتخاذها ميناء لمكة قبل عهد عثمان رضي الله عنه .

---

(١) ج١ ص ١٥٧ — نشر (دار الأندلس) في بيروت .

(٢) ج١ ص ١٣٧ — الترجمة رقم ٥٨٣ .

(٣) رسم (الشعيبة) .

منها ما ذكره ابن الكلبي المتوفي في أول القرن الثالث الهجري (سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ — في كتاب «الأصنام» أن أصنام قوم نوح دفنتها الريح في شاطىء جدة قال :

وكان عمرو بن لُحَيٍّ سيّد خزاعة كاهناً وكان له رَئِيٌّ من الجن فأتاه فقال : ائت جدة ، تجد فيها أصناماً مُعَدَّة ، فأوردها تِهامةَ ولا تَهَبْ ، ثم ادْعُ العرب إلى عبادتها تُجَبْ . فأتى جدة فاستثارها ثم حملها حتى أوردها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها . وقال ابن الكلبي أيضاً عن صنم سعد[1] :

كان لبني ملكان من كنانة بساحل جدة ، وكان صخرة عظيمة تُهْرَاق عليها الدماء ، فأقبل رجل منهم بابله ، فنفرت فأخذ حجراً فرماه به ثم قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فَشَتَّتَنا سعد ، فلا كان من سعد
وما سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رشد

وذكر ابن الكلبي — فيما نقله عنه البكري في «معجم ما استعجم»[2] وغيره أن جدة بن جرم بن ربّان من قضاعة وُلد في جدة ، فسمى جُدَّةَ باسم الموضع . انتهى .

وجُدَة بن جرم هذا كان قبل الإسلام بدهر .

وجاء في كتاب «المناسك»[3] ومؤلفه من أهل القرن الثالث :

وأقبل تاجر من الروم يقال له باقوم حتى إذا كانت سفينته من وراء جدة وأقبل من مندل ساحل من وراء عدن انكسرت سفينته فأرسل إلى قريش هل لكم في أن تبنوا بيت إبراهيم وأعينكم بما شئتم من آلةٍ أو نجّار أو بانٍ على أن عليكم حمل ذلك إليكم . على أن تخفروا ليّ تجارتي في عِيركم إلى الشام قالوا نعم .

وأورد ابن كثير في «البداية والنهاية»[4] .

---

(١) «معجم البلدان» سعد .

(٢) ١٧ — الطبعة المصرية .

(٣) ٤٨٦ .

(٤) ٣٠١/٢ .

عن موسى بن عقبة ،وهو من أوائل المؤرخين ومؤلفه في السيرة النبوية له منزلة عند المحدثين تفوق منزلة كتاب ابن اسحاق : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة ، فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحاً فحطمها .

وجاء في كتاب «السيرة النبوية»[١] لابن هشام فيما رواه عن ابن اسحاق : وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار .

وأورد ابن سعد في «الطبقات» أن أهل جدة ترأأوا أناساً من الحبشة قد أقبلوا لغزوهم ، فأرسل الرسول ﷺ سرية علقمة بن مجزر المدلجي ، لرد الغزاة[٢] .

وذكر ابن هشام في كتاب «السيرة النبوية»[٥] أن صفوان بن أمية هرب من مكة لما فتحها رسول الله ﷺ ، ويريد جدة ليركب منها إلى اليمن حتى ورد عليه أمان الرسول ﷺ فرجع .

من تلك النصوص وغيرها مما يجده الباحث مفرقاً في المؤلفات القديمة يمكن القول بقدم جدة ، وشهرتها ، واتخاذها مرفأ لمكة قبل الشعيبة .

ولعل ما نسب إلى عثمان — رضي الله عنه — من اتخاذها مرفأ لمكة ناشيء عن ضعف ميناء الشعيبة في عهده ضعفاً نشأ عن اتجاه الحركة التجارية إلى الموانيء الغربية لبحر القلزم (البحر الأحمر) بعد فتح مصر والشام .

ويفهم مما أورده ابن الكلبي[١] أن جدة من أقدم مدن جزيرة العرب . إلا أن

---

(١) ١٩٣/١ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧ .

(٢) والغريب أن ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة علقمة نقل عن الواقدي أن السرية كانت إلى ناس بساحل الشعيبة .

(٣) ٤١٧/٢ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٥ .

([]) مع ما وصم به ابن الكلبي من عدم الثقة برواياته وأخباره ، إلا أن ما دونه من أخبار العرب قبل الإسلام له قيمة لدى الباحثين . ورحم الله ياقوتاً حين قال في وصفه بعد أن استشهد بكلامه في معنى المثل (أخلى من جوف الحمار) قال : ولله دره ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا كان قوله حجة ، وهو مع ذلك مظلوم ، وبالقوارص مكلوم «معجم البلدان» — رسم جوف الحمار — .

تاريخها — كغيرها من مدن الجزيرة — قبل ظهور الإسلام لا يزال مجهولاً .

وفي العهد الإسلامي وجدت عناية من بعض المؤرخين والرحالين ، بتدوين بعض الأخبار المتعلقة بها ، وبوصف أبرز معالمها .

فقد أصبحت ميناء لمكة المكرمة ، وثغرا يحافظ عليه لحماية المدينة المقدسة ولهذا جاء في حديث رواه الفاكهي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مكة رباط وجدة جهاد» .

ووردت آثار عن بعض السلف في فضل المرابطة فيها وعرفت بأنها خزانة مكة — كما في تاريخ الفاكهي وغيره — وورد وصفها في قصيدة لأحد شعرائها في القرن الثاني الهجري :

وأنا الفتى العجليُّ جدة مسكني وخـزانـة الحرم التي لا تجهـل

ومما يستأنس به على قدمها القول بأن قبر أم البشر بها ، فقد نقل مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام» عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن قبر حواء بجدة ، ولكن ليس كل ما نسب إلى ابن عباس ثابتاً عنه ، ولما نقل تقي الدين قول الرحالة ابن جبير أنه كان بجدة موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنها منزل حواء أم البشر أضاف : ولعل هذا الموضع هو الذي يقال له قبر حواء ، وهو مكان مشهور بجدة ، إذ لا مانع من أن تكون نزلت فيه ، ودفنت فيه ، ثم استبعد أن يكون قبر حواء في ذلك الموضع لكون ابن جبير لم يذكره ، ولغيره أن يضيف بل لم يكن معروفاً لدى من تقدمه من العلماء .

مؤلفات عن جدة

ولقد كان اتجاه العلماء الذين تحدثوا عن هذه المدينة منصّباً على فضائلها وأخبار الفضائل منزلتها معروفة لدى محققي العلماء .

وتحسن الإشارة — قبل ذكر المؤلفات المتعلقة بجدة — إلى ما جاء عنها في كتاب [1]

(١) يسمى (تاريخ المستبصر) وقد نقل عنه بعض المتقدمين من مؤرخي اليمن كالخزرجي والعيدروس وغيرهما .

نشره المستشرق المعروف (أوسكار لوف جرين) لرحالة فارسي زار ميناء عدن ثم زار جدة ومكة والمدينة ، فقد نشرت خلاصة وصفه لهذه المدن قبل أربعين عاماً في جريدة «البلاد» .

وقد أتى هذا الرحالة بغرائب هي بالخرافات أشبه مع إيراده معلومات أخرى على درجة من الدقة ـ كحالة كثير من الغربيين الذين يكتبون عما يشاهدونه في بلادنا الآن .

يدعى ذلك الرحالة ابن المجاور ، ولهذا وقع الخلط بينه وبين سَميٍّ له عاصره في الزمن ، وكان معروفاً بخلاف ذلك الرحالة الذي يحسن الوقوف عند ذكر اسمه . عرف بـ(ابن المجاور) فيما اطلعت عليه من الكتب :

١ ـ يوسف بن الحسين بن محمد ، الفارسي الأصل ، وقد ولد بدمشق ، وبها توفي سنة ٦٠١ تقريباً ، وقد ترجمه الأستاذ الزركلي في الإعلام (٣٠١/٩) ونقل عن ابن سعيد الأندلسي صاحب كتاب (الغصون اليانعة ص ١٩) قوله : بيت بني المجاور ، بدمشق مشهور ، لزمهم هذا النسب من جدّهم ، ورفض جنة الدنيا دمشق ، ولزم المجاورة بمكة ، فعرف بالمجاور ، ومن شعر يوسف بن المجاور :

صديق قال لي لما رآني وقد صليت ـ من زهد ـ وَصُمْتُ
على يد أيِّ شيخ تبت ؟ قل لي فقلت : على يد الافلاس تبت

٢ ـ يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ، المولود بدمشق سنة ٦٠١ المتوفي سنة ٦٩٠ ـ وقد وصف هذا بأنه من الكتاب ، ومن علماء الحديث وقد ترجمه الأستاذ الزركلي وغيره ، ولكن الأستاذ الزركلي (قلّد) ، المستشرق «بروكلمان» أو غيره فنسب إليه الكتاب المسمى «تاريخ المستبصر» وليس له هذا الكتاب ، ونسبته إليه خطأ ، ومنشأ هذه النسبة أن النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب ، المحفوظة في مكتبة (أيا صوفيا) في اصطنبول تحت رقم (٣٠٨٠) والمخطوطة في ٢٨ ذي القعدة سنة (١٠٠٣هـ) قد كتب في طرتها : (تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي رحمه الله رحمة الأبرار) .

ولأجل هذه الكتابة نسب الكتاب إلى ابن المجاور الدمشقي الشيباني كثيرون كان آخرهم المستشرق الذي قام بطبعه في (ليدن) . ولكن تلك الكتابة متأخرة ويظهر أن أحد القراء رأى جملة (قال ابن المجاور) التي تتكرر كثيراً في الكتاب فظنه الدمشقي بدون إمعان نظر ، فكتب في طرته ما كتب .

٣ ــ ابن المجاور مؤلف كتاب (المستبصر) .

إن كل من ينعم النظر في كتاب «المستبصر» يتضح له بجلاء أنه ليس لابن المجاور الشيباني للأسباب الآتية :

١ ــ أن مؤلف هذا الكتاب رجل عاميٌّ يكثر في كلامه اللحن .

٢ ــ إنه لم يرد في ذلك الكتاب ما يدل على معرفة مؤلفه بدمشق ، بينما يتكرر فيها أسماء كثير من البلاد الفارسية .

٣ ــ أنه صرح في مواضع بأنه نيسابوري ، وذكر في أحد المواضع أن سائلاً سأله : هل ترون سهيلاً في خراسان ؟ .

٤ ــ أنه أورد اسم أبيه وجده وهما يخالفان اسم أبي ابن المجاور الدمشقي وجده .

٥ ــ أنه سافر من «الديبل» في إقليم السند سنة ٦١٨ ــ وسجل ما شاهده في رحلته ، بينما ابن المجاور في ذلك العهد لم يتجاوز الـ١٧ عاماً ولم يذكر مؤرخوه أنه سافر من دمشق إلى الهند ثم عاد منها .

٦ ــ أنه شاعر باللغة الفارسية ، فقد أورد بعض شعره وأشعاراً فارسية أخرى .

٧ ــ أن من يطالع ذلك الكتاب يتضح له من خلال اضطراب ترتيبه في التأليف وسذاجة أسلوبه ، كون مؤلفه من العامة ، لا من العلماء بخلاف ابن المجاور الدمشقي الشيباني .

قدم الرحالة الفارسيُّ ابنُ المجاور من الدَّيْبُلِ إلى عدن في أواخر سنة ٦١٨ ، وكان في زبيد سنة ٦١٩ ، ووصل إلى جدة سنة ٦٢١ ، حيث كان هذه السنة فيها ، ثم في مكة ، في دارة الإمارة .

ووالد هذا يدعى محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري .

ووصل إلى المَهْجَم — في اليمن في تهامة ، في المكان الذي قتل فيه الصُّلَيْحي سنة ٦٢٦ — وذكر في كتابه وقائع وحوادث حدثت سنة ٦٢٦ كبناء المنصورة وتسميتها القاهرة (ص ٥١٧ نسختي الخطية) .

هذا الرحالة هو أول من رأيته نسب عمارة جدة إلى الفرس ، فقد قال في رحلته : (بناء جدة : حدثني موسى بن مسعود النساخ الشيرازي ، قال : لما أسلم سلمان الفارسي — رضي الله عنه — تسامعت أهلوه بالخبر ، فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله ﷺ وسكنوا جدة ، لأنهم كانوا تجاراً .

وقال بعضهم : بل هي من بناء يَزْدَجُرْدَ بن برويز بن يزدجرد بن شَهْرَيَار بن بَهْرَام — إلى أن قال — : فلما خربت سيراف انتقلت أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر ، فوصل قوم منهم ، وفيهم اثنان : أحدهما يسمى سيّار ، والثاني ميّاس ، فسكنوا جدة ، وأداروا على البلد سورا من الحجر الصم بالجصّ ، فلما ابتدأوا بالمقام بها بنوا هذا السور — ثم أورد ما ذكره ابن فهد ، وسيأتي ولم يصرح بالنقل عنه .

وقد أورد ابن المجاور بياناً بأسماء صهاريج جدة ، وقال : (كانت العبيد تنقل مياه الصهاريج على الدواب ، فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور ، وكذلك صهريج الأخميمي ، وصهريج مسجد الأبنوس ، وصهريج الجامع ، وصهريج بردريه ، وصهريج محمد بن القاسم ، فكان الماء يبقى عندهم من العام إلى العام ، وهم في أكل وشرب ، وهرج ومرج — ثم رسم صورة لمدينة جدة غير واضحة قائلاً : وصورتها على هذا الوضع والترتيب — وأورد فصلاً بعنوان : (ذكر خراب جدة) أورد فيه خبرا أقرب إلى الخرافة من الحقيقة ، وحدد ذلك في سنة ٤٧٣ هـ وقال في فصل عنونه بـ(ذكر فضيلة جدة) . قال : (قال ابن المجاور : وما أظن هذه البركة إلا من جهة أم البشر حوّى[١] — صلوات الله عليها — لأنها مدفونة بظاهرة جدة ، وكان الفرس قد بنوا عليها

(١) الغريب أن كتابة الاسم بهذه الصورة نجده في كثير من الكتب ، ككشفاء الغرام ، وتواريخ جدة .

وقفات حول

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

— المعجم المختصر —

يقول المثل الصيني : (من علمني حرفاً فهو أبي مدى الحياة) .

ضريحاً بالآجر والجص ، محكماً ، فبقي إلى سنة إحدى وعشرين وستمائة ، فعند هذا التاريخ تهدم ، وارتدم بعضه على بعض ، ولم يعد بناؤه ، ورأيته عامراً قائماً ، وقد رأيته خراباً وقد ارتدم بعضه على بعض) .

وذكر أشياء تتعلق بجباية المكوس في جدة ، كما فصل أسماء المواضع الواقعة بينها وبين مكة ، بما لا يخلو من فائدة .

ومما تجب ملاحظاته أن كثيراً مما ذكره لا يستند على أساس صحيح ، فلم يذكر أحد من المؤرخين المتقدمين — فيما علمت أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — وأهله سكنوا جدة ، ولم أجد ذكراً لخبر إنتقال أهل سيراف إلى جدة في غير كتاب ابن المجاور .

وبالإجمال فما ذكره هذا الرحالة من الأمور التي يستطرف ذكرها ، ولا ينظر إليها كقاعدة تاريخية يعتمد عليها كما فعل ابن فهد وغيره ممن اعتمد على أقوال ذلك الرحال ومن أقدم من عرفته أفرد الكلام عن تاريخ جدة ، أو فضائلها في كتابه .

١ — ابن فهد المكي (٨٩١ — ٩٥٤هـ) .

جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي[٢] ، فهذا قد أقام بجدة مدة من الزمن وتولى بعض الأعمال الدينية فيها ، وألف رسالة في فضلها وأحوالها تتضمن لمحات واضحة من تاريخها .

حمد الجاسر

---

(١) أنظر ترجمته في مجلة (العرب) م٢ ج٢ ص ١٠٤ .

وقفات حول

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

— المعجم المختصر —

يقول المثل الصيني : (من علمني حرفاً فهو أبي مدى الحياة) .

ضريحاً بالآجر والجص ، محكماً ، فبقي إلى سنة إحدى وعشرين وستمائة ، فعند هذا التاريخ تهدم ، وارتدم بعضه على بعض ، ولم يعد بناؤه ، ورأيته عامراً قائماً ، وقد رأيته خراباً وقد ارتدم بعضه على بعض) .

وذكر أشياء تتعلق بجباية المكوس في جدة ، كما فصل أسماء المواضع الواقعة بينها وبين مكة ، بما لا يخلو من فائدة .

ومما تجب ملاحظاته أن كثيراً مما ذكره لا يستند على أساس صحيح ، فلم يذكر أحد من المؤرخين المتقدمين — فيما علمت أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — وأهله سكنوا جدة ، ولم أجد ذكراً لخبر إنتقال أهل سيراف إلى جدة في غير كتاب ابن المجاور .

وبالإجمال فما ذكره هذا الرحالة من الأمور التي يستطرف ذكرها ، ولا ينظر إليها كقاعدة تاريخية يعتمد عليها كما فعل ابن فهد وغيره ممن اعتمد على أقوال ذلك الرحال ومن أقدم من عرفته أفرد الكلام عن تاريخ جدة ، أو فضائلها في كتابه .

١ — ابن فهد المكي (٨٩١ — ٩٥٤هـ) .

جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي [٢] ، فهذا قد أقام بجدة مدة من الزمن وتولى بعض الأعمال الدينية فيها ، وألف رسالة في فضلها وأحوالها تتضمن لمحات واضحة من تاريخها .

حمد الجاسر

---

(١) أنظر ترجمته في مجلة (العرب) م٢ ج٢ ص ١٠٤ .

والحقيقة التي يجب أن تقال هي : أننا تعلمنا منك الكثير ... الكثير صحيح أني لم ألْتق بكم قط ، ولكني عرفتك عن طريق مؤلفاتك القيّمة ومقالاتك الهادفة ..

إن قبيلتي خَثْعَم وبَلْحارث من القبائل الكبيرة في منطقة الجنوب . ولهذا فقد تتبعت كل ما ورد في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» عن هاتين القبيلتين الكبيرتين لعلي أُصَحِّحُ خطأً ، أو أُضِيْفُ مَوْضعاً ، أو أَسْتَبْعِد اسْماً . بحيث تأتي المعلومات في النهاية صحيحة .. ومطابقة للواقع .

وأَرْجعَتُ كُلَّ سكان قرية إلى أصلهم .. وذلك تلبية لكلامكم في مقدمة المعجم (في ص ٩) وحيث أنّ هذا واجبٌ عليَّ كقاريء أولاً وكابْنٍ من أبناء تلك المنطقة ، فقد أحببت أن أرسل لكم هذه الملاحظات أرجو أن أكون قد ساعدت بها في إخراج جزءٍ من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» بالصورة الصحيحة ، وقد تعمدت أن أورد الاسم كما ورد في المعجم بدون تحريف أو تبديل ثم أُورد رقم الصفحة بعده مباشرة وبعد ذلك أكتب الصورة الصحيحة للاسم . وذلك لِتَتَسَنَّى معرفة الفرق الذي يكون في بعض الأحيان يسيراً بين الصورتين .

ويطيب لي في هذه المقدمة أن أُحدثكم عن هاتين القبيلتين في عُجَالةٍ موجزة :

أولاً : بَلْحَارث :

ويسكنون وادي تَرْج وحَوْران والْبهيم ووادي المُسَمَّى ، وفي اعتقادي أنهم في الأصل من رجال الْحَجْر ، ومعظمهم بادية يتتبعون مساقِطَ الغَيْث ومَنَابِتَ الْكَلإِ بالرغم من وجود مزارعٍ لهم إلا أنهم لا يَرْتَادُونها إلاّ في وقتِ الخريف — موسم الرُّطَب في النّخيل — لأنّ معظم مزارعهم نخيل .

وقد علمت أن الشيخ جابرا الطيب رئيس محكمة بيشَةَ سابقاً وعضو هيئة التمييز بمكة الآن كتب عنهم[1] وقد استفسرت من فضيلته خَطِّياً وقال : إنَّ المؤلف لا يزال مخطوطاً

(١) كتب عنهم في «العرب» الشيخ الطيب علي ثم عقب على ما كتب الأخ عمر غرامة العَمْروي في «العرب» وتحدث عنهم في كتابه «بلاد الحَجْر» . وانظر «العرب» س٦ ص ٦٠٩ وس٧ ص ٨١٧ .

وسوف يدفع به الى المطبعة قريباً .

ويعرف هؤلاء ببلحارث تَرْجٍ تميزاً لهم عن بَلْحارث الطائف ، والذين يرجعون في أصلهم الى بلحارث تَرْج .

فخوذ بلحارث :

أولاً : الحَلاَفَاتُ وهم عدة فروع :

أ ــ آل قِسْبَةَ

ب ــ آل غَنِيْمَةَ

جـ ــ آل بَطْحَان

د ــ بني علاء .

ثانياً : الخَشَارِمَة : وهم :

أ ــ آل عاطِف

ب ــ القَنافِذَة

جـ ــ هَمَّاس

د ــ الشحُوْف

هـ ــ آل الصَّمَّاء .



ثالثاً :

١ ــ آل مُرِيْر .

٢ ــ آل فاضل .

رابعاً : آل خالد : وهم :

أ ــ المُوامِرَة

ب ــ الحُصَنَة

جـ ــ الحرشة

د ــ آل مَهْدِيَّه

هـ ـــ الحراملة .

خامساً : الآذَارُ : وهم :

أ ـــ الشْمَلَة .

ب ـــ الخِرَمَة (بكسر الخاء وفتح الراء والميم فهاء بعدها .

جـ ـــ البُطْلاَن .

د ـــ آل الرَّبيّع .

هؤلاء جميعاً هم بَلْحارث .

ثانياً : بني خَثْعَم

وهم كثيرون ومعظم هذه القبيلة يسكن في الريف وهي قبيلة عريقة في التاريخ هاجر معظم أفرادها للمشاركة في الفتوح الإسلامية ، وقصتهم مع أبرهة الْحَبَشة معروفة . ولا زالت تحتفظ بمنازلها من قبل بعثة الرسول (ص) حتى الآن .

وقد برز منهم قواد مشهورون في الفتح الإسلامي والأندلس . وشعراء اتصف شعرهم بالرِّقة والعذوبة ومنهم عبدالله بن الدُّمَيْنَة الخثعمي من أُكْلُب . ومنهم السُّهَيْليُّ الخثعمي صاحب «الروض الأُنُف» .

وفي رحلتكم التي ضَمَّها كتاب «في سراة غامد وزهران» وصلتم الى وادي شراء وهو أقصى حدود القبيلة من ناحية الشمال ولكن للأسف أنَّ الرحلة لم تَتعدَّ شرا . وتمتدُّ منازل هذه القبيلة من وادي شرا شمالاً حتى بلاد بَلْقَرن جنوباً وتمتدُّ شرقاً بنفس المساحة حتى شرق مدينة بِيْشَةَ في المنطقة التي تُعْرف بالجُنَيْنة . وفي تهامة قبائل من بني خثعم منها :

العَوامر وقبائل ابن المُنْتَشِر ، وغيرهم وبعض هذه القبائل في تهامة تتبع إمارة مكة المكرمة .

فخوذ بني خثعم :

١ ـــ **قبيلة خثعم** : وهي الأصل الذي تفرعت منه الفخوذ الأخرى ، ولا زال

معروفاً بالاسم القديم وعدد القرى التي يحتويها هذا الأصل ٣٧ سبع وثلاثين قرية ومنها وادي شِرَا وشيخهم ابن عِيْدَان .

٢ ــ **شُمْرَان** : ولهم قرى تزيد على ثلاث عشرة قرية وقد اشتهر هذا الفرع أكثر من خثعم (الأصل) في المملكة .

٣ ــ **عِلْيَان** : وتزيد قراهم على ثماني قرى منهم بَدْوٌ رُحَلٌ ــ هم بني واس ــ .

٤ ــ **الفَزَعُ** : ومعظمهم بادية وهجرتهم في تَبَالة .

٥ ــ **أكْلُبُ** ويشمل هذا الاسم :

أ ــ بني هِزْر

ب ــ بني سَعْدٍ .

جـ ــ مُعَاوِية في بيشة .

د ــ الجُنَبَة .

هـ ــ النشاوَىٰ (بألف مقصورة) .

و ــ آل بالشّنينْ .

ز ــ المزابدة .

هؤلاء كلهم أكْلب وهم من خثعم ، وتمتد مساكنهم من وادي الثَّنْيَة أسفل وادي تَبَالَة حتى الْجُنَيْنَه شرق مدينة بيشة مع ملاحظة أن كل القرى التي تسكنها هذه القبيلة (بني خثعم) قد وردت في المعجم أو أضفتها أنا في حالة عدم وجودها أصلاً وميزت سكانها من أي فخذ ثم أرجعتها إلى الأصل .

أستاذي العزيز أعلم يقيناً أنكم تعرفون الكثير عن هذه المنطقة ولكني أحببت أن أتحدّث عنها هنا فأرجو أن يَتَّسِع صدر أستاذي لقراءتها . وأنا على استعداد بأن أجيب على أي استيضاح .

ملاحظة : بلاد بَلْقَرن لم أتَحَدَّث عنها ، ولم أتتبَّعْها في المعجم ، لأن من أبنائها

المتعلمين من سوف يقوم — إن شاء الله — بذلك ، ولعدم معرفتي الكافية بها .

م. عبدالله محمد حمود الشُمْراني
خريج قسم المكتبات بكلية اللغة العربية في الرياض
الأمن العام — شؤون الموظفين .

الملاحظات تبدأ من «الجزء الثاني من المعجم» .

عَرْعَرَه : بفتح العين وتسكين الراء . وفتح العين الثانية والراء وهي من قرى خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٠٢) .

آل عقبة : «من قرى آل يزيد عليان ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، (ص ٨٣٦) . والحقيقة هو أن ليس هناك قرية بهذا الاسم ، وإنما هي مجرد عَقَبةٍ للنزول إلى تهامة ، كانت تَمُرُّ بها القوافل من تهامة واليها ولا زالت .

العقيق : (عقيق غَامِدٍ) ٩ص ٨٤٠) .

ذكر في الهامش أن فيه مناهل للبادية ومنهم (الجهاجهة) وهذا خطأ في الإسم . والصحيح (الهجاهِجَه) بحيث تسبق الهاء الجيم .

العَقيل : من قرى شِمْران . بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤١) ولكن ليس في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الاسم .

والصحيح هو أنَّ اسم القرية : الْحَبِيْل : بفتح الحاء وكسر الباء وهي من قرى خَثْعَم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

عُقَيلات : «من مياه أَكْلَب ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤١) وهذا خطأ في الإسم . والصحيح : عُقَيلان : بالنون بدلاً من التاء . من مياه أكلب من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ويقع شمال وادي تَبَالَة .

ذَاعَلَبس : من قرى قبيلة (الْقَرَن) مركز باشوت في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤٦) .

والحقيقة أنَّ القرن ليست قبيلة وإنَّما هو قرية من قرى باشوت من بني خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

عليان : من قرى شكران من أعمال الْعَلاَية . بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤٨) . وهناك خطأ في الإسم وخلط في المعلومات والصحيح كما يلي :

عَلْيانة ـــ بزيادة هاء في الآخر من قرى شِمْران من بني خثْعَم في إمارة بِلاد عسير ، والعامة ينطقونها بكسر العين .

العمار : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٥١) والصحيح آل عَمَّار ، من قرى باشوت سكانها من عِلْيان من بني خثعم ـــ بكسر العين في عليان ـــ هكذا تنطقها العامة هناك .

العمم : «من قرى خثعم ، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٥٦) والصحيح : «العُصُم» بضم العين والصاد من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

العور : «من قرى تَبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٦٤) والصحيح : ليست هناك قرية بالمفهوم الصحيح وإنّما هي عبارة عن بقايا آثار قديمة فقط . أما الاسم ففيه أصلاً خطأ : والصحيح الصُور بالصاد وليس العين .

الغدنه : بضم الغين المعجمة وإسكان الدال فنون مفتوحة فهاء . من قرى النشاوى من أكلب في بيشة من إمارة بلاد عسير» (ص ٨٩٠) .

والصحيح : الغِدِنَّة : بكسر الغَيْن وكسر الدال . وتشديد النون ثم هاء . من قرى النّشاوى من أكلب وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

غَرْس الْقَرِيَة : من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٩٤) . وهناك نقص في المعلومات والأولى أن تُصْبح هكذا : (من قرى تَبالة ، سكانها من بني خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير) .

الغرسه : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» ص ٨٩٤ .

والصحيح : الْغَرْسَة : بفتح الغين وتسكين الراء وفتح السين فهاء . من قرى خثعم ، وتسمى أيضاً (قرية ابن عيدان) نسبة الى شيخ القبيلة بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير. وبها ابتدائية ومتوسط للبنين وابتدائية للبنات ومركز إمارة .

الْغَفَرَاتُ : «بفتحات ثلاث ـــ في الْبُهيمْ من تَرْج ، في بلاد آل عيسى والقنافذة ، وآل عاطف وهماس من الشحوف من بَلْحارث في منطقة إمارة بلاد عسير» (ص ٩٠١) .

والصحيح : الغَفْرات : بفتح الغين وتسكين الفاء وفتح الراء . في البهيم من وادي تَرَج في بلاد آل عيسى والقنافذة وآل عاطف ، وهمّاس والشحوف من بلحارث في منطقة بيشة ، التابعة لإمارة عسير.

آل غفيس : في باشوت من بلاد بيشة ، بمنطقة إمارة عسير» (ص ٩٠٢) .

والصحيح : آل غفيل : بضم الغين وفتح الفاء وياء بعدها ثم لام من قرى شقيق من شمران . في منطقة بيشه التابعة لإمارة عسير وسكانها من بني خثعم .

الغوغاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٠٩) .

والصحيح : الفَوْقاء : ـــ بفتح الفاء وتسكين الواو وفتح القاف ثم ألف وبعده همزة ـــ من قرى خثعم بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير» .

الغيطه : من مياه بالحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٩١١) .

والصحيح : الغَيْطه : بفتح العين وتسكين الياء وفتح الظاء فهاء ، من مياه بالحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير.

الفرع : من قرى يزيد عليان بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ومورد لبالحارث فيها ، (ص ٩٢٧) .

والصحيح : الفَرْع : بفتح الفاء وتسكين الراء وعين بعدها . من قرى عِلْيان من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

أما مورد بَالْحارث الذي فيها فلا أدري من أين أَتَتْ هذه العبارة وهي غير صحيحة وبلحارث بعيدون جداً عن هذه المنطقة وليس لهم بهم صلة .

آل فُطَيْمه : في بلاد باشوت بمنطقة بيشة من إمارة عسير ، (ص ٩٣٦) .

والصحيح : أن هذه القرية مكرر اسمها مرتين هنا وفي ص ٢٧١ وردت باسم «الجهوم» والأخير هو الاسم الحقيقي لأن (آل فطيمة) أُسْرة من أسر القرية ليس إلا .

والقرية (الجهوم) من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير . وتبعد عن قرية ابن عيدان حوالي كِيْل واحد .

الفلسه : «من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، (ص ٩٣٩) ،
والصحيح : هو أنه ليس في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الإسم .

الفتيقا : «من قرى آل يزيد ، عليان بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٤٠) .

وأنا لا أعرف في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الاسم وربما هناك خطأ أو تحريف في الإسم .

فهر : هجرة لآل ربيع ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، ص ٩٤٢ .

والصحيح : مُهْرُ : بالميم والهاء الساكنة وراء بعدها — هجرة للحلاَفات وآل الربيع وكلهم من بَلْحَارث بوادي تَرْجٍ بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير . وقد وردت مكررة في حرف الميم ص ١٢٥٩ وفيها نقص أيضاً وقد تلافيته هنا للاحاطة .

الفَيْضُ : بفتح الفاء وإسكان المثناة التحتية وآخره ضاد معجمة : من قرى الحزمة من بلحارث ، في تَرْجٍ في منطقة بيشة (ص ٩٤٤) .

والصحيح : بفتح الفاء وإسكان المثناة التحتيَّة وآخره ضاد معجمة — هجرة للحلاَفات والحزمة وكلهم من بَلْحَارث في وادي تَرْج بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير ، ويلاحظ أن هناك نقص في المعلومات أكملته .

آل قادم : في باشوت ، من بلاد بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير» (ض ٩٤٩)
والصحيح : آل قادم : قرية من قُرَى عِلْيان من بني خثعم في أعلى وادي أَدَمة ، وفيها دوائر حكومية وتقع على خط الطائف — أبها ، المسفلَتْ .

قُرَّاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٦٤) .
والصحيح : قُرَّاء : بضم القاف وتشديد الراء مع الفتح فألف ثم همزة من قرى وادي شِرَا من بَني مَيْمُون من خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، ووادي شِرَا هو أقصى حدٍّ إداريٍّ لإمارة عسير شمالاً ، ويمر بها الخط المعبَّد من الطائف إلى أبها .

القراعه : «من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٦٧) .
والصحيح : القَزَعَةُ : بفتح القاف والزاي والعين وهاء بعدها — من قرى وادي شِرا من بني ميمون من خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، وعلى ما يبدو لي أن الاسم حدث فيه تحريف فوردت في الكتاب بالاسم الأول وهو خطأ . والصحيح ما ذكرناه .

قَرْن عجيبه : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٧٩)
والصحيح : قَرْنُ عَجَبَة : بفتح العين والجيم والباء : من قرى شمران من بني خَثَعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

القعره : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٠٧) .
والصحيح : القَعَره : من قرى شِمْرَان وهم من بني خثعم في وادي أدَمَة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

القَنيفاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٢٥) .
والصحيح : القُنَيْفَاء : قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

القَوْزِيَّة : «من قرى أُكْلب في **الثَّنيّه** في بيشة ، من إمارة بلاد عسير (ص ١٠٢٩)
والصحيح : القَوْزِيّة : من قرى أَكْلَب من بني خثعم وهي في وادي الثَّنِيَّة — بكسر

الثاء وتسكين النون والياء بعكس ما ورد في المعجم ، وهذا الوادي هو أسفل وادي تبالة الذي يصبُّ في وادي بيشة ، وفيه نخل كثير ومزارع . ويقع في منطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

قوفاء : من مياه بلحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١٠٣١) .
والصحيح : القوباء : وقد وردت صحيحة في ص ١٠٢٧ السطر العاشر وهي هجرة وليست قريةً ومورد من موارد البادية سابقاً .

القويزيه : «من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٣١) .
والحقيقة لا أعرف في هذا الوادي قرية بهذا الإسم وربما يُقْصَدُ بها القوزيَّة التي ذكرتها في أعلى الصفحة لأن الوادي أحياناً يطلق عليه وادي تبالة من أعلاه إلى مَصَبِّه .

اللعا : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٦٨) .
والصحيح : آل الأعلىٰ : قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المَبْعُوث : مورد من موارد بلحارث وهو أشهر من نار على عَلَمٍ هُنَاك ويقع في وادي المُسمىٰ الذي يصب في وادي تَرْج بمنطقة بيشة بإمارة عسير .
وهو غير المبعوث الذي في منطقة الطائف والذي ورد ص ١٠٨٢ وقد أحببت أن أُضيفه هنا لشهرته .

المبنى : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٨٢) .
والصحيح : الْمَبْنَى : من قرى خثعم وتقع هذه القرية في وادي الزُّهَيْطَة ، وتبعد عن قرية ابن عِيْدان حوالي ثلاثة أكيال ، وهي بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

مجو : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٨٩) وأنا لا أعرف قرية بهذا الاسم ويحتمل أن يكون في الاسم خطأ أو تحريف .

المَحْزم : من قرى آل بالشّنين من أكْلُب في بيشة من إمارة بلاد عسير (ص ١١١٢)

والصحيح : الْمَخْرِم بكسر الراء من قرى آل بَالشَّيْن من أَكْلُب وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (وهو مكرر في ص ١١٠٠).

مرايس المطويه — الغدير — : من قرى تباله بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» .
والصحيح : المَطْوِيَّة أو — الْغُدَيِّر — : من قرى الثَّنْية أسفل وادي تَبالة سكانها أَكْلُب من بني خَثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

مُرْشِد : بضم الميم وإسكان الراء وكسر الشين المعجمة وآخره دال : من قرى الشمله من بلحارث في بَرَجْ بمنطقة بيشة (ص ١١٣٣) وهو صحيح ويضاف اليه : من قرى الحَلاَفَات والشملة من بلحارث في تَرْج بمنطقة بيشة التابعة لإمارة بلاد عسير وقد تكرر هذا الاسم ص ١١٣٤ السطر الثاني .

المسلم : من قرى بيشة في إمارة عسير (ص ١١٥٦) .
١ — قرية لشمران وبالحارث .
٢ — قرية لخثعم .

والصحيح : آل مُسَلّم : قرية من قرى خثعم في وادي الزُّهَيْطة بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير.

مَصْر : على اسم القطر المعروف — : من قرى أكلب في ثييه تبَالة ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١١٧٦) .

والصحيح : مَصْر — على إسم القطر المعروف — : من قرى أَكْلُب من بني خثعم في وادي الثَّنْيَة أسفل وادي تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

مقرا : «من قرى آل يزّيد من عليان بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ١٢١٦) . وأنا لا اعرف في هذه المنطقة — منطقة بني خثعم — قرية بهذا الإسم ربما أن هناك خطأ في الاسم أو تحريف .

ملالة : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٢٢٨) .
والصحيح : مَلاَله : — من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

آل مِلْحَة : من قرى شُمْران بمنطقة بيشة ـــ في إمارة بلاد عسير» . والإسم صحيح ويستحسن أن يقال : من قرى شُمْران من بني خَثْعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المهامل : من قرى آل فاضل بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٢٥٧) والصحيح : المَهَامِلُ : هجرة للحَلاَفات وآل فاضل وكلهم من بَلْحَارِث في وادي تَرْجٍ بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المثيامه : من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة عسير» (ص ١٢٦٢) . والصحيح : البَشَامَة : ـــ بفتح الباء والشين والميم وهاء بعدها ـــ من قرى خثعم وتقع في قِمَّة جبل البَلَس مع خمس قرى أخرى من قبائل ابن عِيْدان .

النَّجاجير : من قرى شُمران في وادي أدَمَة وهم من بني خثعم وفيها السوق الأسبوعي وتقع بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير . وقد أحْبَبْتُ إضافة اسم هذه القرية لعدم ورودها في المعجم .

النشوى : من قرى أكْلُب بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١٢٨٣) والصحيح : أن النَّشاوى اسم فخذ من فخوذ قبيلة أكْلُب من بني خثعم بوادي الثَّنْيَة أسفل وادي تبالة وهم سكان قرية الْغدنَّة . وليس هناك قرية بهذا الإسم .

الوهاد : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٣٥٦) . والصحيح : الوِهَاد : بكسر الواء وفتح الهاء ثم ألف وهاء بعدها . وهي قرية من قرى خثْعم وتقع في قمة جَبَل البُلس مع قرى أخرى وتمتاز منطقتها في أعلى هذا الجبل بالهواء العليل ، والغابات الكثيفة وتتبع إمارة بلاد عسير .

يَمَحُ : بفتح الياء المثناة التحتية والميم وآخره حاء مهملة من واد في أعلى تَرْج ، مأهول سكانه آل الصماء من الشحوف من بلحارث في منطقة إمارة بلاد عسير .

والصحيح : يَمَح بفتح الياء المثناة التحتية والميم وآخره حاء مهملة وادٍ في أعلى تَرْج مأهول سكانه الخشارمة من بلحارث في منطقة إمارة بلاد عسير» .

الأُحَيْمِر(؟) : من قرى تبالة ، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٦) .

والصحيح : الأُحَيْمر : تصغير الأحمر من قرى الثَّنِيَّة أسفل وادي تَبالة وسكانها بنو هِزْر ، من أكلب من بني خثعم . والثَّنِيَة تبعد عن بيشة حوالي ٢٥ كيلاً غرباً ، وتتبع إمارة بلاد عسير.

أَدَمَةُ : بفتح الألف والدال المهملة والميم وآخره هاء . وادٍ مأهول سكانه من قبيلة شِمْران بمنطقة إمارة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٨) .

والصحيح : أدَمَةُ بفتح الألف والدال المهملة والميم وآخره هاء وادٍ مأهول سكانه من قبيلة شمْران بضم الشين وليس بكسرها كما ورد في المعجم وهم من بني خثعم وفيه مركز إمارة وقرى كثيرة ويتبع إمارة بلاد عسير.

الأصيمر(؟) : من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٧٧) .

والصحيح : ان هذا الاسم تصحيف (الأحَيْمِر) الذي ورد في ص ٦٦ لذا وجب التنبيه .

الأطرجه (؟) : من قرى باشوت في منطقة بيشه ، تابع لإمارة بلاد عسير» ص ٧٨ .

والصحيح : الأَطْرِقَه : وينطقونها الأهالي هناك بالجيم أحياناً وهي من قرى خثعم في أعلى وادي الرُهَيْطة وفيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين . وتقع بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

من قرى بيشة في إمارة بلاد عسير» ص ٨٢ سقط الإسم وذلك يرجع ربما إلى ظروف الطباعة ترى ما اسم هذه القرية التي ربما سقط سهوا .

بَشَامَة : من قرى مركز باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، ص ١٦١ .
والصحيح : البَشَامَه : من قرى خثعم في قمة جبل البلس . وقد ورد اسم هذه القرية محرفاً في ص ١٢٦٢ وصححته في حينه وفي ص ١٣ من هذا البحث .

البناء : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» ص ١٧٥ .

والصحيح : المبنى : بفتح الميم وتسكين الباء وفتح النون ثم الف مقصورة من قرى خثعم في أعلى وادي الرهيطه وتتبع إمارة بلاد عسير . وقد وردت بهذا الاسم ص ١٠٨٢ وصححت ما وقع فيها من خطأ ص ١٠ من هذا البحث .

الْبُهيْمُ : بفتح الباء الموحده وكسر الهاء بعدها مثناة تحتيّة فيم : وادٍ في أعلى مأهول ترج سكانه آل زياد من الخوف من بلحارث بمنطقة إمارة بلاد عسير (ص ١٨١) .

والصحيح : الْبُهيْم — بفتح الباء الموحدة وكسر الهاء بعدها مثناة تحتية فيم — وادٍ في أعلى تَرْج مأهول سكانه الخشارمة من بَلْحارث بمنطقة إمارة بلاد عسير ويكثر فيه النَّخيل .

الثَّنيَّة : قرية القبيلة أكلب ، من بلاد بيشة بمنطقة إمارة بلاد عسير» .

والصحيح : أولاً : الثَّنية : لتسكين الثاء والنون وفتح الياء ثم هاء بعدها وليس بالتشديد كما ورد في المعجم[1] .

ثانياً : ليس هناك قرية بهذا الاسم وإنما هو وادٍ يطلق على الجزء الأسفل والأخير من وادي تبالة الذي يصب شرقاً في وادي بيشه وفيه من القرى :

شُدَيْقَ ، القَوْزِيَّةُ ، مَصْر ، الجبارين ، ضُرَيْب السوق ، الْحَرْمَل ، الغِدَنَّة .

وسكان هذه القرى من أكلب من بني خثعم .

الجراده : قرية سكانها شِمران بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٢٣٨) .

والصحيح : آل جَرَادَة : قرية سكانها شُمْرَان وهم من بني خثعم . وتقع في أسفل وادي أَدَمَة وتتبع إمارة بلاد عسير .

الْجَعَدَةُ : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير» . ص ٢٥٠ .

والصحيح : الْجَعْدَةُ : من قرى خثعم وتقع في قِمَّــة جبل البَلَس ضمن قرى أخرى

---

(١) الحرف الأول من الاسم لا يكون مسكناً ، فهو هنا محرك وانظر عن الثنية ص ١٠٤ من كتاب «في سراة غامد وزهران» .

هي : بَشَامة أو البَشَامَه ، مِيْي بكسر الميم وياءين بعدها هكذا ينطقونها ، والنِدِبة بكسر النون والدال وفتح الباء وبعدها هاء .

الجفيره (؟) : «من قرى الحازمي ، بمنطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير» (ص ٢٥٥) والصحيح الجُفْرَةُ : من قرى الحازمي بوادي تَرْج سكانها من بلحارث بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الجوصاء (؟) : من قرى خثعم بمنطقة بيشه من إمارة بلاد عسير (ص ٢٦٧) .

والصحيح : الحَوْماء من قرى خثعم في أعلى وادي الرهْيطة وهي بالميم المفتوحة وليست بالصاد وتتبع إمارة بلاد عسير وقد وردت مكررة ص ٢٦٨ والصحيح ما ذكرناه هنا .

الجهارين : من قرى أكلب ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، (ص ٢٧٠) .

والصحيح : الجَبَارين : بفتح الجيم والباء وبعدها ألف ثم راء مكسورة وياء ثم نون وهي من قرى أكلب في وادي الثنْيَة أسفل وادي تَبالة وسكانها من بني خَثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير.

وقد وردت مكررة ومحرَّفة (ص ٢٧٢) باسم الجيارين والصحيح ما ذكرته هنا .

الحَلاَفاتُ : بفتح الحاء واللام والألف وفتح الفاء بعدها ألف ثم تاء وهجرتهم مع قومهم بلحارث بمنطقة ترج في إمارة بلاد عسير ، وقد أحْبَبْتُ إضافتها هنا لعدم ورودها في المعجم .

الجبيل : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير. (ص ٢٨٨) .
والصحيح : الحَبِيْلُ — بفتح الحاء وكسر الباء وتسكين الياء بعدها ثم لام — من قرى باشوت — وسكانها من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

الحرمل : «من قرى أكْلُب بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣١٠) والصحيح : الحَرْمَلُ : بفتح الحاء وتسكين الراء وفتح الميم وبعدها لام من قرى أكلب وهم من بني خثعم وتقع القرية في وادي الثَّنْيَة أسفل وادي تباله وتبعد عن بيشة حوالي

٣٠ كيلاً غرباً وتتبع منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحزم: من قرى تَبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣١٣) وأنا لا أعلم قرية في هذه المنطقة بهذا الإسم، رغم معرفتي بها ورغم أنني سألت الكثير ولكني لم أهتد الى قرية بهذا الإسم وربما تكون (المَخْرِم) المذكورة في هذا البحث.

الحصن: قرية سكانها آل عامر، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٢٥) والصحيح: الحُصْنُ: بضم الحاء وتسكين الصاد ونون بعدها — قرية من قرى باشوت من شمران، وهم من بني خثعم، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحَصِيْر: «بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنه فراء: من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٢٧).

والصحيح: الحَصْيرُ — بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة بعدها مثناة تَحْتيَّة ساكنة فراء — من قرى خثعم في أعلى وادي الزُّهَيْطه وسكانها آل جِنَّة بكسر الحاء من خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحنشه: من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٦٢). والصحيح: الحِنَشَةُ — بكسر الحاء وفتح النون والشين ثم هاء بعدها —: قرية من قرى خَثْعم في أعلى وادي الزُّهَيْطة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحوز: من قرى تبالة بمنطقة بيشة، في إمارة بلاد عسير (ص ٣٦٨). والصحيح: القَوْزُ — بفتح القاف وتسكين الواو ثم زاي بعدها — قرية من قرى تبالة وسكانها الفَزَعُ من شمران وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحيزان: من قرى شمران بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٧). والصحيح: آل جُبْرَان وقد حدث خطأ في الإسم وهي قرية من قرى شَقَيْق من شمران من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

آل حيه: من أعمال باشوت في بلاد بيشة، بمنطقة إمارة عسير، (ص ٣٧٥).

والصحيح : آل حِبَّة ــ بكسر الحاء وتشديد الباء الموحدة المفتوحة ثم هاء حيث أن الإسم الأول حدث فيه خطأ وهي قرية من قرى خثعم وتقع في أعلى وادي الزُّهَيْطَة وتمتاز بمناخها وطبيعتها الجميلة .

خربه(؟) : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» ص ٣٩١ والصحيح : خُرَيَّة : بضم الخاء وفتح الراء وتشديد الياء مع كسرها ثم هاء بعدها ــ قرية من قرى خثعم في وادي الزُّهَيْطَة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» .

دار السوق : من قرى باشوت بمنطقة بيشه في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٢) . والصحيح : هو أنه ليس هناك قرية بهذا الاسم لأن وجود السوق الأسبوعي لا يميّز القرية فقط لأنه ربما ينتقل عنها ولهذا كل قرية فيها سوق أسبوعي لا بد أن يكون لها اسمها الخاص بها وربما المقصود بهذه القرية قرية (الْقَرْن) قرن ابن ساهر في باشوت .

دار عامر : «من قرى مركز باقوت بكنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٣) .

والصحيح : دار عامر من قرى منطقة باشوت وتمتاز بهوائها العليل ، وغاباتها وأمطارها الغزيرة ، وسكانها من شُمْران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

دار الفَزَع : «بفتح الفاء والزاي بعدها عين مهملة ــ من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٣) .

والصحيح : أنه ليس هناك قرية بهذا الاسم في بلاد بني خثعم كلها والفزع عبارة عن قبيلة من شمران من بني خثعم تسكن وادي تبالة المشهور ، ولها فيه عدة قرى منها : المُبُرَّز ، والفَرْعُ ، والقوز ، وغيرها .

دليان : من قرى تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٤٥٤) والصحيح : أنه ليس هناك قرية في تبالة ولا غيرها بهذا الاسم وإنَّما (دُلَيَّانُ) هذا اسم جبل بعيد عن القرى غرباً حوالي ثلاثة أكيال يكثر فيه شجر الْبَشام المعروف .

الذنوب : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٧٣) والصحيح : الذَّنوبُ : بفتح الذال وضم النون ثم واو وباء بعدها من قرى شقيق من

شمران من بني خثعم شمال منطقة باشوت وتتبع إمارة بلاد عسير.

الرافعه : «من قرى بالحارث بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٨١) والصحيح : آل رافعه : بفتح الراء وكسر الفاء وفتح العين فهاء بعدها — من قرى آل حَارِثِّه وليس بَلْحارث وهناك فرق بينهما وتقع هذه القرية في وادي أَدَمة من شُمْران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

آل ربيع : قرية آل ربيع في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٨٦). والصحيح : أن هذا اسم فخذ من بلحارث بوادي تَرْج وليس اسم قرية أما هجرة هذا الفخذ فهي (مُهْرُ) وقد ذُكرت في أول هذا البحث ويسكنون فيها مع قبيلة الحَلاَفَات من بلحارث أيضاً.

الرجاجين : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٤٨٧). والصحيح : النَّجاجِيرُ : وقد حدث في الاسم تصحيف ولهذا ذكرت هذا والقرية عندما لم أجدها في ترتيبها الطبيعي وذلك في ص ١٣ من هذا البحث. فأرجو مراعاة ذلك وتُعتبر مكررة هنا عن طريق الخطأ.

آل رحمة : من بلاد باشوت، من أعمال بيشة بمنطقة إمارة عسير» (ص ٤٩٢) والصحيح : آل رَحْمَة : بفتح الراء وتسكين الحاء وفتح الميم فهاء بعدها — قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم وتقع في أعلى وادي أدَمَة، وتتبع في إمارة بلاد عسير.

الركبة : من قرى باشوت، بمنطقة بيشة، في إمارة بلاد عسير (ص ٥١١) والصحيح : الرُّكْبَةُ : بضم الراء وتسكين الكاف وفتح الباء فهاء بعدها — من قرى شَقِيْق من شُمران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

رنما : هجرة لبني خماش (؟) بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٥١٥) والصحيح : رَنْمَا : بالفتح في الأحرف الثلاثة الأولى ثم ألف في الأخير هجرة للخَشَارِمَة من بَلحارِث وتتبع إمارة بلاد عسير.

زمره : «من قرى خثعم بمنطقة بيشة، في إمارة بلاد عسير (ص ٥٤٧).

والأفضل : زَمْرَةُ ـــ بفتح الزاي وتسكين الميم وفتح الراء ثم هاء بعده ـــ من قرى خثعم وتقع في أعلى وادي الرُّهَيْطة ، وتبعد عن قرية ابن عيدان حوالي ٥ أكيال وتتبع إمارة بلاد عسير» .

آل سعدان : «في باشوت من بلاد بيشة بمنطقة إمارة بلاد عسير» (ص ٥٧٨) والصحيح : آل سَعْدَان : بفتح السين وتسكين العين وفتح الدال ثم ألف ونون بعدها ـــ من قرى عِلْيان من بني خَثعم في أعلى وادي الرُّهَيْطَة وتتبع إمارة بلاد عسير.

السقبان : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٥٨٤) والصحيح : الشِّعْبَانُ : ـــ لتشديد الشين مع الكسر وتسكين العين وفتح الباء ثم الف ونون في آخره وهي من قرى خثعم وتقع في قمة جبل البَلْس وتتبع إمارة بلاد عسير.

السقيقه : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٥٨٥) والصحيح : الشَّقيفة : بفتح السين وكسر القاف وتسكين الياء وفتح الفاء ثم هاء بعدها وهي من قرى عِلْيان من بني خثعم بمنطقة باشوت وتتبع إمارة بلاد عسير.

آل سكن : من قرى خثعم بمنطقة باشوت ، من بلاد بيشة في إمارة عسير (ص ٥٨٦) .

والصحيح : آل سكن : بفتح السين والكاف وآخره نون من قرى خثعم وتقع في وادي الرُّهَيْطَةِ وتتبع إمارة بلاد عسير.

آل سلم : في بلاد باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٥٩١) والصحيح : آل مُسلَّم : بضم الميم وفتح السين وتشديد اللام مع الفتح ثم ميم ـــ من قرى خثعم بوادي الرُّهَيْطة اليماني وتتبع إمارة بلاد عسير.

شاعقه : من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٦١٧) والصحيح : شَافِعَةٌ : بفتح الشين ثم ألف بعده وكسر الفاء وفتح العين ثم هاء ـــ قرية من قرى خثعم بوادي الرُّهَيْطة اليماني وتتبع إمارة عسير وقد وردت مكررة في نفس الصفحة (٦١٧) بهذا الاسم الأخير ولكن المعلومات غير صحيحة والصواب ما ذكرته هنا .

سويقة في الحمى

يسأل الأخ مناحي بن خشمان هل لهضبة سُويقة الواقعة في غرب بلدة (نفي) بقرب جبل حِلّيت — ذكر في الأشعار والأخبار القديمة ، لأنه يوجد بقربها آثار قبور .

و «العرب» تكتفي بإجابة السائل الكريم بما جاء في كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» للأستاذ الجليل الشيخ محمد بن ناصر

آل شجلان : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٢٤) .
والصحيح : آل شهْوان : بفتح الشين وتسكين الهاء وفتح الواو ثم ألف ونون بعدها — قرية من قرى خثعم بأعلى وادي الرُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير . وقد ورد الإسم محرفاً في المعجم .

شُدَيْق : تصغير شِدْقٍ : من قرى الهزر من أكلب ، في بيشة في الثَّنية من الوادي من تبالة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٢٧) .
والصحيح : شُدَيْقُ تصغير شِدْق . من قرى بني هِزْرٍ من أكْلُب من بني خثعم في الثَّنيّة أسفل وادي تبالة بمنطقة بيشة التابعة لإمارة بلاد عسير .

الشرمس : (؟) «من قرى تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٣٢)
والحقيقة : لا أعرف قرية في المنطقة كلها بهذا الاسم أو ما يقاربه وربما ذلك ناتج عن خطأ في المصدر الذي استُقيتْ منه المعلومات أصلاً .

آل شَعْبان : من بلاد باشوت بمنطقة بيشة من إمارة بلاد عسير (ص ٦٤٩) .
والصحيح : آل شَعْبان قرية من قرى خثعم في وادي الرُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير وهي غير قرية الشَّعْبان التي ذكرت في هذا البحث .

الرياض : عبدالله بن محمد بن محمود الشمراني
الأمن العام — شؤون الموظفين

سويقة في الحمى

يسأل الأخ مناحي بن خشمان هل لهضبة سُويقة الواقعة في غرب بلدة (نفي) بقرب جبل حلّيت — ذكر في الأشعار والأخبار القديمة ، لأنه يوجد بقربها آثار قبور .

و« العرب » تكتفي بإجابة السائل الكريم بما جاء في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » للأستاذ الجليل الشيخ محمد بن ناصر

آل شجلان : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٢٤) .
والصحيح : آل شهْوان : بفتح الشين وتسكين الهاء وفتح الواو ثم ألف ونون بعدها — قرية من قرى خثعم بأعلى وادي الزُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير . وقد ورد الإسم محرفاً في المعجم .

شُدَيْق : تصغير شِدْقٍ : من قرى الهزر من أكلب ، في بيشة في الثَّنية من الوادي من تبالة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٢٧) .
والصحيح : شُدَيْقُ تصغير شِدْق . من قرى بني هِزْرٍ من أكْلُب من بني خثعم في الثَّنَيَّة أسفل وادي تبالة بمنطقة بيشة التابعة لإمارة بلاد عسير .

الشرمس : (؟) «من قرى تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٣٢)
والحقيقة : لا أعرف قرية في المنطقة كلها بهذا الاسم أو ما يقاربه وربما ذلك ناتج عن خطأ في المصدر الذي استُقيتْ منه المعلومات أصلاً .

آل شَعْبان : من بلاد باشوت بمنطقة بيشة من إمارة بلاد عسير (ص ٦٤٩) .
والصحيح : آل شَعْبان قرية من قرى خثعم في وادي الزُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير وهي غير قرية الشَّعْبان التي ذكرت في هذا البحث .

الرياض : عبدالله بن محمد بن محمود الشمراني
الأمن العام — شؤون الموظفين

العبودي ، والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) قال[1] :

سُوَيْقَـةُ :

جبل أحمر شاهق يقع إلى الجنوب من جبل حِلِّيْت ، الذي يقع بقرب (نفي) في أقصى الحدود الجنوبية الغربية لمقاطعة القصيم.

وهي قديمة التسمية :

قال الهجري : سويقة : هضبة حمراء فاردة ، طويلة رأسها محدد ، وهي في الحمى ، وفيها تقول جُمْل بنت الأسود الضِّبَابية :

ألهفى على يَوْم كيوم (سويقةٍ) شفى غلَّ أكبادٍ فساغ شرَابُها

وسويقة في أرض الضِّبَاب ، وكانت للضِّباب وقعة بسويقة ، ولها حديث يطول ذكره[2] .

أقول : المعتقد أن عبارة (ولها حديث يطول ذكره) من كلام البكري الذي نقل كلام الهجري واختصر بعضه ولكن السمهودي نقل أشياء من كلام الهجري مما حذفه البكري كما يلي : فأشارت بقولها «كيوم سويقة» إلى وقعة كانت للضباب مع عامل «ضرية» مهروب الهمداني من قبل زياد بن عبدالله الحارثي ، وذلك أن عاملاً له مع حُوَّاط الحمى وجدوا نعماً[3] للضباب في الحمى بناحية (سويقة) فطردوها أقبح طَرْدٍ ، فركبوا في أثره ، فأصابوه بضرب ، وعقروا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده ، وسخَّر رجالاً معه من أهل ضرية كرهاً ، حتى لقى نَعَماً للضِّبَاب فيها بعضهم ، فأسر نفراً منهم ، فبلغ الضِّبَابَ فأدركوه بسويقة ، فكرَّ عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُونَ فاعتزلوا ، ونادوه أنْ خَلِّ سبيل أصحابنا ، وما أُصيب منا بالذي أُصيب منك ، فترامو بالنبل حتى فنيت ، ثم اقتتلوا فانهزم وأدركوه فقطَّعُوه بالسيوف ، وقتلوا

---

(١) ج ٣ ص ١١٨٤ — وقد صدر .

(٢) أبو علي الهجري ص ٢٧١ — ٢٧٢ والبكري ص ٨٧٤ — ٨٧٥ .

(٣) «النعم» : الابل .

نفراً من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى[1] .

ونقل ياقوت : عن أبي زياد الكلابي قوله : سويقة هضبة طويلة بالحمى حمى ضرية ببطن الرَّيان .

أقول : والرَّيان الذي ذكره أبو زياد هو الوادي الذي يسمى الآن «مبهلاً» كما سيأتي في هذا الرسم في حرف الميم إن شاء الله .

وقال ياقوت : قال أبو زياد في موضع من كتابه : ومما يسمى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة وهي هضبة طويلة مصعلكة ، والمصعلكة : الدقيقة ، قال : ولا يعرف بنجد أطول منها في السماء ، وقد كانت بكر بن وائل وتغلب اقتتلوا عندها واستداروا بها ، وقال في ذلك مهلهل :

غداة كأننا وبني أبينا بجنب (سويقة) رحَبَا مُدِير

قال : وسويقة ببطن وادٍ يقال له الريان ، يجيء من قبل مهب الجنوب ويذهب نحو مهبِّ الشَّمال وهو الذي ذكره لبيد فقال :

فمدافع الرَّيَّان عُرِّي رسمها خَلَقاً كما ضمنَ الوحيَ سلامها

أقول : في هذا النص كلمتان فيهما إشكال أولاهما قوله : أن سويقة لبني جعفر مع أن الأوائل نصوا على أنها للضِّباب ويمكن توجيه قوله بأن ذلك كان في زمنه أي في زمن أبي زياد الكلابي وهو أعرابي من أهل نجد على أن بني جعفر والضباب كلاهما من بني كلاب ومتجاوران في منازلها .

وثانيهما : قوله لا يعرف بنجد أطول منها في السماء ، وأرى أن ذلك تحريف من النساخ وأن الصحيح لا يعرف بالحمى أي حمى ضرية أطول منها . لأن ذلك هو الواقع .

---

(١) وفاء الوفاء ص ١١٠٤ .

وذكر لغدة سويقة وقال : هي ماءة للضِّبَاب[1] ولعله يشير إلى ماء فيها لأن معظم الجبال يكون فيها مياه .

قال بشر بن أبي خازم من أبيات يصف فيها ناقته[2] :

كأنَّ قُتُودَها بأُرينباتٍ تَعَطَّفَهُنَّ مَوْشيٌّ مُشيح[3]
تَضَيفَّه إلى أرطاةِ حِقْفٍ بجنب سُوَيْقَة رِهَم وريح[4]

أقول : والأبارق التي حول سويقة هي منابت الأرطى فهو يذكر — بلا شك — سويقتنا هذه التي نتكلم عليها ، كما أنه بذكره أُرينبات التي تسمى الآن (أُرينبة) ولم نفردها برسم خاص بها لأنها خارجة عن حدود منطقة القصيم مما يؤيد ذلك . وهي هضبة صغيرة واقعة في الجنوب من جبل شِعْر[5] كما أن الشاعر نفسه هو أَسَدِيٌّ من سكان منطقة القصيم .

أوهام حول سويقة :

نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي قوله : ومما يسمى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة . وهي هضبة طويلة مصعلكة ، والمصعلكة : الدقيقة ، قال : ولا يعرف بنجد جبل أطول منها في السماء . أ.هـ .

وهذا وهم ومبالغ فيه إذ سويقة ليست أعلى جبل في نجد ، ولعل مبعث وهم أبي زياد مرجعه إلى أنها في مكان مرتفع فترى على البعد وكأنها سامقة الارتفاع . وإنما الواقع أن جبل خزاز الذي لا يبعد كثيراً عنها هو أكثر ارتفاعاً منها . وكذلك هضاب العسيبيَّات

---

(١) بلاد العرب ص ٣٩١ .

(٢) ديوانه ص ٥١ .

(٣) القتود : جمع قتد ، وهو خشب الرحل . وارينبات : موضع راجع رسم «أرينبة» وتعطفهن : أي : ارتداهن ولبسهن ، وموشي : المراد به ثور وحشي موشى وهو الذي في قوائمه بياض ، والمشيح : الحذر .

(٤) تضيفه : أي الجأه وأنزله . والحقف : الرمل المستطيل المموج — والرهم : جمع رهمة ، وهي المطر الضعيف المتواصل .

(٥) تكلم عليها الشيخ سعد بن جنيدل في معجم العالية .

المرأة
في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

[أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود أسبوعاً في آخر ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ دعت إليه العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية للحديث عن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودراسة أسس دعوته الإصلاحية والبحث في مختلف آرائه وأفكاره ، فتحدث صاحب هذه المجلة عن هذا الجانب من حياة الشيخ]

لم يعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — أسبغ الله عليه شآبيب عفوه ورضوانه — إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين ، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات .

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصّة تعترضه عقبات يقف أمامها حائراً .

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الإمامين عبد العزيز وابنه سعود ، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥ هـ) يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمداً في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ — اجتمع له أهل جُدَّةَ في جامعها الكبير ، فقرأ عليهم رسالة جَدِّهِ في بيان حقيقة الدعوة .

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

التي كانت تسمى في القديم بالشموسين وتقع غرباً من حمى ضرية هي أعلا منها بكثير . وربما كانت العبارة محرفة أصلها : لا يعرف بالحمى جبل أطول منها في السماء .

وهناك جبالٌ في الحمى أيضاً أرفع من سُويقة كما يتضح من الخارطة التي أصدرتها وزارة البترول والثروة المعدنية[1] .

---

(١) (أبحاث جيولوجية مختلفة) رقم ٢٠٦ .

المرأة
في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

[أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود أسبوعاً في آخر ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ دعت إليه العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية للحديث عن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودراسة أسس دعوته الإصلاحية والبحث في مختلف آرائه وأفكاره ، فتحدث صاحب هذه المجلة عن هذا الجانب من حياة الشيخ]

لم يعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — أسبغ الله عليه شآبيب عفوه ورضوانه — إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين ، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات .

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصّة تعترضه عقبات يقف أمامها حائراً .

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الإمامين عبد العزيز وابنه سعود ، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥ هـ) يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمداً في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ — اجتمع له أهل جُدَّةَ في جامعها الكبير ، فقرأ عليهم رسالة جَدِّهِ في بيان حقيقة الدعوة .

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

التي كانت تسمى في القديم بالشموسين وتقع غرباً من حمى ضرية هي أعلا منها بكثير . وربما كانت العبارة محرفة أصلها : لا يعرف بالحمى جبل أطول منها في السماء .

وهناك جبالٌ في الحمى أيضاً أرفع من سُويقة كما يتضح من الخارطة التي أصدرتها وزارة البترول والثروة المعدنية[1] .

---

(١) (أبحاث جيولوجية مختلفة) رقم ٢٠٦ .

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد ، وقد يكون هذا ناشئاً عن عدم اهتمامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام ، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو ألصق بها لا يزال غامضاً ، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة ، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازري الشيخ في عمله الجليل ، عالم نجد في عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن — قاضي الدرعية في ذلك العهد — الذي وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله[1] : (ما نعرف من علماء نجد ، ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه) — عندما يروم الباحث معرفة شيء مما يتعلق بحياته لا يجد فيما بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة ، بل لا يجد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبد الوهاب .

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة في حياة الإمام) لا يعدو الإشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة ، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق ، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها ، لا يزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظاً ، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء ، وتعنى ببيان صلة القرابة ، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة .

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعدّ تجاهلاً لحياتنا كلها ، ولواقعنا الذي نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد — رحمه الله — إنصاف المرأة ، والدفاع عن حقوقها .

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلاً وصفه الشيخ في إحدى رسائله[2] : (إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه ، وفرّ من قسمة الله ، مثل أن يريد أنّ امرأته لا ترث من هذا النخل ، ولا تأكل منه إلا حياة عينها ، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض ، أو يريد أن

يحرم نسل البنات — إلى أن قال : ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة برّ تقرب إلى الله ، ويوقف على هذا الوجه قاصداً وجه الله) .

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة .

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية .

إن في واقع تاريخنا أمثلة حيّة لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة ، حتى في مقارعة الأبطال ، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال ، فغالية الْبَقَمِيَّةُ [٣] كان لشجاعتها وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد علي باشا في وقعة تربة سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م) ثم تصدّت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة ليثأر لهزيمة ابنه ، بشجاعة نادرة ، أثارت حفيظة الباشا الذي تمنّى أن يقدر على إمساكها بعد إنهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعة بسل ، وقال عنها المؤرخ المصري محمود فهمي المهندس في كتاب «البحر الزاخر» [٤] : وتكدر محمد علي باشا كثيراً من هرب غالية ونجاتها من يده ، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية ، علامة وشهرة على نصره وظفره . انتهى .

ومع شهرة تلك المجاهدة الشُّجاع ، لم يرد لها ذِكْرٌ في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة .

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها ، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسياً منسيا ، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبد الرحمن آل عرفج من أمراء القصيم آل عليّان من العناقر من تميم ، التي قال عنها الأمير عبيد بن علي بن رشيد — يذكر السيف — :

ليا عاد ما نرويه من دم الأضداد   ودوه يم العرفجية ترويه

وتجد خبرها مفصلاً في كتاب «بلاد القصيم» [٥] للأستاذ الشيخ محمد العبودي .

طال الاستطراد وحسن العود للحديث عمن ألصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة .

زوجة الإمام محمد بن سعود : أوّل امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موضي بنت ابن وهطان ، زوجة الأمير محمد بن سعود .

وهي من أسرة كريمة من آل كَثِير ، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد ، وهي من آل فضل ، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة ، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر .

وآل فضل من قبيلة طيّء المعروفة ، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة ، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق .

وكان آل كثير من بادية العارض ، من أول القرن الحادي عشر — على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين[6] — حتى منتصف القرن الثاني عشر — وجري بينهم وبين آل معمر أمراء الْعُيَيْنَة مناوشات من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العُيَيْنَة حين غزوها سنة ١١٣٧ فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير ، قتله آل نبهان منهم .

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل — كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف .

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجمان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف تزوج في الأحساء ابنة هادي ابن مِذْود رئيس عربان آل كثير ، وأتى بها معه إلى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف[7] .

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي .

حين انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العُيَيْنَة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة ، فَنَبَتَتْ وَنَمَتْ ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله[٨] : (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فوره ومعه أخواه ثنيان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم ، فسلم عليه ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكنّ ابن بشر فصّله على هذا النحو[٩] : (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته ، فهابوه ، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيّان الضّرير ، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة ، فأخبروهما بمكان الشيخ ، وصفة ما يأمر به وينهي عنه ، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد ، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ ، وقالت له : إنّ هذا الرجل ساقه الله إليك ، وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به . فقبل قولها . ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى . ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف .

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الإمام محمد بن سعود بموقف أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ ـــ أول ما نزل عليه الوحي ، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة ، إلى الإسلام ، فمقام أُمِّ المؤمنين لا يُسامى ، وان اتفق الموقفان في مناصرة الحقّ .

ورحم الله ابن بشر فلولا إشاراته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة في حثّ زوجها على قبول الدعوة ، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج ، لَجُهِلَ أمرُها .

ابنة محمد بن سعود : جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون»[١٠] : في الكلام على الأمراء الذين وقفوا في وجه الدعوة : (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر ، أمير العيينة ، الذي ناصره أول الأمر ثم تخلّى عنه ، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية ، واتفق مع الأمير محمد بن سعود ، صار عثمان يشنّ عليهما الغارات من العيينة ، ويرسل

كوكبات الخيل عليها الفرسان وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدّة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر . ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية :

ما شاقني كود سَرْبة لابن معمر تـطـل على الزلال كـل عشيـة
يـا يـبه شف للخيل خيل مثله وإلا فنزل مـن شيـخـة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره . وأورد البيتين الأستاذ عبدالله بن خميس[11] بصيغة : (ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود ، حينما كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — في الدرعية :

تشوق عـيني سربـة ابـن مـعـمر تـطل على الزلال[12] كل عشية
يا بُوْي شِفْ للخيل خَيْلٍ مِثْلَهْ وإلا فـخـلّ إمـارة الـدرعـيـهْ

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية ، وشجاعة ، وتطلّع إلى معالي الأمور ، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة .

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات أُلاحظُ — بعد اختلاف الراويين في نصّ البيتين ، ووقوع الخلل في وزنهما — مخالفة اللهجة فيهما للهجة سكان العارض ووسط نجد ، فكلمة (مِثْلَهْ) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شمال نجد بلاد القصيم وما حولها ، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة : (بالكرامة ذاتِ أكرمكم الله بَهْ ، والفضل ذِي أكرمكم اللهُ بِهْ) . بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد ، فهم لا يحذفون تلك الألف .

وأمر آخر اتّفق عليه الأستاذان الكريمان ، وهو تقرير أن عثمان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ ، وهذا الأمر — فضلاً عن كون مؤرخي الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكروه — يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال

الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثمان بن معمر عليه فيها ، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شنّ غارات الحرب فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧ هـ ووفد عليه ابن معمّر في تلك السنة . فإذ صحّ وقوع شيء من الغارات فهو حين كان العداء مستحكماً بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨ هـ التي وقع فيها الوباء الذي أفنى أكثر سكان العيينة فأضعفها ، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩ فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود ، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثمان بن عبدالله بن حمد بن معمر الذي تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢ هـ ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها .

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود ، فبعد التّصافي والاتفاق بين الأسرتين الكريمتين الأسرة المقرنية(١٣) والأسرة المعمّرية ، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد ، تقوّت الأواصر بالتزاوج بينهما ، فزَوَّج عثمانُ بنُ ناصر بن عبدالله بن معمر عَبْدَ العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التي أنجبت الإمام سعودا ، وزوج الإمام محمدُ بن سعود ابنته مشاريَ بنَ ابراهيم بن عبدالله بن معمر ، فأتت منه بمحمد بن مشاري ، الذي كان من رسل الصلح بين الإمام عبدالله بن سعود وبين إبراهيم باشا أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ ثم سعى للاستيلاء على نجد بعد رحيل إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤ ، فتمّ له ذلك حتى قتل هو وابنه مشاري عند قيام الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٦ — على ما ذكر ابن بشر .

فيكون الإمام عبد العزيز خالاً لمحمد هذا ، وكذا أخوه عبدالله بن محمد ، كما أوضح ذلك ابن بشر أيضاً(١٤) ، لا الإمام سعود بن عبد العزيز ، كما ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر « عنوان المجد »(١٥) وفي الطبعات التي نقلت عنها . وقد أشار إلى هذا الخطإ الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب .

والدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : أوّل من رأيته تحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسّام في كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون » فقد أوضح أن جدّ الشيخ محمد لأمه (هو

محمد بن عزّاز المُشرَّفي الوُهَيْبِي التميمي من عشيرته الأدنين)[١٦] .

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزاز[١٧] أشاد بذكر آل عَزاز ، وذكر أن سيفا هذا هو خال الشيخ ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ .

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عزّاز — من هذه الأسرة فيما يظهر — قال :[١٨] — في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم : (ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عَزاز ، فيها إجازات له من عند مشائخه ، وشيخ مشائخه يقال له عبد الغني[١٩] ، ويثنون عليه في أوراقهم ، ويسمونه العارف بالله وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون) .

ولا أستبعد أن يكون ابن عزّاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره ، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله .

ومهما يكن فإن ما ذكر الأستاذ ابن بسام عن والده الشيخ هو حصيلة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا .

زواج الشيخ : كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — عندما قام بدعوته في بلدة حريملا قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره ، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج بعد زواجه الأول حين كان صغيراً إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة ، بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف .

قال ابن بشر : (فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقاه بالقبول ، وأكرمه ، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر .

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ ، بعد زواجه الأول حين كان صغيراً لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلاً بين الحجاز والبصرة والأحساء ، مشغولاً بطلب العلم ، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيينة .

أما ما جاء في كتاب «لمع الشهاب»[٢٠] ونصه : (وكان تحت محمد بن عبد الوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) — أي قبل سفره لطلب العلم — فهو حديث

خُرافة ، ككثير من الأخبار الواردة في ذلك الكتاب .

لقد كانت بلدة العيينة مسقط رأس الشيخ ، ففيها ولد ونشأ ، وهي مقر أسرته بعد انتقالها من بلدة أُشيقر ، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذي عزله عن القضاء وولّى شيخاً آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أواصر قوية غير آصرة النسب فالأسرتان تميميتان .

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد ، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد .

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر ، فهي عمّة الأمير عثمان ، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال ، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد بن معمّر ، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه[٢١] : (في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حَلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم ، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر ، الذي لم يُذْكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد ، والْعُدّة والعقارات والأثاث ، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى .

وللجوهرة — في سبيل نشر الدعوة — يدان كريمتان .

اليد الأولى : أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبباً في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم .

قال ابن بشر[٢٢] — في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة — : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد ابن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية ، وبدغيّم بن فايز الْمَلِيحي السُّبيعي وقتلهما . وذلك أنه لما أصاب بلد العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر ، طمع زيد بن مَرْخان وأتباعه في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع ، وغيرهم فلما

وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد ، وقال له : إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إليّ .. فسار زيد إليه في أربعين رجلاً ، ومعهم محمد بن سعود وغيره ، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجالاً من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق ، فرموه ببندقيتين فلم يخطئانه فمات . فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع ، وتحصنوا فيه ، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر .

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها ، ومعها غصيبة[٢٣] انتهى كلام ابن بشر على ما فيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يَداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ولهذا أوردته بطوله .

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الإمام محمد ، وبين ابن أخيها الأمير عثمان ، وحقاً ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين[٢٤] : (وحين وصل محمد بن عبد الوهاب — إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه — إلى أن قال — : وازدادت علاقة الاثنين توطّدا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله ابن معمر ، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط ، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصّة أيضاً) انتهى .

ولا داعي للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جرّاء تلك المصاهرة ، غير أن المناسبة تلجيء إلى الإشارة إلى خاتمة ذلك الصِّهْرِ ، وهي خاتمة محزنة حقا ، لم تقف عند حد قتله ، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته ، وانجرّت إلى ابنه من بعده .

حقاً إنّ الرجل قدم على ما قدم ، و(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) .

ولكن تاريخنا المُدوّن — فضلاً عما فيه من جوانب النقص — لا يخلو من مواقف يعتورها الغموض ، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع ، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية ؟

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال ، وهدم ما بُني على القبور ، ونفّذ أحكام الشريعة ، ويظهر أن أهل بلاده لم

يكونوا كلهم على وفاق معه ، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلاً منهم من رؤساء المعامرة — أي استجابوا للدعوة — وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب — رضي الله عنه — أراد أهل الجبيلة — وهي من بلاد عثمان — أن يمنعوه من هدمها فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلّوا بينهم وبينها .

ولقد استمرّ عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها ، تقبل المؤمن بها ، إيماناً صادراً عن يقين بصدقها ، لا عن رغبة في أمر ، ولا عن رهبة من أحد ، وكما قال الشيخ حسين بن غنام[٢٥] : (تلقاه بالقبول والمناصرة ، وأكرمه غاية الإكرام ، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره ، ويقبلوا قوله) فما الذي جرى له حتى غيّر موقفه ؟! قال ابن بشر[٢٦] : — بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد : (فأرسل سليمان إلى عثمان كتاباً يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده ، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر ، فأثّر عليه جُلساءُ السُّوء — وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوةُ الشيخ قلبَهُ — وقال : (فأرسل إلى الشيخ ثانياً وقال له : إنّ سليمان أمرنا بقتلك ، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك) وذكر أنه أرسل مع الشيخ حُرَّاساً إلى أن بلغ الدرعية .

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده ، ولهذا استعان به أعداء الشيخ ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله[٢٧] : (فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج ، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد أعداءه من أهل نجد ، الذين ألّبوا عليه أقوى حاكم ، ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد .

قال صاحب كتاب : «لمع الشهاب»[٢٨] : (شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي ، حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها ، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة ويجليه من بلده) وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور :

١ — قطع وظائفه التي في الأحساء .

٢ — منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رُزٍّ قَدَّر محصولها بستين ألف ريال ذهب .
٣ — منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد .

لقد تكالبت الأعداء على عثمان ، فقومه الأدنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ ، ولا مؤيدين لما يقوم به عثمان من مناصرته ، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجاهروا بذلك ، ومنهم من كاتب الأمراء والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التي لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية .

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عثمان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلاده(٢٩) ، وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به ، إنه سوف يغزو ابن معمر ، وبلاد نَجْدٍ في ذلك العهد كانت ميداناً لغارات آل حُمَيْدٍ حكام الأحساء ، وليس لابن معمر — بعد أن حلّ بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم ، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عمان جنوباً إلى البصرة شمالاً ، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد ، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له ، ويتقاضى وظيفة منه ، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١١٦٦ هـ التجأ إلى الخرج فتوفي فيه(٣٠) .

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخَفِّ الضررين لدفع أعلاهما ، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب»(٣١) فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي إلى عثمان بن معمر اهتم ، وكره عداوة سليمان ، وغضب أيضاً لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه ، لكنه ارتكب أخفّ المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب خُفْيَةً ، فقال له : إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا ، فالرأيُ أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أيِّ بلدٍ شئت ، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا) .

لا أريد تبرير فعل ابن معمّر في إخراج الشيخ ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة ، وصهر القائم بها ، وجدّ بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة

التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهاد أبطالها منذ عهد الإمام محمد إلى عهدنا ، هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، سبط الأمير عثمان بن حمد بن معمّر .

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بإيضاح بعض ما ظهر لي حيال ما نسب إليه — فيما بعد — من تنكّر للدعوة ، وقد أكون مخطئاً فيما أبديه من رأي يخالف ما يراه غيري ، ولكن مما لا شك فيه أن فيما كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة ، وللنيل من القائمين بها .

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود الأمير بن معمّر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام ، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذي قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧ (٣٢) : (فلما علم عثمان أن محمد بن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال : ليس هذا إليّ ، وإنما هو إلى محمد بن سعود ، فأتى عثمان محمداً فأبى عليه) ويقول ابن غنام(٣٣) : (فرجع إلى بَلَدهِ مضمراً العداوة والشرَّ والغدر ، وإن كان يُبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد ، إلى أن تكرر منه المكر ، وظهر نفاقه وانكشف أمره) .

وهذا كلام مبهم غير واضح ، وما تخفيه القلوب علمه عند علّام الغيوب ، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا أن الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف — أو التي بعدها — بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين ، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣ .

غير أنَّ ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين — إحدى غزوات الرياض — قال(٣٤) : وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثمان ، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم ، وزادته هذه الوقعة تهمة ، وندم على تخلّفه عن الغزو ، لأنه خاف على نفسه ، ثم ذكر أنَّ محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حُرَيْمِلاء مرّ بالعيينة فتعاهد مع عثمان واتفقا وتصافيا . ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق ،

وقال[٣٥] ؛ ثم إن عثمان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو ، فقبلا منه ، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العيينة وأهل حُريملاء ، وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد ، فعند ذلك جعلوه رئيساً للغزوات والسرايا ، وصار محمد بن سعود له منقادا ، ولا يخالفه بل يتابعه ، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد — على ما في تاريخ ابن غنام أيضاً[٣٦] بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع امير حريملاء .

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمّر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة ، وهذا غير صحيح ، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ — بجماعته أهل حُريملاء ، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥ ، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ[٣٧] .

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائنُ قبل قيام الدعوة — أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره[٣٧] — ويظهر أنّ ذلك الاتفاق لإزالة آثار تلك الحزازات ، التي كان من آخرها ما حدث من عثمان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم[٣٨] .

ويورد المؤرخان ابن غنام[٤٠] وابن بشر[٤١] في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثمان — وعبارة ابن غنام : وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان — أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء ، وأمره أن يركب إلى دهام — أمير الرياض — للإصلاح بينهما والاتفاق جميعاً مع الشيخ ، ومحمد بن سعود ، فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان ، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ وابن سعود ، فحين رآى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثمان ، فموّه عليهم — وعبارة ابن بشر : فتحقق أهل البلد منهم الخيانة — وقال عثمان : ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح ، ويدخل دهام في دائرة الإسلام . ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم ، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثمان وغدره ، فامتنع عن الذهاب ، وعرف المسلمون من أهل البلد مكرَ عثمان ، فحصروا ابن دواس في القصر ، ولكنه هرب تحت جنح الظلام ، وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء قال ابن بشر : فلما وصلها (تدرع لباس الحرب) .

لا شك أنّ ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدوّيهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها ، مهما كان قصده ، ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور ، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر .

ولا نريد أن نذهب بعيداً في محاولة الدفاع عن عثمان ، أكثر من القول بأنّ فعله هذا وسّع شقّة الخلاف وهيأ للناقمين عليه — ومنهم بعض أهل بَلَدِهِ من قومه — أقوى الوسائل للنيل منه .

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد ، وجدد العهد ، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئة وألف ، وكان الأمير ، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش . ثم غزا الرياض مرة ثانية ، فقتل من الفريقين نحو اثني عشر رجلاً .

وفي سنة ١١٦١ — على ما ذكر ابن غنام[٤٢] : سار عثمان بأهل العيينة وحريملاء ، وعبد العزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فنزلوا ليلاً في موضع قريب من ثرمداء يقال له البُطيْن ، وجعلوا لهم كَميناً ، فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال ، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء ، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلاً ، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الْحُرَيِّص فتحصنوا فيه ، فخلا البلد من المقاتلين فأراد عبد العزيز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة ، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه ، ولم يبق مع عبد العزيز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد ، ثم عزم على العودة ، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بما حدث من عثمان ، فزاد ما في نفسيهما عليه .

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه[٤٣] : فأبى عثمان مَشَحَّة بأهلها ومَضَنَّةً بهم ، وقال في الأخرى[٤٤] : وحصل من عبد العزيز كلام على عثمان ، وأكثر عليه الملام — ثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله — : ولم يلحقه إلا آخر النهار ، فصارت الأحوال بينهما متغايرة ، والقلوب متنافرة .

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عثمان بن معمر ، جوانب ليست في مصلحته . فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عثمان ، وأمراؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر منهم ، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم) يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب ، وفات المؤرخ أنَّ البلدة قد خلت من الرجال المقاتلين ، ولم يبق فيها إلَّا النساء والأطفال ، ومن لا يقدر على القتال ، فما الغاية من دخولها ، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعثمان ما وقع بينه وبين عبد العزيز بن محمد بن سعود من خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب — كما قال ابن بشر — وصدق الشاعر :

إن القلوب إذا تنافر وُدُّها   مثل الزجاجة كسرُها لا يُشْعَب

ولم يشفع لعثمان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك ، ودمّر جيشه مزارع بلدة ثرمداء ، حيث تحصن أهلها ، ولم يبرزوا للقتال كما فعلوا في المرة الأولى التي قتل منهم فيها نحو سبعين رجلاً .

لقد ختمت حياة عثمان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنّام(٤٥) : لما تزايد شر عثمان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل ، وتبين الشيخ صدق ما كان يروى عنه ، وجاء أهل البلاد كافة ، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين قال الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة : أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ، وموالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه ، ولو أنه أميركم عثمان ، فأعطوه على ذلك الأَيمان ، فَمُلِيء قلبُ عثمان من ذلك رعبا ، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين ، فأرسل إلى ابن سويط وإلى إبراهيم بن سليمان يدعوهما للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين .

فلما تحقق أهل الإسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد (الباهلي) فلما انقضت صلاة الجمعة ، قتلوه في مصلاة بالمسجد سنة ١١٦٣ .

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم في اليوم الثالث بعد مقتله ، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك في قتل عثمان أن لا يولّى عليهم أحد من آل معمر

فأبى الشيخ ، وأمر مشاري ابن معمر وكان ذلك في منتصف رجب . انتهى ونحو هذا ورد في «عنوان المجد» لابن بشر[٤٦] .

لقد مضى الرجل لسبيله ، وكما يقال : (الغائب حجته معه) ، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقين عليه أبواباً واسعة للنيل منه ، ولا يعنينا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتَّهَم دعاتها ومناصروها بتنكُّرهم لمؤازريهم .

ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للإمام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل ، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقرّ فيه أوضاع الدولة الناشئة ، ولم تثبت دعائم الدعوة .

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعَدَمُ انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها ، وكثيراً ما استغل ذوو الأغراض — من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها — ذلك لتحقيق أغراضهم .

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثمان بن معمر منها قتل إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرما سنة ١١٦٤ وقتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥ وقتل محمد بن فارس وابنه عبد المحسن صاحبا منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٨٧ ، وقتل أمير الفرعة عيبان الناصري سنة ١١٧٩ هو وأولاده ، ومهما كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمور الدعوة .

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول تَوَلِّي الإمارة ، منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

واستمر نحو قرن من الزمان ، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها ويكثر أفرادها .

ولا يجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخي نجد في تلك الحقبة ، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك .

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبدالله الإمارة ، فأجلى آل محمد من العيينة ، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر .

ويذكر ابن بشر أيضاً أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة ويضيف : (معاكسين لعثمان بن معمر) .

ونجد أحد هاؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد مقتل عثمان وهو سلطان بن محيسن المُعَمَّرِي في سنة ١١٦٣ .

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة»[٤٧] بعد ذكر مقتل عثمان .. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف ، فسارع إلى العيينة ، وجمع أهلها وهدأ روعهم وعين مشاري بن إبراهيم بن معمر أميراً وناصر الدعوة .. وأخذ يشارك بأهل العيينة في غزوات آل سعود ، ولكن ظهر منه أخيراً ما جعل الدرعية تُسيءُ الظن به وتعزله .

بعد ذلك أُسندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محسن أحد موالي آل معمر ، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر ، وكان يطمع في تولي الإمارة ، فأعلن تمرّده ، ولكنه قتل سنة ١١٨٢ .

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد ، وأمر بهدم قصر معمر ، وإنهاء سلطتهم في العيينة ومن ثمّ أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها حتى أصبحت خراباً . انتهى .

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمداً — رحمه الله — لم يرض بقتل عثمان حقٌ لا شكَّ فيه ، ولو لم يكن في ذلك التصرّف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحلُّ والعقد .

والقول بأن سلطان بن محسن من موالي آل معمر ، لم أر له مصدراً لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبّان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله

وزيد ، وذكرا توليته إمارة العيينة ، وإمارته كانت سنة ١١٧٣ والذي تولي الإمارة بعد عثمان هو مشاري بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣ هـ ومشاري هذا صهر للإمام محمد بن سعود ، وهو الذي تولى ابنه محمد إمارة نجد ، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الإمام تركي سنة ١٢٣٦ هـ — كما تقدم —.

أما ناصر بن عثمان بن معمر ، فالرجل — على ما ذكر ابن بشر قُتِل شهيداً غازياً مع الإمام سعود بن عبد العزيز سنة ١١٨٢ فالتقى جيش سعود بقبيلة آل مرة — في ناحية الجنوب ، فوقعت الهزيمة على سعود وقومه وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر ، ولم يحدث منه تمرّد — فيما أعلم — .

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو : هل ناصر هذا هو أبو العالم الجليل ، الشيخ حمد بن ناصر ابن عثمان بن معمر ؟!

هذا ما لم أر له ذكراً فيما بين يديّ من الكتب ، وكل من ترجم الشيخ حمدا لا يفصل القول في ذكر نسبه ، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان — إن كان جدّ الشيخ — احتراماً له .

والقول بأن بلدة العيينة أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر آل معمر حتى أصبحت خراباً — قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة ، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشاري عن الإمارة وتولية سلطان — كما ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة ، لأننا نرى لها ذكراً لدى المؤرخين إلى ما بعد ذلك التاريخ ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات :

١١٧٨ — في وقعة الحاير قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلاً .

١٢١١ — هدم السيل في العيينة بيوتاً كثيرة .

١٢٢١ — كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم وكان أميراً على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود .

١٢٣٣ — استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلاً.

١٢٣٣ — انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشاري بن معمر من بلدة العيينة، ونزل الدرعية .. وطمع في ملك نجد، وكان خالاه عبد العزيز بن محمد، وعبدُالله بنُ محمد آل سعود.

بنات الشيخ: لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ، مع التفصيل في ذكر أبنائه.

وأول من رأيته تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١١٧٩/ ١٢٤٣ هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني، وممن عاصر قيام الدعوة، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين، في سيرة الإمام المنصور، وأعلام دولته الميامين»[٤٨] ذكر حين عدّ أبناء الشيخ أن له ابنتين، هما شائعة وهيا[٤٩].

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ما نصه: (وأخبرني بعض المكيين ممن له إطلاع على خاصة عبد العزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبد العزيز ومحمد وهما على أمّ واحدة. ثم عمر وعبد العزيز — كذا — ابنا عبد العزيز، وأمها إحدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوجها عبد العزيز بن محمد. قال المكّيّ: وأما بناته فهن خمس، منهن لطيفة ومنيرة. انتهى[٥٠].

أما ابن بشر فهو يذكر لعبد العزيز بن سعود من الأبناء: سعودا وعبدالله وعمر وعبد الرحمن[٥]. ولا يذكر محمداً ولا عبد العزيز.

وابن بشر ذكر أبناء عبد العزيز بعد وفاته بزمن — ذكرهم سنة ١٢٣٢ و١٢٣٣ أثناء حصار الدرعية — فقد يكون محمد بن عبد العزيز توفي قبل ذلك الوقت.

وعبد العزيز الذي عده المؤرخ اليمني سبطا للشيخ قد يكون اسمه محرفاً، وأنه عبد الرحمن، أو عبدالله الذي ذكر ابن بشر أنه توفي سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح، ويلاحظ أن بعض المؤرخين المتأخرين عدّ الإمام سعودَ بنَ عبد العزيز بن محمد من أسباط الشيخ محمد وهذا خطأ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشيخ، أما أمه فهي ابنة

الأمير عثمان بن معمر الذي تقدم الكلام عنه .

وتقدمت الإشارة إلى ما ورد في كتاب «تاريخ أشراف مكة» لابن عبد الشكور[٥٢] ، ونصه ــ بعد حذف الفاظ الشتم : في صفر سنة ١٢٢١ ــ وصل نحو عشرين رجلاً من أهل الدرعية ، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشريف غالب ، وكان في جدة ، فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به ، ثم عقد بينهما الصالح ، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحين ، وقرأ رسالة جَدِّهِ ، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها ، وما زالوا يحضرونها حتى أتمّ قراءتها ــ ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات .

وحمد هذا هو الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة في عهد الإمامين عبد العزيز بن محمد سنة ١٢١٢ هـ وسعود سنة ١٢٢١ .

فهل هو سبط للشيخ محمد من ابنته التي ولدت للإمام عبد العزيز ابنيه عمر وأخاه ، وأن ناصراً أبا الشيخ حمد تزوجها قبل الإمام عبد العزيز ، فيكون الشيخ ربيباً له ؟! لا أستبعد ذلك ، ولا أستبعد أن يكون ذلك الزواج كان في زمن الأمير عثمان بن معمر صهر الشيخ ، وأن الشيخ زوج ابنه ناصر بنته ، فيكون الشيخ حمدٌ حفيداً للأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر ، وهذا أمر لم أر له ذكراً فيما اطلعت عليه من المؤلفات .

أمَّا الثانية من بنات الإمام : فقد تزوجت عالمين آزرا الدّعوة الإصلاحية في إبّان قيامها ، وشاركا القائمين بها في نشرها والدفاع عنها ، ولازما الشيخ وعاشا معه في الدرعية .

هما الشيخان حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله ومحمد بن غريب .

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف[٥٣] : (وفيها توفي الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبد الوهاب ، قاضي مراة ، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتزوج ابنته ، وسكن الدرعية عنده ، وولدت منه القاضي عبد العزيز بن حمد) انتهى .

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد من المشارفة ، الأسرة المعروفة يلتقي

الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرف الجد الخامس للشيخ محمد[٥٤].

وهو من أسرة علم وفضل ، فقد كان جده عبد الوهاب قاضي مدينة العيينة توفي سنة خمس وعشرين ومئة وألف .

وتولّى الشيخ حمد قضاء بلدة مراة ، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف .

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما إبراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه ، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذي كانت فيه حافلة بالعلماء ، ثم تولى قضاء بلدة مراة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢ هـ .

والابن الثاني عبد العزيز . وهو الذي اجتمع به المؤرخ اليمني السيد لطف الله جحّاف ، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبد العزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور .

وصفه الشيخ عبدالله البسّام فقال[٥٥] : كان صاحب عقل راجح ، وفكر ثاقب ، ولسان بليغ ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء ، فكفى في مهمته . قال ابن حميد : وسمعت بعض مشائخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة . انتهى .

وأشار جَحَّاف في كتابه « درر نحور الحور » إلى أن بينه وبينه مكاتبات — فيما يتعلق بتاريخ عهدهما

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيراً إلى محمد علي باشا صاحب مصر ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون ، وكان ممن اجتمع به في مصر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي فقال عنه وعن رفيقه[٥٦] عبدالله بن محمد بن بَنْيَان : وقد اجتمعت بهما مرّتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان ، واطلاعاً وتضلّعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ، وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين ، واستحضار

الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم أحدهما عبدالله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسناً ومعنى) .

وتحدث عنه رحالة غربيٌّ هو بركهارت[٥٧] بما ملخصه : كان أحد الرسولين من ضباط سعود ، والثاني ويدعى عبد العزيز من أقارب مؤسس الدعوة ، وكان عالماً كبيراً أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه ، وعمق إدراكه ، بحيث كان يستفسر عن كل شيء من الأمور العامة ، ولا يقتصر على الأمور الدينية ، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لهما من الجند ، أينما كانا حتى تضايقا فطلبا العودة إلى بلادهما ، واشترى عبد العزيز كثيراً من الكتب من مصر .

ووصفه ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بقوله : (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان ، عجبا في الحفظ والاستحضار ، داهية في مجادلات الملوك والأمراء) .

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل ، وأنه كان فيصلاً في الأحكام يميل إلى ما يرجحه الدليل ، مما خالف المذهب ، ولا يبالي بأحد .

وأن شيخ المنتفق ولاه قضاء سوق الشيوخ — في العراق — فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف .

ولكن ابن حميد — ورحمة الله واسعة — وصمه بما هو منه بريء ، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن علي بن غريب سنة ١٢٠٨ هـ وكان الشيخ عبد العزيز ربيبه — ابن زوجته بنت الإمام — ذكر أنه تأثر بذلك ، ولكنه لم يستطع المجاهرة .

وهذا غير صحيح لأمور : منها أن الشيخ ابن حميد[٥٨] — والله يعفو عنه — كثيراً ما يلصق هذه التهمة بعلماء أبرياء ، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي العفالق ، وغيره ، ولهذا لا يقبل قوله فيما يتعلق بالدعوة لأنه من مناوئيها .

ومنها أن مواقف الشيخ عبد العزيز في مؤازرة الدعوة — كما تدل على ذلك رسالته — «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية»[٥٩] بعكس ما ذكر ابن حميد .

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لِسفارتين في

عهدين عهد الإمام سعود إلى صنعاء ، وعهد الأمام عبدالله بن سعود إلى مصر ، ولو حامت حوله أية شبهة ، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأي وأصالته ، وإخلاصه لما يقوم به من عمل .

وتحملني المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثاني للإمام على ابنته أمّ الشيخ عبد العزيز ، وهو محمد بن علي بن غَريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسّام[٦٠] بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها ، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه .

والشيخ ابن بسام يعتمد فيما تقدم على ما جاء في كتاب « السحب الوابلة »[٦١] ومؤلفها — عفا الله عنه — من مناوئي الدعوة ، ولهذا فقد وصم ابن غريب بالمصانعة ، وأضاف : وردّ على مخالفيهم ، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها ، فكان عندهم مقبولاً معظما .

ويوضح الشيخ عبدالله البسام هذا بقوله[٦٢] : أن عبدالله الراوي — أحد علماء — بغداد ، بعث إلى علماء الدرعية بأسئلة في العقيدة ، فأجابه المترجم إجابة طويلة ، جاءت في كتاب طبع باسم « التوضيح عن توحيد الخـلّاق ، في جواب أهل العراق » نسب للشيخ سليمان بن الشيخ محمد ، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب . ويعلل الشيخ عبدالله البسّام وقوع الخطإ تعليلاً معقولاً .

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخَ سليمانَ بن الشيخ عبدالله — حفيدَ الإمام ، والشيخ عبد العزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضاً ، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر — أورد خبر قتله ، بما هذا نصه : وشى به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الامام عبد العزيز بن محمد — بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها . وكانت الدعوة في أول إنتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق ، وتؤيده ، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ — عفا الله عنهم أجمعين — إنتهى كلام الشيخ عبدالله[٦٣] وهو فيما يظهر — عول على ما جاء في كتاب « السحب الوابلة » الذي

يتفق مؤلفه مع الشيخ في نهاية الشيخ ابن غريب ، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة ، ولا شكّ أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسّام .

ويحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن ، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠/ ١٢٩٠) يمر على تلك الحادثة بسرعة غريبة ، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله[٦٤] : (وفي ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبرا ، لأجل أمور قيلت عنه) .

ويستشفّ من عبارة ابن بشر هذه : (قيلت) أنّ الرجل ذهب ضحيّة وشاية — كما يرى الشيخ ابن بسام — وابن بشر يحدّد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينما في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩ ، ولعل هذا تطبيع ، فابن بشر حدد الشهر أيضاً .

ومهما يكن الأمر — بالنسبة للشيخ ابن غريب ، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل ، وسعت رحمته كُلَّ شيء .

فاطمة ابنة الشيخ : لقد لفت نظري الابن الكريم الأستاذ عبد الرحمن الرويشد إلى أن المعاصرين من أهل زمننا يتناقلون بينهم أخبارا عن ابنة للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب تدعى فاطمة وفيما يتناقلونه أنها اتجهت لطلب العلم من صغرها حتى عنست ولم تتزوج وأنها كانت موصوفة بالجمال ومنتهى العفة بحيث حاول رجل دخل بيتها متخفياً بزي امرأة مشاهدتها ولكنها لقنته درساً قاسياً .

وقد انتقلت مع الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد إلى عُمَان بعد وقعة الدرعية سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف .

والشيخ علي هو جد معالي الشيخ حسن بن عبدالله وزير التعليم العالي .

وفي عمان كانت تلقي دروساً في الحديث والتوحيد والفقه على طلبة العلم من وراء حجاب .

ويحكى من أخبارها أنها حين سارت إلى الحج مرت بقبر على مقربة من قرية الزيمة حوله سادن ، فطلب السادن من قائد راحلتها أن يقدم هدية لصاحب القبر بدعوى أنه

ولي فانتهره وقال لا أقدم له إلّا التراب ، فتكلمت وهي في الهودج قائلة : ولا تقدم حتى التراب ثم استدلت بحديث «ودخل النار رجل في ذباب» .

وقد عادت فاطمة من عمان مع الشيخ علي حين استتب الأمر للإمام تركي ابن عبدالله بعد جلاء الغزاة من نجد .

وتوفيت في الرياض وقبرها في مقبرة العود لا يزال معروفاً إلى عهد قريب .

ويظهر أن فاطمة هذه ولدت للشيخ علي كبر لأنه — رحمه الله — توفي سنة ست بعد المئتين والألف عن عمر قارب التسعين عاماً ، ولهذا لم يذكرها المؤرخ اليمني المتقدم ذكره .

وبعد فليكن قول الله جلّ وعلا (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

ليكن حسن الختام...

حمد الجاسر

التعليقات :

(١) تاريخ ابن غنام المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد — ص ٣٤٢ —.

(٢) ابن غنام «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦ .

(٣) أنظر عن غالية مجلة «العرب» س٥ ص ٨٠٠ وس٦ ص ٣٩٤ و«الإعلام» للزركلي حرف الغين — ومجلة «الزهراء» ج١ ص ١١٨ وتاريخ الجبرتي حوادث سنة ١٢٢٩هـ و«البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج١ ص ١٧٣/ ١٨٧/ ١٨٨ تأليف محمود فهمي المهندس المتوفي في سيلان سنة ١٣١١ — منفيا مع عرابي باشا .

(٤) ج١ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٥) ص ٥٢٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد : (ليا) إذا : (عاد) : لم (ودوه) : اذهبوا به ويعني السيف . (العرفجية) : المنسوبة إلى آل عرفج ، وغلط فؤاد حمزة فظن الكلمة اسم روضة — كما في حاشية كتابه «قلب جزيرة العرب» ونبهت على ذلك في نقدي للكتاب . ومجمل معنى بيت الشاعر : إذا لم نرو سيوفنا من دم أعدائنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا — كما فعلت العرفجية .

وذكر الدكتور عبدالله العثيمين في كتاب «نشأة إمارة آل رشيد» أن البيت للأمير عبدالله بن علي بن رشيد

(٦) أنظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و١٠٨١ و١٠٩٧ و١١٠٥ و١١٣٣ و١١٣٧ و١١٤٢ .

(٧) : «عنوان المجد» ج٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف .

(٨) : ابن غنام : «تاريخ نجد» : ٨٠ .
(٩) : «عنوان المجد» ج١ ص ٢٤ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١ م) .
(١٠) : ص : ٣٧ .
(١١) : «معجم اليمامة» ١/٥٣٥ .
(١٢) الزلال : من الأمكنة القريبة من الدرعية . ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس وهو من أهل هذه البلدة — : أنه غير معروف الآن .
(١٣) من كلمات الاعتزاء التي كان الملك عبد العزيز — رحمه الله — يرددها إذا حزبه أمر من الأمور : (أنا ابن مقرن) و(أنا أخو نورة) و(أنا أخو الأنور) و(أنا ابن فيصل) .
(١٤) : «عنوان المجد» : ج١ ص ٧٧٥ و٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١ م) .
(١٥) ج١ ص ٢١٧ .
(١٦) : «علماء نجد» ص ٢٦ .
(١٧) ص ٣٢٩ .
(١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧ .
(١٩) هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠/١١٤٣هـ) .
(٢٠) ص ١٩ — طبع (دار الملك عبد العزيز) .
(٢١) : «عنوان المجد» ج٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .
(٢٢) المصدر السابق ص .
(٢٣) غصيبة : محلة في أعلى الدرعية ، بلغها عمرانها الآن .
(٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ .
(٢٥) : «تاريخ نجد» : ٧٨ .
(٢٦) : «عنوان المجد» : ٢٣/١ .
(٢٧) : «تاريخ نجد» : ٨٠ .
(٢٨) : ٣١ .
(٢٩) : «عنوان المجد» : ٢٣/١ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .
(٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم علي إلى سنة ١١٤٣ ثم سليمان . قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادث سنة ١١٦٦ هـ : وفيها غدر المهاشير المعروفون من بني خالد في سليمان آل محمد رئيس الأحساء ، ورئيس بني خالد ، فانهزم إلى بلد الخرج ومات فيه . انتهى أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب ، فقال — ص ١٦٧ — بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية : (كان متولعا بحب النساء ، نكح ما يزيد على المئة ، لكنّه لم يجمع إلا بين أربع منهن ، بل كان يأخذ ويطلّق ، وكان يتعرض بنات بني خالد غدراً ، فأنكرت عليه مشايخ الخوالد وبنو أعمامه ، فأجلوه إلى أرض نجد ، ولما وصل اليمامة مات في الطريق فدفن هناك ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) — انتهى . وقد وقع في «عنوان المجد» ج٢ ص ٢٤٠ — طبعة وزارة المعارف غلط نصّه : في ذكر سوابق سنة ١١٤٣ : (قتل سليمان بن محمد رئيس الأحساء ورئيس عربان بني خالد ، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون) . والمقتول هو علي بن محمد وتولى بعده أخوه سليمان بن محمد ، الذي كان معاصراً لظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦ .

(٣١) : ٣٢ .
(٣٢) : «عنوان المجد» : ج١ ص ٢٥ — طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(٣٣) : «تاريخ نجد» : ٨٢ .
(٣٤) «عنوان المجد» ج١ ص ٢٨ .
(٣٥) المصدر السابق : ٣٣/١ .
(٣٦) : ٩٤ .
(٣٧) : «عنوان المجد» ج١ ص ٢٨ و ٤٢ .
(٣٨) حوادث سنة ١٠٩٨/ ١١٠٠/ ١١٢١/ ١١٢٨/ ١١٣٠ .
(٣٩) المصدر : ج٢ ص ٢٤٠ .
(٤٠) : «تاريخ نجد» : ٩٤ .
(٤١) : «عنوان المجد» : ٣٤/١ .
(٤٢) : «تاريخ نجد» : ٩٦ .
(٤٣) : «عنوان المجد» الطبعة الأولى ٢٢ .
(٤٤) : «عنوان المجد» : ٣٦/١ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ .
(٤٥) «تاريخ نجد» : ٩٧ .
(٤٦) ج١ ص ٨٩ .
(٤٧) ٢٠٣/٢٠٤ .
(٤٨) مخطوط — أنظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها .
(٤٩) «العرب» س ٧ ص ٤٦ .
(٥٠) المصدر ص ٤٧ .
(٥١) : «عنوان المجد» : ٢٢٨/١/ ٢٦٥/ ٢٦٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(٥٢) لا يزال مخطوطاً ، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ٨٦٥/ ٨٦٦ .
(٥٣) : «عنوان المجد» ج١ ص ٩٠ — طبعة وزارة المعارف — سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(٥٤) : أنظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٢٠ وص ٢١٢ .
(٥٥) كتاب «علماء نجد» : ٤٤٣ .
(٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» ص ١٧٧ و٢٢٤ .
(٥٧) هو رحالة سويسري يدعى جون لويس بركهارت (John Lewis Burkhardt) له رحلة إلى بلاد العرب مشهورة ، لخص قسم منها وعرّب .
(٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها .
(٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج٤ ص ٥٦٤/ ٥٨٤ — مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩هـ .
(٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥ .
(٦١) : «العرب» س ١٢ ص ٧٠١ .
(٦٢) : «علماء نجد» .
(٦٣) : «علماء نجد» : ٩١٦/ ٩١٧ .
(٦٤) : «عنوان المجد» ج١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

الحَفَرُ والأحْفار

نشرت العرب في الأجزاء السابقة مواد متتابعة من قسم المنطقة الشرقية من كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

[وقد صدر من هذا القسم جُزْءانِ ، وتكتفي العرب بنشر نماذج من ذلك القسم] .

الْحَفَرُ :

بفتح الحاء والفاء وآخره راء ، وقد تسكن الفاء — وهو في اللغة التراب الذي يستخرج من الحُفْرَة ، والمكان المحفور ، والبِئْرُ المُوَسَّعَةُ .

ثم عُرِفَتْ مَنَاهِلُ في بلاد العرب بهذا الاسم ، أشهرها حَفَرُ أبي مُوْسَى الواقع على طريق الحجِّ البَصْرِيِّ في وادي فَلْج (الباطن) .

جاء في كتاب «بلاد العرب»[1] : قال بعضهم : إذا جاوزَتْ الْحَفَر وهو حَفَرُ أبي موسى الأشعريّ ، وهو حَفَرُ بني العَنْبَرِ ، كانَ أبو موسى احْتَفَر فيه رَكِيَّة — فأنتَ في نجد . انتهى .

وفي كتاب نصر[2] : الْحَفَرُ — بفتح الحاء والفاء — هو الحفر المنسوب إلى أبي موسى الأشعري قرب البصرة .

وقالَ الأزهريُّ في «التهذيب»[3] : والأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة ، فمنها حَفَرُ أبي موسى وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادَّة الْبَصْرَة ، وقد نزلتُ بها ، واستَقَيْتُ من ركاياها ، وهي ما بين مَاوية والمنجشانيَّات وركايا الحفر مَسْنَويَّةٌ ، بعيدةُ الرِّشاءِ ، عذبة الماء — مَسْنَوِيَّة : أي يستقي منها بالسَّانية وهذا كقولهم ، زرعٌ

---

(١) : ٣٣٩ .

(٢) الورقة : ٤٣ .

(٣) ١٦/٥ .

مَسْقَوِيٌّ : أي يُسْتَقى .

ومنها حَفَر ضَبَّة ، وهي ركايا بناحية الشَّواجن ، بعيدة القَعْر ، عَذْبَةُ الماء . ومنها حَفَرُ سعد بن زيد مَناة بن تميم ، وهي بحذاء الْعَرَمة وراء الدهناء ، يُستقى منها بالسَّانية ، عند حبل من حبال الدهناء ، يقال له حَبل الحاضر . انتهى .

وأورد ياقوت في «معجم البلدان» قول أبي عُبَيْد السَّكُونيِّ : حَفَرُ أبي موسى مياهٌ عذْبَةٌ ، على طريق البَصْرَة من النِّباج ، بَعْدَ الرقمتين ، وبعده الشَّجيُّ لمن يَقْصُدُ البصرة . وبين الحَفَرَ والشَّجِيِّ عَشَرة فراسخ[1] .

ونقل الأزهريُّ[2] عن الأصمعيِّ : الهوبجةُ بطن من الأرض ولما أراد أبو موسى حَفْر ركايا الحَفَر ، قال : دُلُّوني على موضع بئر تُقْطَعُ بها هذه الفلاة . قالوا : هَوبَجَةٌ تنبت الأرْطَى . بين فَلْج وفُليج ، فحفر الْحَفَر وهو حَفَرُ أبي موسى ، بينه وبين البصرة خمس ليال . انتهى .

وكلمة (الهوبجة) لا تزال مستعملة في نجد ، ويقصد بها الأرض المنخفضة ذات الشجر[3] .

وفي «التكملة»[4] : والْهَوبَجَةُ بطن من الأرض ، وقيل : المُطمئِنُّ منها وقيل : منتهى الوادي حيث تدفع دوافعه . قال :

إذا شَرِبَتْ ماءَ الرِّجَام وبَرَّكَتْ بِهَوبَجة الرَّيَّان قَرَّتْ عُيُونَها

وفي حديث أبي موسى أنه لما أراد حَفْرَ ركايا الْحَفَر قال : دُلُّوني على موضع بئر نُقْطَعُ به هذه الفلاة فقالوا : هَوْبَجَةٌ تُنْبتُ الأرْطَى بين فَلْج وفُلَيْج . فَحَفَرَ الْحَفَرَ ولَمْ يَكُنْ بالْمَنْجَشانيَّة ومَاوِيَّة قَطرةٌ ، إلا ثَمادُ أيامَ الْمَطر ، ثم استعمل سَمُرَة[5] العَنْبريَّ

(١) الفرسخ ثلاثة أميال ، فالمسافة إذن ٣٠ ميلاً — أي نحو ٦٠ كيلاً وانظر رسم (الشجي) .
(٢) : «التهذيب» : ٦ — ٦٥ .
(٣) وكذا الهيج الأرض المنخفضة أيضاً .
(٤) ٥٠٥/١ .
(٥) في مطبوعة «التكملة» (سهرة) والتصحيح من «الفائق» للزمخشري مادة (هيج) .

على الطريق ، فَأَذن لِمَنْ شاء أن يَحْفِر ، فابْتَدَأوا في يَوْمٍ سَبْعين فَماً من أفواه البِئار . انتهى .

ومثل هذا في «معجم ما استعجم» للبكري و«الفائق» للزمخشري .

وفي كتاب «المناسك»[1] ما مُلَخَّصُه : أن أبا موسى الأشعريَّ لما أقبل يريد البصرة ، أخذ عَلَى فَلْج ، حتَّى حَلَّ بالْحَفير ، فَعَطِشَ الناس في طريقهم ، فأمر ببئر فاحتفرت فأُنبِطَتْ عَذْبة ، فَقِيْل : حَفَرُ أبي مُوْسَى انتهى .

ولكن الْحَفِيْرَ يقع شرق الحَفَرُ نحو البصرة بمسافة قدرها صاحب كتاب «المناسك» بنحو ١١٧ ميلاً ، وبين الْحَفير وبين البصرة واحد وثلاثون ميلاً ، فكيف يحل العَطَشُ بأولئك وهم بِالْحَفير ويَحْفُر أَبو موسى في موضع يبعد عنه تلك المسافة ؟

قد يكون أبو موسى أمر بحفر بئرين في الموضعين إلاَّ أن نصوص المتقدمين تكاد تجمع على أنَّ حَفَرَ أبي مُوسَى هو الحفر المعروف الآن ، وهو غير الحفير .

وفي كتاب «المناسك»[2] : ومن الخرجاء إلى الحفر سبعة وعشرون ميلاً .

وبالحفر آبار ومسجدٌ ، وفيها مِنْبَرٌ وماء عَذْبٌ .

وفيه أيضاً[3] : أن الحفر من عمل اليمامة ، وأن ساكنه بنو العَنْبَر ، وأنَّ فيه منْبَراً .

ومؤلف كتاب «المناسك» من أهل القرن الثالث الهجري .

والقول بأنه مِنْبَر أو فيه مِنْبَرٌ يقصد به أنه بلدة تصلى فيها الجمعة ، وفيها عاملٌ أو أمير أو كما نعبر في عصرنا : مركز حكومي تلحق به أماكن أُخرى .

وورد وَصْفٌ للحفر في القرن الثاني الهجري في أُرجوزة وهب بن جرير الجهضمي المتوفي سنة ٢٠٦ قال[4] :

---

(١)
(٢) ص ٥٧٩ .
(٣) ٦١٢ .
(٤) كتاب «المناسك» ص ٦٢٥ .

حَتَّى إذا مَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْحَفَرْ مَرَّتْ بِمَـاءٍ في الطَّرِيق مُشْتَهِرْ
ذِي حاضرٍ جَمٍّ وَشَاءٍ وعَكَرْ[1] فَوَضَـعَ الْـقَـومُ بـه الْوَضَـائِعَا
لَـدَى امْرِئٍ قَدْ يَحْفَظُ الوَدَائِعَا ابنِ دُكَيْنٍ كَانَ قِـدْماً نـافِعاً
وأَطْـبَـخَ الْـقَـوْمُ بِهَـا واخْتَبَزُوا وشَـمَّـرُوا في شَأْنِهِمْ وَأَوْجَـزُوا
وأَسْرَجُوا المطَيَّ ثم اغترزوا

ووصف كتاب «دليل الخليج» الْحَفَر قبل ثمانين عاماً بما مُلَخَّصُه[2]

١ — أنه محطة مهمة على مسافة ١٦٠ ميلاً من الكويت .

٢ — أن عدد آباره ٤٠ منها إحدى عشرة ماؤها صالح ، وهي تقع في سهل واسع يبلغ قطر دائرته ثلاثة أميال ، والمسافة بين تلك الآبار تتراوح بين ربع ميل إلى ١٠٠ ياردة .

وأن عمق تلك الآبار قد يبلغ مئة متر . مطوي منه بالحجر نحو ستة أقدام .

وعمق المياه نحو ٣٠ قدماً ، وهي فاترة وفي الصباح تستطيع أن تشاهد بخار الماء يتصاعد من أفواه الآبار .

وقبيلتا مطير والظفير تردان تلك الآبار ، وقد يردها غيرهما .

٣ — والحفر واقع على الطريق الممتد من القصيم ومن جبلي شمَّر إلى الكويت ، والى البصرة .

٤ — ويتصل بوادي الحفر منخفضان (واديان) يأتي أحدهما من الشمال يسمى فليج الشمالي ، وهو متصل بخط آبار الطوال ، طوال الظفير وأولها السلمية .

والثاني فليج الجنوبي ، ممتدٌّ جنوباً نحو آبار طوال مُطير ، وأولها اللصافة .
يُفْهَمُ من النصوص المتقدمة :

---

(١) العكر — بفتح العين الابل الكثيرة .

(٢) القسم الجغرافي ٩١٧ .

١ ـــ أن الحَفَر أُنشيء في القرن الأول الهجري حينما كان أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل أميراً للبصرة ، فيما بين سنتي ١٧ و٢٩[١] .

ويظهر أنه أصبح قرية من ذلك الوقت ، حيث حُفر فيه أكثر من سبعين بِئراً .

٢ ـــ كان وادي فلج (الباطن) الذي يقع فيه الْحَفَر من بلاد بني العنبر ، من تميم ، ولذلك ولاه أبو موسى سَمُرة الْعَنبري . وسَمُرة هذا صَحَابيٌّ ترجمه ابن حَجَرٍ في «الإصابة»[٢] وهو سمرة بن عمرو بن قُرْط العنبري .

كان خالدُ بن الوليد وَلاَّهُ اليمامة بعد فَتْحِها ، أيام حروب الرِّدَّة .

واستعمله عثمان بن عفان على هَوَامي الإبل . وهي الضَّالَّة .

أما ما ذكر البكريُّ في «معجم ما استعجم»[٣] نقلاً عن عُمَارة ـــ وهو ابن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر ـــ : الْحَفَرُ والْمَرُّوْتُ من منازل التَّيْم من بني تميم فيمكن تخريجه بأنَّ التَّيْم مَعْدُودُون من بني تميم ، ومخالطون لهم في المنازل أو أنَّ المقصود حَفَرٌ آخر .

٣ ـــ أنَّ الْحَفَر بصفته قريةً ـــ استمر في النُّمُوِّ منذ القرن الأوَّل الهجري حتى القرن الثالث حيث كان ذَا منبر ـــ أي محل إمارة ـــ ثم بدأ به الضعف بعد ذلك لأننا لا نجد ـــ فيما بين أيدينا من النصوص مما يتعلق به ـــ ما نعرف به شيْئاً عنه بعد ذلك الزمن ، وما بين أيدينا من نصوص المؤلفين المتأخرين عن ذلك العهد تتعلق بزمن بعد أزمان أولئك المؤلفين .

ويظهر أن القرية ازدهرت بسبب مرور الحجاج القادمين من جنوب العراق وما وراء ذلك من البلاد الإسلامية ، وذلك في خلال القرون الثلاثة المذكورة ، فلما استولى القرامطة على البحرين في آخر القرن الثالث الهجري وبدأوا بعد ذلك يتعرضون للحجاج بالنهب والقتل ـــ كما فعلوا بهم سنة ٣١٧ بالهبير ـــ تعطَّل سير الحُجَّاج ، ومن هنا بدأ

---

(١) أنظر «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ١٧ و٢٩ و«سير أعلام النبلاء» ٣/٢٨٠ .

(٢) برقم (٣٤٧٨) .

(٣) رسم (الحفر) .

الضعف بهذه القرية حتى اضمحلَّت . وبقي منهل الْحَفَر تَرِدُه البادية التي تحل في تلك الجهات .

والأزهريُّ الذي أسرته القرامطة سنة الهبير . ذكر أن الحفَرَ آبارٌ مسْنويَّةٌ — أي يستخرج منها الماء بالسانية لِبُعْد قعرها — ولم يذكر أن الحَفَر قَرْيَةٌ .

٤ — وبقي الْحَفَرُ من أشهر مناهل في شرق الجزيرة ، لوقوعه على أهم الطرق الموصلة منها الى العراق ، ثم إلى الكويت بعد إنشائه .

ومن المعروف أنَّ الجزيرة كانت إلى عهد قريب ذاتُ صِلَةٍ قَوِيَّةٍ من الناحية التجارية بتلك البلاد ، بل إنها تعتمد عليها في كثير من جوانب تلك الحياة .

٥ — ولما استَتَبَّ الأمنُ في هذه البلاد قبل خمسين عاماً ، ونشطت حركة التجارة بينها وبين الكويت والعراق أصْبَح الْحَفَرُ ملتقى للقوافل التي تَحْمل التجارة إلى المملكة من تلك البلاد . فاهتمت الدولة به ، وأنشأت فيه مركزاً لتنظيم شؤون التجارة ، ومن هنا بدأت حركة العمران متدرجة حتى أصبح قرية ، ازداد نُمُوُّها بعد العثور على النفط في أماكن قريبة منه ، ثم بعد مدِّ أنابيب النفط .

٦ — والآن بَعْدَ أن أنْشِئَت بِقُرْبه منشآتٌ حكومية أصبح مدينة يقارب عدد سكانها ١٢١٩٠ في سنة ١٣٩٤ — ولا شك أن السكان زادوا في خلال أربع السنوات الماضية زيادة كبيرة حيث أُنشيء في الحفر مدينة عسكرية ، ومطار . ويتبع الحفر إدارياً ست قرى وثمانية من موارد البادية ، بحيث كان مجموع سكان إمارة الحفر ٢٣٤٢٢ نسمة في عام ١٣٩٤هـ وقد زاد هذا العدد في خلال السنوات الماضية ، إذ هي من سنى الازدهار العمراني الشامل في جميع أنحاء المملكة .

هذا الْحَفَرُ هو أشهر الأحفار في بلاد العرب ، وأكثرها ذكراً في أخبارهم وأشعارهم وهو المراد عند الاطلاق . كقول الفرزدق[1] :

---

(١) ديوانه : ٢٢١ .

بِحَيث مات هَجيرُ الحَمض واختَلَطَتْ　　لَصاف ـــ حول صَدَا حَسَّان ـــ والْحَفَرُ

وقد ذكره مَرَّةً أخرى بصيغة الجمع[1] :

تَحِنُّ بِزَوراءِ المَدِينَة نَاقَتي　　حَنينَ عَجُول تَبْتَغي البُوَّ رائِم
ويَالَيْتَ زَوْراءَ المَدِينَةِ أصْبَحَتْ　　بِأَحْفار فَلْج أو بِسيْفِ الْكَواظِمِ

وجاء في «ديوان ذي الرُّمَّة»[2] :

غَـرَّاءُ آنِسَـةٌ تَـبْـدُو بِـمَـعْـقُـلَـةٍ　　الى سُويْقة، حتَّى تَحْضُرَ الحَفَرا

وفي شرحه : حين ينفسخ الحرُّ تبدو بمَعْقُلَة الى سُوَيْقة ، أي ما بين هذه إلى هذه . آنسة ليست : بنفور أي تظهر حين تَحْضُر الحفر في الصيف وهو حَفَرُ سَعْدٍ وحفرُ الرِّباب ، بينهما مسيرة ليلة . انتهى ونقله البكريُّ في «معجم ما استعجم»[3] والذي يظهر لي أنه يقصد حفر فَلْج لذكره معقلة وسُوَيقة ، إذ الحفران اللذان وردَا في الشرح يقعان غَرْبَ الدهناء .

ويلاحظ أن الحفر ـــ في الأصل وَصْفٌ ـــ ثم عُرِفَ به كثير من الآبار ، في جهات كثيرة من بلاد العرب منها : الحفر بقرب كُشُبٍ ، ذكره الهجري وحفر بني الأَدْرَم من بني تَيْمٍ من قريش ، في حمى ضريَّة ذكره الهجري أيضاً والبكري وحفر بني أسد بقرب النائعين في جنوب القصيم ذكره البكري[4] ، والحفر من مياه البياض وهو حفر الثريا ، ذكره الهمداني[5] وحفر الرِّباب من المياه القريبة من الدهنا ، وحفر الرمَّانتين من مياه العَرَمة غرب الدهنا ، ذكره الهمداني[6] ، وحفر بني سعد قرب العرمة ، حدده صاحب «بلاد العرب»[7] وهو حَفَر العَتْك وحَفْر نَمَلَى ذكره صاحب «بلاد

(١) ٨٥١ .
(٢) ١١٤٦ .
(٣) رسم الحفر .
(٤) : «معجم ما استعجم» : ٨٦٤ .
(٥) : «صفة جزيرة العرب» : ٢٩٨ .
(٦) : ٢٨١ .
(٧) : ٣٠٨ .

العرب »[1] وحَفَر يَنْبَمَ ورد في شعر طُفيل الغنويّ[2] ويبنم في شرقي بيشة بقرب تَثْلِيْث .

ويلاحظ أن كلمة الْحَفَر وكلمة الْجفَرْ يُؤَدِّيان مَعْنى مُتقارباً ، وكثيراً ما صُحِّفَتْ إحْدَاهما بالأُخْرى ، فقد يكون من بين ما تقدم ما هو مصحف عن (الجَفْر) .

حَفَرُ أبي مُوْسَى :

هو الْحَفَرُ المتقدم ذكره . وأبو موسى هو الصحابي الجليل ، وشهرته تغني عن ترجمته .

الْحَفَرُ الأعْلَى :

قال الْفَرَزْدَق[3] :

أتَصْرِفُ أجْمَالَ النَّوَى شاجِنِيَّةٌ   أم الحَفَرُ الأعْلَى بِفَلْج مَصيرُها؟

مفهوم هذا البيت أن المقصود الحفر الواقع في وادي (فَلْج) وهو حَفَر أبي مُوْسَى ، الواقع في ذلك الوادي ، المعروف الآن باسم (الباطن) .

ولكن جاء في كتاب « بلاد العرب »[4] ما نصه : والأحْفَارُ ثلاثة : حَفَر العَنْبر ، وحفر الرِّبَاب ، وحَفَرُ سَعْد . قال :

بِالْحَفَرِ الأَعْلَى مِنَ الأَحْفَارِ .

والأَعْلَى هُوَ حَفَرُ سَعْد . انتهى .

ولعلَّ كلمة (الأَعْلَى) صفة نِسْبِيَّةٌ ، تختلف باختلاف القائل ، فالفرزدق وَصَفَ حَفَر فَلْج بها لوقوعها في أعلى بلاده ، والراجز كذلك .

---

(١) : ١٣٦ .

(٢) «صفة جزيرة العرب» ٣٢٥ .

(٣) ٤٥٤ .

(٤) : ٢٩٤ .

حَفَرُ سَعْدٍ :

نقل ياقوت في «المشترك» عن ابن أبي حفصة : حَفَرُ سَعْدٍ ببطن السِّيدان ، بقرب الدهناء . انتهى ولم أره ذكر هذا في «معجم البلدان» وأخشى أن يكون في عبارة كتاب «المشترك» نَقْصًا ، إذ النصوص التي بين أيدينا قد حَدَّدت حَفَر بني سعد ، وأنه يقع غرب الدهنا ، بعيداً عن السِّيْدان وبنو سعد هم الفرع المشهور من بني تميم وكانت بلادهم تمتد من يبرين جنوباً حتى السيدان شمالاً .

حَفَرُ السُّوبَان :

أورد ياقوت في «معجم البلدان» شاهداً له ، ولَمْ يُسَم القائل :

أفي حَفَرِ السُّوبان أصْبَحَ قَوْمُنا عَلَيْنَا عِضَاباً كُلُهُمْ يَتَحَرَّقُ

كذا أورده والسُّوبانُ موضع لا يزال معروفاً سيأتي تحديده — وليس بعيداً عن حَفَر فَلْج ، ولا عَنِ الشَّوَاجِنِ التي يقع فيها حَفَر ضَبَّة — على ما سيأتي — فهو أحَدُ الحَفَرَين ، وأُضيف إلى السوبان لقربه منه .

حَفَرُ السِّيْدان :

أورد ياقوت «معجم البلدان» شَاهِداً له لِلسَّمْهَرِيِّ الْعُكْلي اللِّصِّ :

بَكَيْتُ وَمَا يُبْكِيكَ مِنْ رَسْم مَنْزِلٍ عَلَى حَفر السِّيْدَانِ أَصْبَحَ خالِيًا

وجاء في كتاب نَصْرٍ[1] : الْحَفَرُ — بفتح الحاء والفاء — هو الحفر المنسوب إلى أبي موسى الأشعري قرب البصرة . وحَفَر الرِّبَاب . وحَفَرُ سعد ، موضعان من ديار تميم . وحَفَرُ السِّيدَانِ عند كاظمة انتهى .

والسِّيْدَانُ يقع شرق الجزيرة ، داخل في حدود الكويت ، سيأتي تحديده في

---

(١) الورقة : ٤٣ .

موضعه . وسيأتي شاهد لحفر السِّيدانِ من شعر جرير في رسم الرحَا .

حَفَرُ ضَبَّة :

ذكره ياقوت في «معجم البلدان» منسوباً إلى ضَبَّة بن أُدٍّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر، وقال : وهو ركَايا بنواحي الشَّواجن ، بعيدة القَعْر ، عَذْبَة الماء . وقال عن الشواجن : اسم وادٍ في ديار ضَبَّة في بطنه أطواء كثيرة منها لصَافِ واللِّهَابَةُ وَثَبْرَةُ ، ومياهُهَا عَذْبَةٌ . وقريب من هذا قول صاحب كتاب «بلاد العرب»[١] والقرعاءُ واللِّهَابَةُ ولَصَافِ وطُويلع وما حَوْلَهُنَّ يُسَمَّيْنَ الشَّاجِنَة ، وهي دون الصَّمَّان في أسافله . انتهى . ولا تزال تلك المناهل معروفة ـــ سيأتي تحديدها . ولكنها لا تعرف باسم الحفر .

حَفَرُ بني الْعَنْبَر :

هو حَفَرُ أبي مُوْسَى ، وبَنُوْ العَنْبَر كانوا يسكنون وادي فَلْج ، قَبْل حَفْر آبار الْحَفَر في عهد أبي موسى في القرن الأول الهجري ، وقد كان فَلْجُ من بلاد فروع من ربيعة من بكر بن وائل وغيرهم فأزالتهم بنو تميم عند ظهور الإسلام ، وحلت فروع منهم كبني العنبر وغيرهم هذا الوادي .

الْحَفْرَان :

ـــ مُثَنَّى حَفْر ـــ تقدم قول الفرزدق :

وَحِيْدَ له الْحَفْرَانِ ، من ذي جَمَاجِم[٢] ،

والقول بأنه يظهر أن المراد بهما حفْرُ ضَبَّة بالشواجن أسفل الصَّمان وحفر أبي موسى أو حفر السِّيدان شرقي حفر الباطن . وتقدم الكلام على (الأحفار) في هذا الرسم .

---

(١) ٣٥٥ .

(٢) حرف الجيم رسم (جماجم) ص ٤١٣ .

نقـد الكتب :

التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر
للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

يعتبر تاريخ الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عمدة لتاريخ نجد ، ودولة آل سعود في دوريها الأول والثاني من حيث شمول مادّته ، وتحقيقه وأمانة نقله ومعاصرته لِجُلّ أحداث تلك الفترة وعدم مزاحم له في هذا المجال ..

ورغم ما ذكرنا فإن جوانبَ مطويَّةً وعباراتٍ مُقتضبة ، وقضايا تستحق التحقيق والتعليق ، مما يجعل قارئه في كثير من المواقف يطلب مزيداً من إيضاح ، وبسطاً من بيان ..

وكانت طبعاته الأولى تنقصها الدقَّة ، ويعوزها التَّحقيق .. مما جعل (وزارة المعارف) ممثلة في وزيرها آنذاك الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ تدرك هذا النقص فتندب نفسها للعمل على تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ومن ثم طبعه .. فأسندت هذا العمل للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. فبذل في ذلك جهداً وأنفَقَ وقتاً وأتى بجديد .. فلقد فصل سوابق هذا الكتاب (وكانت مبثوثة في تضاعيفه) وجعلها ذيلاً له ، وألحق به تاريخ «عُقد الدُّرر» للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى فحققه أيضاً وعلق عليه لأنه يعتبر مكملاً لتاريخ ابن بشر ، وقامت (وزارة المعارف) بطبعه وتوزيعه ، ومنذ ، صدرت طبعته المحققة عام (١٣٩١هـ) وأنا أُمَنِّي نَفْسي بقراءته ، ولكن لم تُوَاتني الظروف حتى عَزَمْتُ على زيارة بعض دول جنوب آسيا في شهر جمادي الأولى من عام (١٤٠٠ هـ) فوجدتُها فرصة أصطحب فيها هذا الكتاب معي لِأَقْرَأَهُ في أوقات فراغي ، فكان ذلك ، فعثرتُ فيه على بعض الملاحظات التي وجدت من أمانة التاريخ أن أُنَبِّهَ عليها ..

إنَّ الشيخ عبد الرحمن ــ كما قلت آنفاً ــ قد بذل فيه جُهْداً ووقتاً يشكر عليهما غير أن ذلك لا يمنعني من أن أُسَجل بعض هذه الملاحظات التي لا يخلو منها أثر ، ولا يطمع في السلامة من وقوعها من يتصدّى العمل مثل هذا .. ولا يمكن أن يستنكف منها من

هو عرضةٌ للنقص .. وهو أمرٌ يصدق على سائر البشر إلا من ثَبَتَتْ لهم العصمة ..

١ — من حيث الشكل وجدت الشيخ كرر التعليقات على الموضوع الواحد أحياناً أربع مراتٍ ، وربما أكثر ، وربَّما أقل ، وقلَّ أنْ يأتي بجديد فيما كرر من تعليقات ، وحتى لو كان هناك جديد فمن المتعيّن أن يكون التعليق واحداً مستوفى .. وهذا الذي فعله الشيخ جعل حجم التعليق يكثر بشكل ملحوظ على غير طائل ..

٢ — عتب الشيخ على ابن بشر أنه يستعمل لغة (البراغيث) وعتب عليه مرة أخرى أنه لا يعبأ بقواعد اللغة العربية .. بينما نحن نرى الشيخ نفسه وقع له في هذه التعليقات عدة لحنات ، وأبيات شعرٍ مكسورة ، ولغة عامية .. فسبحان من لا يَتأَتَّى عليه الخطأ ولا يدركه النقصان ..

على أن لغة : (أكلوني البراغيث) وإن كانت لغة مرجوحة إلا أنّها قد جاء بها القرآن الكريم قال تعال : (.. وأسرُّوا النَّجْوَى الّذِيْنَ ظَلَمُوا) . وأتَتْ بها السنة المطهرة ، قال ﷺ : «يَتَعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» ووردت على ألسنة العرب .. وقد حاول بعض المخرجين أن يُؤَوِّلَ ذلك بتأويلاتٍ لا تخلو من تكلف .

٣ — جاء في صفحة (٥٨) ذكرٌ لعرقة القرية المعروفة الواقعة بين الرياض والدرعية ، وأورد الشيخ ما قاله ياقوت عنها بأنها (العوقة) بالواو ومحلاة بالألف واللام ..

والحقيقة يا شيخنا أنَّ لياقوت في (عرقة) قولين مرة قال : إنها العرقة كما أورد الشيخ ، ومرة قال : (عوقة) بالواو بدل الراء ، وأوردها الهمداني بالواو أيضاً ، والوصف في كلا القولين متَّفِقٌ على أنها هي هذه القرية المعروفة الآن (عرقة) غير أن المرجح أنها تسمى قديماً (عوقة) بالواو ، أنظر «معجم اليمامة» صفحة (١٩٠) الجزء الثاني وصفحة (١٤٤) نفس الجزء . قلت : وهناك قرية صغيرة بوادي (تَثْلِيْث) تحت قرية (الْمَظَّة) تسمى (عرقة) .

٤ — قال الشيخ صفحة (٦٣) عن نسب آل سعود : وقف المؤلف (يقصد ابن بشر) على ما فوق مانع ، فنقول (القول للشيخ) : هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد من رؤساء قبيلة عَنَزَة بن أسد .. إلخ .

فما أدري ما الذي أوقف الشيخ هنا عند (مريد) ولم يستمرَّ في سردِ سلسلة النسب وأقحم (عَنَزَة) هنا إقحاماً ؟! أَلَمْ يَأْخُذْ نسب آل الشيخ بادِئاً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى انتهى بهم إلى عدنان ، مع أنه يدرك أنَّ المريدي الذي ذكره من مردة بني حَنيفة ، وأن الدروع الذين يسكنون (الجزعة) و(حَجْراً) من وادي حنيفة هم بنو عم الدروع الذين يسكنون الدرعية الأولى من المنطقة الشرقية ، وبهم سميت دِرْعِيَّة العارض ، والكل من بني حنيفة .. فلماذا وقفت يا شيخنا هذه الوقفة ثم قفزْت إلى عنزة ؟! المقام لا يسمح للمحقق أن يعمل هكذا ..

٥ ــ وفي صفحة (٧٣) قال الشيخ : إن من قرى (المحمل) (القرينة) و(مَلْهَم) و(صلبوخ) ثم مضى يقول : وكان (تُمَيْر) يُعَدُّ قديماً في قرى الوشم .. إلخ .

والصحيح يا شيخنا أن (القرينة) و(مَلْهم) و(صلبوخ) من (الشَّعِيْب) لا من المحمل ، وقد تَبِعْتَ يا شيخنا في هذا من أَلَّفوْا عن بلادنا وهم لا يعرفونها ، والمفروض أننا نصحح أخطاءهم لا أَنَّنا نُقَلِّدهم ..

أما من يَعُدُّ (تُمَيْراً) من الوشم ـــ ولو كان من المتقدمين ـــ فهو خطأٌ منه وقوْلٌ على غير هُدىً ، فتُمَيْر من قرى (سُدَيْر) شرقيه ، والوشم منطقة تقع غربيَّ سُدَيْر بينها وبينه سلسلة (جبل طُوَيْق) وشتَّان بين مُشرِّقٍ وَمُغَرِّبٍ ، وانظر «معجم اليمامة» الجزء الأول صفحة (٢٠١) تجد هذا الموضوع محققاً هنالك ..

٦ ــ قال الشيخ صفحة (٨٣) وأما إقليم اليمامة المذكور في كتب المعاجم والسير والتاريخ فقد امحى اسمه وحلَّ محله العارض انتهى .

والواقع أنَّ العارض جزء من اليمامة حسب مسماه المصطلح عليه أخيراً ، لا أنَّهُ اليمامة كلها فتحديد اليمامة أوسع من ذلك بكثير جداً .

٧ ــ في نفس الصفحة قال الشيخ : وأهل نجد يقولون بلغتهم الإصطلاحية الدارجة : نكس فلانٌ إلى محله أو بلده ، أو نكس على أهله أي رجع انتهى .

والواقع يا شيخنا أنها ليست لغة دارجة اصطلاحية وإنما هي لغة فصيحة دخلها التَّنَاوُبُ بين حرفي السين والصاد ، فأصلها (نكص) لغة عربية معروفة جاء بها القرآن .

٨ ــ وجاء في صفحة (١٧٠) قول الشيخ : (المُقْويْ) عند أهل نجد بلغتهم العامية الاصطلاحية الذي مضى عليه يوم أو ليلة أو أكثر لم يَجِدْ طعاماً يأكله . انتهى .

والواقع يا شيخ أنّها ليستْ لغة عامية اصطلاحية وإنما هي لغة عربية فصيحة جاء بها القرآن ، قال تعالى : (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً لِلْمُقْوِيْن) وانظر أقوال المفسرين على تفسير هذه الآية .. فقومك ينزعون دائماً إلى الفصيح ..

٩ — وفي صفحة (٢٢٦) قال الشيخ : قوله يحوشونهم أي : يمنعونهم بلغة أهل نجد الاصطلاحية الدارجة ..

ولماذا يا شيخ لغة اصطلاحية دارجة ؟! ألم تعلم أنّها لغة فصيحة صريحة .. راجع معاجم اللغة ..

١٠ — وجاء في صفحة (١٣١) عن تاريخ بَدْءِ ولاية آل حميد في الخط البيتان :

رَأَيْتُ الْبَدْوِ آلَ حُمَيدْ لَمَّا تَوَلَّوْا أَحْدَثُوا في الْخَطِّ ظُلْمَا
أَتَى تَارِيخُهُمْ لما تَوَلَّوا كَفَانَا الله شَرَّهُمُ (طَغَى الْمَا)

نَسبها الشيخ لمحمد بن لعبون النجدي ، والواقع أنهما ليسا لابن لعبون وإنما أوردهما في تاريخه مُسْتَشْهِداً وإلا فَهُمَا لأحد أدباء القطيف كما نص على ذلك ابن لعبون نفسه في تاريخه .

١١ — وفي صفحة (٢٤١) قال الشيخ عن نسب آل صباح وآل خليفة والأُسَر التي تشاركهم النسب قال : ولا أدري ما معنى تَسْمِيَتِهم بالْعُتُوبِ ، ولا ما هو سببها وقد أعيا الباحثين من النسابين والمؤرخين الوقوف على سبب تسميتهم بالعتوب ، وعندي أنها ولا شك تعني معنى اللقب لا معنى الأصل والنسب .. انتهى .

قلت : ذكر النَّبْهاني في «تاريخ البحرين» أن فخذ جُمَيْلة من عَنَزة يتفرع منها فصيلة تدعى بني عُتْبَة وهي التي منها آل خليفة وآل صَبَاح وآل ابن علي وغيرهم . نقل لي هذا الكلام الشيخ يوسف الصديقي القاضي بمحكمة البحرين عن تاريخ النبهاني حينما لقيته في (بمبي) في رحلتي هذه .

أما صاحب كتاب «كنز الأنساب» فيقول : آل صباح وآل خليفة بني عُتْبَة فصيلة من جميلة فخذ من عنزة ، ويطلق لفظ العُتُوب على آل خليفة وآل صباح وآل ابن علي ..اهـ .

ومؤلف «كنز الأنساب» — كما تعرف — عَنَزِيٌّ والناس أُمَنَاءُ على أنسابهم . ومن حَفِظَ حُجَّةٌ على من لم يحفظ ..

١٢ ــ وفي صفحة (٢٥٥) قال الشيخ : قول المؤلف عند أبانات لعله تصحيف من الناسخ وإلا فهما أبانانِ. إلخ .

والواقع يا شيخ أن أهل نجد يسمونها أبانات ربما يقصدون الجبلين وما حولها وربما من باب تسمية المثنى بالجمع وهو كثير على ألسنتهم ..

كما أن هناك من العرب من يفردهما وقد أكثر الشعراء من إفرادهما قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ أبانا في أَفَانِيْنِ وَبْلِهِ كبير أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

ومثله زهير ومثله عبدالله بن قيس الرقيّات ، ومثله الحطيئة ومثله لَبيد وأوس بن حجر والطرمّاح .. إلخ .

ومن الشواهد على جمع أهل نجد لأبانين قول عُبَيْد الحمود :

الْعَوْدْ عند النَّاسْ مالهْ جَلَالِ والْعَفَنْ صارتْ كُبْر أبانَاتْ عِلْيَاهْ

وقول ابن سُبَيِّل :

يوم الركايب عقَبَنْ خشْمَ أَبَانَاتْ ذكرتْ مَلْهُوفَ الْحَشَا مِنْ عَنَايَهْ

ويقول محسن الهزّاني :

مرباعها ما بين أبانات والخال نَاحِيْنْ عنه الدوسري والحسيني

١٣ ــ وفي صفحة (٢٦٧ ــ ٢٦٨) علق الشيخ على ذكر ابن بشر لخنادق أهل الدرعية ومتاريسهم الحربية إبّان حربهم مع جنود محمد علي حينما قال : ويليه في تلك الجهة عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود عند (ناظرة) علق الشيخ هنا وأكثر التعليق وجاء بأقوال علماء المنازل والديار عند (ناظرة) ثم قال : ويغلب على الظن أنّ جريراً عني بأبياته الثلاثة ناظرة المؤلف هنا .. إلخ وما (ناظرة) الدرعية يا شيخنا سوى ظَهْرٍ صغير يقع بين سور الدرعية شمالاً وشرقاً وغَصِيبَة جنوباً والسلماني غرباً ظَهْرٌ لا يُؤْبَهُ له ، ولا يعرفه جرير وما به ما يوجب المعرفة والشعر والبحث الطويل العريض ، ولا من الحبة ما يجعل قبة .. فناظرة جرير يا شيخنا غير هذه ، وما آفةُ الأخبار إلا رُوَاتُهَا ..

١٤ ــ وجاء في صفحة (٢٨٣) نسبة هذا البيت :

أقول قولاً بَيِّناً ظاهِرْ كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرْ

نسبة هذا البيت للفاخري .. والصحيح أنه شعر له حكم المثل ركبه الشعراء كثيراً

يمثلون به فلأبي تمام من قصيدة يمدح بها رجلاً اسمه أبو سعيد مطلعها :

قــل للأمير الأرْيــحِيِّ الــذي كــفَّــاهْ لــلــبــادِي ولــلــحــاضر

ومنها :

لَا زالت من شكري في حُلَّةٍ لَابِسُـهـا ذُوْ سَـلَـبٍ فـاخـر
يـقـولُ من تَـقْـرَعُ أَسْـمَـاعَـهُ كَــمْ تَــرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِــر

١٥ ـــ ذكر الشيخ سكان الدرعية في صفحة (٢٩٠) وذكر سبع أُسَرٍ فقط من سكَّانها وقال عن الباقين : إنّهم لفيف غيرهم ، ويدخل في هذا اللفيف عند الشيخ الأُسَر التي كانت تسكن الدرعية منذ عهدها الأول كآل دخيل وآل داوود وآل خميس وآل عثيم ، والغصاصمة وأُسر أُخْرى قديمة وطارئة ، أدخلهم الشيخ في حكم اللفيف ..

وأمانة المؤرخ أن يقول الحق ولا تأخذه العاطفة أو تذهب به الْعُنْصُرِيَّةُ الحمقاءُ ..

١٦ ـــ وجاء في صفحة (٣٧) من الجزء الثاني من «عنوان المجد» وتكررت أكثر من مرة أنَّ حوطة بني تميم تبعد عن الرياض مايتين وأربعين كيلاً .

والصحيح يا شيخنا أنها تبعد مئة وأربعين لا مئتين وأربعين .

١٧ ـــ وجاء في صفحة (٤٧ جـ ٢) عن وقعة (السبية) أنها سميت بهذا الاسم لكثرة ما وقع بها من السَّبْيِ .. وقد اتفق مع ابن بشر في ذلك مع أن التعليل غير صحيح فقد سميت السَّبِيَّة باسم نقا الرمل المسَّى بهذا الاسم شرق الدهناء وهي مشهورة وردت في شعر ذي الرمَّة وتسمية الوقعات باسم الأمكنة التي وقعت فيها شيءٌ معروف كوقعة بدر وأحد ووقعة السبلة وجراب والصَّرِيف وجُوْدة .. إلخ .

١٨ ـــ وجاء في صفحة (٨٩ جـ ٢) قول الشيخ : وقد حصل في الصَّريف المذكور وقعة سنة (١٣١٨ هـ) بين الإمام عبد الرحمن بن فيصل ومعه مبارك الصباح وبين محمد العبدالله الرشيد .. إلخ .

والصحيح يا شيخنا أن وقعة الصريف كان القائد الرشيدي فيها الأمير عبد العزيز بن متعب لا محمد آل عبدالله إذ أن محمد آل عبدالله قد توفي عام (١٣١٥ هـ) ووقعة الصريف عام (١٣١٨ هـ) .

ثم لو قال الشيخ : إن الوقعة كانت على مبارك الصباح ومعه عبد الرحمن آل فيصل وكان أصح إذ إنّ قيادة ذلك الجيش في هذه الوقعة بيد ابن صباح .

١٩ ــ وقال الشيخ في صفحة (٩١ جـ٢) : جبل شَمَّر هو المعروف في التاريخ ومعاجم البلدان بجبل طي عند أجأ وسَلْمَى .. إلخ .

وجبل شمر يا شيخنا هو أجأ وأحياناً يُثَنَّى ويُراد به أجأ وسَلْمَى ، فلا داعي للعندية هنا بحيث يكون جبل شمر شيئاً وأجأ وسلمى شيئاً آخر ..

ثم إن الشيخ سرد بلدان جبلي طيء وجعل منها ضَرْغَطاً وضريغطا[1] والنبوان والحائط والحويط .. الخ .

وهذه لا تُعَدَّ من جبلي طيّء وإن كانت تابعة لإمارته ، ففرقٌ بين التَّبْعِيَّة الإدارية والتبعية الجغرافية .

٢٠ ــ وفي صفحة (١٠٦ جـ٢) قال الشيخ عن قرية الحائر : إنها تقع في شعب فيه نخيل وزروع وآبار .. إلخ .

وفات الشيخ أنها تقع في وادي حنيفة ضمن البلدان والقرى التي يَمُرُّ بها حتى يصب في (الخرج) فقول الشيخ إنه شعب يوهم أن ذلك الشِّعْب مُستَقِلٌّ بذاته .

٢١ ــ وقع في عبارة الهمداني التي ساقها الشيخ في الحديث عن بلدة (سدوس) وقع فيها إرتباك في العبارة وتقديم وتأخير فاقتضى التنبيه .

٢٢ ــ وعلق الشيخ على قول ابن بشر : وفيها كانت وقعة الكيثال ، وهو موضع معروف بنجد علق على ذلك الشيخ بقوله : كذا في الأصل وصوابه الأكثال . ولا أدري من أين جاء الشيخ بهذا الصواب مع أن ما ذكره ابن بشر هو الصحيح فالأكيثال جبلان معروفان غرب (رمل السرة) بينهما وبين جبلي (ذقانين) أعرفهما ، يَمُرُّ طريق (بيشة) بينهما فتصحيح الشيخ هنا اقتضى التصحيح .

٢٣ ــ وفي صفحة (١٣) من كتاب «عقد الدرر» لابن عيسى علق الشيخ على هذا البيت :

وأشرف على وادي اليمامة قائلاً ودمعك سفَّاح على الخدّ والثَّدِي

---

(١) الصواب ضرغد وضريغد ، بالدال لا بالطاء (العرب) .

قال الشيخ : لو قال رحمه الله : (على النَّحْر والخد) لكان أولى .

وما علم الشيخ أنه لو قال هذا لَاخْتَلَّ رويُّ البيت ، عن سائر القصيدة ففرق بين الثدي والخدِّ في نظام الوزن .

٢٤ — وفي صفحة (٢١) من «عقد الدرر» علق الشيخ على (ساق الجواء) فقال : وهو مُنْفرد من جبال الجواء ومن جبال الوشم ومن صارات .. الخ .

ولعل الشيخ أراد ومن جبال (الموشَّم) وإلا فأَيْنَ الوشم من ساق الجواء ؟!

٢٥ — وفي صفحة (٥١) من «عقد الدرر» علق الشيخ علي قول صاحب هذا الكتاب : وفي هذه السنة شرع الإمام عبدالله الفيصل في بناء قصره الجديد المعروف في بلد الرياض ..

علق الشيخ على ذلك قائلاً : هو قصر المُصْمَك ، وهو القصر الذي هجم فيه جلالة الملك عبد العزيز على حامية ابن رشيد وعلى رأسهم عجلان بن محمد ، وأخرج الحامية واستولى على الرياض ..

والصحيح يا شيخنا أن قصر عبدالله بن فيصل الذي يعنيه المؤلف غير قصر المصمك فالمصمك الذي بناه ابن رشيد . أما قصر عبدالله فهو الواقع على شارع الثُّمَيْري بعد مدخل باب الثُّمَيْرِي بقليل ، وقد اختفى أثره في العمران الجديد .

وكنت قبل أذهب إلى ما ذهبت إليه وسجلته في كتابي «معجم اليمامة» حتى نبهني علي ذلك ثقات من شيوخ أهل الرياض ومنهم الأميرسعود بن هذلول ومحمد بن دهمش وغيرهم .

هذا ما اقتضى التنبيه على تحقيق الشيخ وتعليقه ، وهناك أَخْطاءٌ وقعتْ في أسماء الأعلام سواء كانت جغرافية أو غيرها وهناك أخطاء لغوية وتَصَوُّرَاتٌ وهمية يطول بنا الدرب لو ذَهَبْنَا نسردها ..

فعسى أن يتنبَّه لها الشيخ عند إعادة طبع الكتاب ..

وما أردت من هذه التنبيهات إلا محاولة المشاركة في تَصْفِيَةِ تاريخنا من بعض الأخطاء العالقة به والله ولي التوفيق ،

١٤٠٠/٧/٢٢هـ عبدالله بن محمد بن خميس

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

قرى بني مالك

جاءنا من الأخ أحمد بن عبد الرحيم المالكي ما ملخصه :

لقد قرأت بمجلتكم الغراء «العرب» تحت عنوان (قرى الطائف — وسكانها) للكاتب محمد الهلالي ص (٤١٩) العدد ج ٥ و٦ س ١٣ ذو القعدة والحجة سنة ١٣٩٨هـ عن قرى (بني مالك القريع) التي تبعد عن الطائف ٢٢٠ كيلاً تقريباً .

وحيث أنني من قراء هذه المجلة الذين يعتزون باقتنائها ومتابعة ما يرد بها من أخبار تراث هذا الوطن الغالي . فقد وجدت بعض الاختلاف والأخطاء في بعض أسماء تلك القرى الوارد ذكرها في العدد المشار إليه .. لذا ، أحببت إيضاح ذلك بالبيان المرفق ولا يفوتني أن أشير الى سبب تأخير هذه الملاحظة حتى هذا التاريخ وهو رغبة مني في جمع المعلومات الوافية الصحيحة وقد أضفت القرى التي لم يرد ذكرها في العدد المذكور .

قبائل بني مالك : تتفرع الى أربع قبائل :

١ — بني حرب . ٢ — بني علي . ٣ — أبالنُّعيم ، ٤ — بني عَمْرْ (بإسكان الميم)[1] ويتفرع من كل قبيلة من هذه القبائل أفخاذ صغيرة .

وتنقسم منطقة بني مالك السراة إلى منطقتين هما :

أ — حَدَاد بني مالك : وتقطن هذه المنطقة قبيلتا أبالنُّعَيم ، وبني عَمْرْ (عمرو) وبعض أفراد قبيلة بني عمر يقطنون تهامة .

ب — القُرَيْع بني مالك : وتقطن هذه المنطقة قبيلتا بني حرب وبني علي . وبعض قبائل بني حرب وبني علي يقطنون تهامة .

---

(١) تكتب (عمرو) للتفريق بينها وبين (عمر) بفتح الميم .

وأنا هنا بصدد تصحيح بعض أسماء القرى التي وردت خطأ مع إضافة القرى التي لم يَرِدْ ذكرها التابعة لمنطقة القرَيْع . وباسمائها الصحيحة . وأسماء الشيوخ[1] والقرى التابعة لهم :

العدد اسم القرية اسم القبيلة

١ — القُرَيع (مقر الإمارة) — بني علي .

٢ — الحمدة — بني علي .

٣ — القصرة — بني علي

٤ — القاضي — بني علي .

٥ — أيل هيف — بني علي

٦ — الجومان — بني علي .

٧ — أيل هادي — بني علي

٨ — الدعاملة — بني علي

٩ — الدارين — بني علي

١٠ — الحنانة — بني علي

١١ — الخباتية — بني علي .

١٢ — الزبرة — بني علي

١٣ — رماح — بني علي

١٤ — العتلة فيها مدرسة ابتدائية — بني علي

١٥ — لاجابر — بني علي

١٦ — الرفاعة — بني علي

١٧ — العشة — بني علي

١٨ — الْجَمَالْ — بني علي

١٩ — ايل أبو زيد — بني علي

---

(١) «العرب» حذفنا أسماء الشيوخ لأنهم يتغيرون .

٢٠ ــ المحاميد ــ بني علي
٢١ ــ الصفاء ــ بني علي
٢٢ ــ الحلوي ــ بني علي
٢٣ ــ الفراع ــ بني علي
٢٤ ــ كيد الأموال ــ بني علي
٢٥ ــ الشبان ــ بني علي
٢٦ ــ ايل بلال ــ بني علي
٢٧ ــ الملد ــ بني علي
٢٨ ــ قريش ــ بني علي
٢٩ ــ الجملان ــ بني علي
٣٠ ــ إيل هزاع ــ بني علي
٣١ ــ العبله ــ بني علي
٣٢ ــ الحده ــ بني علي
٣٣ ــ عتام ــ بني علي



٣٤ ــ الجريعاء ــ بني علي
٣٥ ــ الشلاء ــ بني علي
٣٦ ــ المقلع ــ بني علي
٣٧ ــ عفراء ــ بني علي
٣٨ ــ عُوَيَّا ــ بني علي
٣٩ ــ العسن ــ بني علي
٤٠ ــ قريظة ــ بني علي
٤١ ــ الخدب ــ بني علي
٤٢ ــ المروة ــ بني علي
٤٣ ــ الوهسة ــ بني علي
٤٤ ــ قملان ــ بني علي

٤٥ — أل مليحه — بني علي
٤٦ — حرِفْ — بني علي
٤٧ — المسالمة — بني علي
٤٨ — آل بلد — بني علي
٤٩ — الشمول — بني علي
٥٠ — المرازيق — بني علي
٥١ — آل سعد — بني علي
٥٢ — آل بشير — بني علي
٥٣ — جرداء بني عاصم (وفيها عدد من القرى في تهامة) وكل القرى التي تقدم ذكرها سكانها بنو علي.

أما قرى بني حرب فهي:

٥٤ — الخضارين
٥٥ — الحدب
٥٦ — الجنادله
٥٧ — النجمة
٥٨ — الرهوة
٥٩ — إبل عياش
٦٠ — النهاريين
٦١ — الأشرق فيها مدرسة متوسطة
٦٢ — الصفح
٦٣ — بني دحيم
٦٤ — الحنو
٦٥ — القرن
٦٦ — الربعة
٦٧ — الصخيرة

٦٨ ــ الزهرة

٦٩ ــ الجبابير

٧٠ ــ العازب

٧١ ــ المفاتيح

٧٢ ــ إبل خضر

٧٣ ــ الفرادسة

٧٤ ــ العبد الهادي

٧٥ ــ القطفان

٧٦ ــ الحورية

٧٨ ــ العاصد

٧٩ ــ القطره

٨٠ ــ الأصافرة

٨١ ــ القضاة وفيها مدرسة للبنين ومدرسة للبنات .



٨٢ ــ الدار

٨٣ ــ المعلاة

٨٤ ــ الكظامة

٨٥ ــ شعب صالح

٨٦ ــ الحديب

٩٧ ــ العين

٨٨ ــ الطوال

٨٩ ــ البشران .

وكتب إلى مجلة العرب الصديق الكريم الأستاذ يحي بن علي عكور من بيشة ما يلي :

ومن قرى بني مالك الْقَهَبْ .. وهو غير القهب الذي سبق ذكره في الجزء ين ٥ و٦ س ١٣ أما هذا القهب الذي نتكلم عنه فيطلق عليه قهب عبد الرحيم بن قواش ويقع على قمة جبل صغير ممتد من الجنوب إلى الشمال ، بطول كيلين ، في سفح هذا الجبل من

الجنوب قرية عطية أبو طلايب ، ويقع هذا الجبل شمال شرق قرية الحفرة .

القرية الثانية شعب بني دُحَيْم وهو شعب تحيط به سلسلة من الجبال من الجهة الشرقية والغربية الجنوبية ، ويطلق عليه شعب بني دحيم ، وهو أيضاً قريب من قرية الحفرة ، وبنو دُحَيْم هؤلاء من بني حرب ، وهم غير دُحَيْم الذين سبق ذكرهم في الجزء ين ٥ و٦ س ١٣ ، فدحيم الأولى من قبيلة أبا النُعيم بجيله ، وبنو دحيم هم الذين يضاف الشعب إلى اسمهم فيقال له شعب بني دحيم وهي حربية النسب وقبيلة بني حرب هم بنو ظُوَيْلمْ بالتصغير وآل ثواب وبنو دحيم وينقسمون إلى قسمين قسم منهم في الحجاز وقسم منهم في تهامة ويطلق عليهم بنو مالك التهم ولبني مالك سوق مشترك بينهم وبين زهران وهو سوق الحَجرة ويقام يوم الأحد دورياً ، ويجلب إليه كثير من الفواكه التي ترد اليه من الحجاز من القبيلتين زهران وبني مالك فمن هذه الواردات العنب بأنواعه والرمان والتين الذي يسمونه الحَماط والتين الشوكي ويطلق عليه البرشومي أو البرشوم والخوخ واللوز ومن الحبوب التي تجلب لهذا السوق الذره الصفرا وهي من أجود الحبوب وأنفعها أكلاً وألذها طعماً والحبشي الذي يطلقون عليه اسم حب العبيد والسَّيال والعدس والبُسَيْسَه بالتصغير والبر بأنواعه والشعير.. قُلت : البُرُّ بأنواعه اذ منه نوع يسمى العَسيرية وهو من أحسن الحبوب وأجودها ، وهذا النوع من الحنطة يجود في بلاد عسير أحسن من غيرها من البلاد الأخرى ولا أدري ما السر في ذلك وأظن أن العسيريين أعرف بوقت زرعه لأن وقت زرعه يتقدم عن وقت زرع الشعير ولا يصلح في العَثَرِيِّ بخلاف الشعير فإنه يصلح في المسقوي والعَثَرِيّ .

قبيلـة الـرَّيْث

قبيلة عربية أصيلة صريحة النسب من أشهر قبائل عسير ومع شهرتها أهملت فلم يذكرها أحد من المهتمين بالبحث في أنساب القبائل العربية حتى صاحب كتاب (قبائل عسير) لم يذكرها ولم يولها شيئاً من اهتمامه .

نسبها : هم بنو ريث بن عبدالله بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن

كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فهم من قبائل الأزْد من العرب القحطانية والنسبة إلى قبيلة الريث (ريثي) ذكر ذلك بن هشام في السيرة النبوية .

فروعها : ينقسم قبيلة الريث إلى خمسة أقسام رئيسية هي :

١ ـــ آل نجاد : والنسبة إليهم (نجادي)
٢ ـــ آل مسعود : والنسبة إليهم (مسعودي) .
٣ ـــ آل مشيني .
٤ ـــ آل حنش .
٥ ـــ آل سلم : والنسبة إليهم (سِلمي) بكسر السين .
وفيهم اليوم إمارة قبيلة الريث .

بلادهم : تقع بلادهم في بلاد عسير في جنوب المملكة العربية السعودية في ضواحي مدينة جيزان وحاضرة هذه القبيلة بلدة رجنة شمال شرق جيزان ويحدهم من الشمال بلاد (قحطان) ومن الجنوب (قبيلة الصهاليل) ومن الشرق قبائل (العزين) ومن الغرب قبائل (الحقْو) .

عبد الرحمن بن زبن العُتَيْبي
دوار سلام ـــ الرياض

المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أسبغ الابن الكريم عبدالله بن عبد الرحمن بن دهيش من مدرسة مراة المتوسطة أسبغ الثناء على مجلة العرب وعلى ما قرأ لصاحبها من أبحاث نشر بعضها في الجرائد اليومية وتمنى إعادة نشرها في المجلة وخص بالذكر (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) . وحول (مدينة جدة) .

وقد فعلت العرب ذلك . (البقية ص ٣١٤)

إمارةُ العُصْفوريّين
ودورها السياسيُّ في تاريخ شرق الجزيرة
— ٢ —

ملاحظتان تتعلقان بهذا البحث الممتع ، أولاهما أن لرئيس تحرير هذه المجلة رأي لا يتفق مع رأي كاتب ذلك البحث الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحمدان في إرجاع بني عامر الذين ينتمي إليهم العصفوريون إلى عامر بن صعصعة القبيلة الهوازنية المضربة المعروفة . بل إلى بني عامر من عبد القيس من ربيعة ، الذين عرفوا باسم (العمور) ثم (العماير) أخيراً ، وانتسبوا إلى بني خالد ، الذين قال فيهم أحمد بن مُشرَّف الشاعر الأحسائي :

ولا تَنْسَ جَمْعَ الخالِدِيِّ فإنَّهُمْ قبائل شَتَّى من عُقَيْلِ بن عامِرِ

آل عُبَيْد .. أمـراء التويـم

وكتب الأخ عبد المحسن بن سليمان بن عُبَيْد من بلدة التُّويم في سُدَيْر إلى «العرب» كتاباً حول ما جاء في جزء محرم ١٤٠٠ هـ منها عن بلدة التُّويم ، تعليقاً على ما جاء في كتاب «معجم اليمامة» وأن ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس عن أسرة (آل عُبَيْدٍ) ما هو إلا الحقيقة ، ويُشير إلى ما تتصف به هذه الأسرة الكريمة من محبة الخير والسعي له ، وغير ذلك من الصفات الحميدة . فلا غرابة في أن يتولوا في بلدتهم الإمارة فينالوا من تقدير آل سعود ما هم جديرون به وأشار الى كون تلك الأسرة عَنَزِيَّة النسب .

و«العرب» تكتفي بِنَشْر خلاصة ما كتب به الأخ عبد المحسن مُقَدِّرَةً له اهتمامه بما ينشر فيها . آملة أن تكون عند حسن ظنّه وظنّ جميع قرائها .

واستوضح الابن الكريم عن (الماوية) التي حدثت فيها الوقعة المعروفة أثناء غزو ابراهيم باشا البلاد في عشر الثلاثين من القرن الثالث عشر ويجد الجواب مفصلاً في الجزء التَّالي إن شاء الله مع ما هو جدير به من شكر على حسن ظنه .

وكذا القول بأن بني عُقَيل في النصوص التي أوردها الباحث الكريم هُم بنو عُقَيل العامريُّون الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة .

لقد نشأ عن اشتغال بني عقيْل الذين كانوا يحلون المنطقة الشرقية من المملكة وهي ما يعرف باسم البحرين قديماً — عن اشتغالهم بتجارة جلب الإبل والخيل من الجزيرة إلى الشام ومصر ، نشأ عن ذلك توسع في إطلاق الاسم حتى صار من القرن السابع فما بعده لا يراد به تلك القبيلة ، بل يُعْنَى به غالِباً أولئك التُّجَّار بصفة عامة .

وكل ما تقدم يستلزم كتابة بحث مفصَّل عن أنساب القبائل التي كانت تسكن شرق الجزيرة خلال الفترة التي تناولها الباحث الكريم بالحديث .

الملاحظة الثانية : سقط من البحث رسم يوضح تسلسل نسب الأمراء العصفوريين وتجد صورته في ص ٣١٦ .

« العـرب » والتطبيـع

لم يشرف صاحب المجلة على تصحيح تجارب الطبع ، بسبب سفره لحضوره (مؤتمر تاريخ بلاد الشام) ولهذا وقع في الجزء الماضي (تطبيع) يخل بالمعنى منه ما لا يستعصي على فهم القاريء ، ومن ذلك :

ص	س	خطأ	صواب
١	٧	لم نُحِسُّ	لَمْ نُحِسَّ
١	١٢	السواح	السُّيَّاح
٧	١٨	أخ حبيبنا	أخو حبيبنا
١٣٧	٩	تحرف القاف إلى جيما	تحرف القاف جيما

سقطت حواشي (ص ١٥٦) وهي :

(١) كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» ص ٣٧٠ .

أنساب الأشراف :

وطالعت القسم الثالث من كتاب «أنساب الأشراف» الذي حققه العالم الجليل الدكتور عبد العزيز الدوريُّ ، الذي أفضل بإتحافي بنسخة منه ، أثناء انعقاد (المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام) في عمان في جمادى الآخرة من هذا العام[1] . وقامت بنشره (جمعسة المستشرقين الألمانية) فجاء الحلقة (٢٨/٣) من سلسلة (النشرات الإسلامية) .

وتحقيق الكتاب وجودة طباعته أمران لا محل للحديث عنهما ، ومقام الدكتور الدوري في العلم أرفع من أن يجهل .

[بقية «العرب» والتطبيع] .

(٢) ص ١٢٧٧ والكتاب من منشورات (دار السامة للبحث والترجمة والنشر) .

سقطت حواشي (ص ١٥٧) وهي على التوالي :

(١) القسم الرابع — الجزء الأول ص ٦٢٢ .

(٢) قُدَيْدُ هو الوادي المعروف بقرب عُسْفان ، ووقعته حدثت في صفر سنة ١٣٠ (مئة وثلاثين) .

(٣) هو ابن عبد الملك بن مروان ، ممدوح القطامي في قصيدته :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّهَا الطَّلَلُ   وإنْ بليت وإنْ طالت بك الطِّوَلُ

(٤) روايَتُهُ في الورقة ٧٧٧

وَمِنْ دُوْنِ مَا مَنَّى أميَّة نَفْسَهُ   غِمَارُ حُتُوفٍ لَيْسَ يُرْجَى زَوَالُهَا

---

(١) أنظر «العرب» س١ ص ١١٢ وس ١٥ ص ١٥٨ .

إمارة العُصفوريين
ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة
— ٢ —

ملاحظتان تتعلقان بهذا البحث الممتع ، أولاهما أن لرئيس تحرير هذه المجلة رأي لا يتفق مع رأي كاتب ذلك البحث الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحمدان في إرجاع بني عامر الذين ينتمي إليهم العصفوريون إلى عامر بن صعصعة القبيلة الهوازنية المضرية المعروفة . بل إلى بني عامر من عبد القيس من ربيعة ، الذين عرفوا باسم (العمور) ثم (العماير) أخيراً ، وانتسبوا إلى بني خالد ، الذين قال فيهم أحمد بن مُشرَّف الشاعر الأحسائي :

ولا تَنْسَ جَمْعَ الخالِدِيِّ فإنَّهُمْ قبائل شَتَّى من عُقَيْلِ بن عامِرِ

آل عُبَيْد .. أمـراء التويـم

وكتب الأخ عبد المحسن بن سليمان بن عُبَيْد من بلدة التُّويم في سُدَيْر إلى «العرب» كتاباً حول ما جاء في جزء محرم ١٤٠٠ هـ منها عن بلدة التُّويم ، تعليقاً على ما جاء في كتاب «معجم اليمامة» وأن ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس عن أسرة (آل عُبَيْدٍ) ما هو إلا الحقيقة ، ويُشير إلى ما تتصف به هذه الأسرة الكريمة من محبة الخير والسعي له ، وغير ذلك من الصفات الحميدة . فلا غرابة في أن يتولوا في بلدتهم الإمارة فينالوا من تقدير آل سعود ما هم جديرون به وأشار الى كون تلك الأسرة عَنَزِيَّة النسب .

و«العرب» تكتفي بِنَشْر خلاصة ما كتب به الأخ عبد المحسن مُقَدِّرَةً له اهتمامه بما ينشر فيها . آملة أن تكون عند حسن ظنّه وظنّ جميع قرائها .

واستوضح الابن الكريم عن (الماوية) التي حدثت فيها الوقعة المعروفة أثناء غزو ابراهيم باشا البلاد في عشر الثلاثين من القرن الثالث عشر ويجد الجواب مفصلاً في الجزء التَّالي إن شاء الله مع ما هو جدير به من شكر على حسن ظنه .

وكذا القول بأن بني عُقَيل في النصوص التي أوردها الباحث الكريم هُم بنو عُقَيل العامريُّون الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة .

لقد نشأ عن اشتغال بني عقيْل الذين كانوا يحلون المنطقة الشرقية من المملكة وهي ما يعرف باسم البحرين قديماً — عن اشتغالهم بتجارة جلب الإبل والخيل من الجزيرة إلى الشام ومصر ، نشأ عن ذلك توسع في إطلاق الاسم حتى صار من القرن السابع فما بعده لا يراد به تلك القبيلة ، بل يُعْنَى به غالِباً أولئك التُّجَّار بصفة عامة .

وكل ما تقدم يستلزم كتابة بحث مفصَّل عن أنساب القبائل التي كانت تسكن شرق الجزيرة خلال الفترة التي تناولها الباحث الكريم بالحديث .

الملاحظة الثانية : سقط من البحث رسم يوضح تسلسل نسب الأمراء العصفوريين وتجد صورته في ص ٣١٦ .

«العـرب» والتطبيـع

لم يشرف صاحب المجلة على تصحيح تجارب الطبع ، بسبب سفره لحضوره (مؤتمر تاريخ بلاد الشام) ولهذا وقع في الجزء الماضي (تطبيع) يخل بالمعنى منه ما لا يستعصي على فهم القاريء ، ومن ذلك :

ص	س	خطأ	صواب
١	٧	لم نُحِسُّ	لَمْ نُحِسَّ
١	١٢	السواح	السُّيَّاح
٧	١٨	أخ حبيبنا	أخو حبيبنا
١٣٧	٩	تحرف القاف إلى جيا	تحرف القاف جيا

سقطت حواشي (ص ١٥٦) وهي :

(١) كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» ص ٣٧٠ .

شكل تخطيطي يبين نسب أمراء العصفوريين من بني عامر
رتبنا هذا الشكل التقريبي استنادا الى ما التقطنا من معلومات متناثرة
في بعض المصادر التي استندنا اليها في هذا البحث

- عامر
  - شبانه
    - قديمة
      - شبانه
        - جعاف
          - عمران
        - المقداد
        - عقيله
        - عقيله
          - سنان
            - المقداد
              - الحسين
                - موسى
                  - هلال
                    - محمد
                      - سرحان
                        - ابو عاصم
                    - عصفور
                      - مانع
                        - معمر
                          - يحي
                            - هلال
                        - محمد
                        - راشد
                          - احمد
                        - حسين
                          - موسى
                            - هلال
                        - عظيم
                          - حسن
                        - زيد
                        - بدران
                          - مانع
                          - ماجد
                            - كلبي [كليب]
                              - ماجد
                    - ماجد
                      - علي
                        - مانع
            - عميرة
              - راشد
            - المقيدي
              - احمد
                - محمد
        - السبيع
        - داود ابو ضبه

رسم تسلسل الأمراء العصفوريين

☐ **أنساب الأشراف** :

وطالعت القسم الثالث من كتاب «أنساب الأشراف» الذي حققه العالم الجليل الدكتور عبد العزيز الدوريُّ ، الذي أفضل بإتحافي بنسخة منه ، أثناء انعقاد (المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام) في عمان في جمادى الآخرة من هذا العام[1] . وقامت بنشره (جمعسة المستشرقين الألمانية) فجاء الحلقة (٢٨/٣) من سلسلة (النشرات الإسلامية) .

وتحقيق الكتاب وجودة طباعته أمران لا محل للحديث عنهما ، ومقام الدكتور الدوري في العلم أرفع من أن يجهل .

[**بقية «العرب» والتطبيع**] .

(٢) ص ١٢٧٧ والكتاب من منشورات (دار السمامة للبحث والترجمة والنشر) .

سقطت حواشي (ص ١٥٧) وهي على التوالي :

(١) القسم الرابع — الجزء الأول ص ٦٢٢ .

(٢) قُدَيْدُ هو الوادي المعروف بقرب عُسْفان ، ووقعته حدثت في صفر سنة ١٣٠ (مئة وثلاثين) .

(٣) هو ابن عبد الملك بن مروان ، ممدوح القطامي في قصيدته :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّهَا الطَّلَلُ   وإنْ بليت وإنْ طالت بك الطِّوَلُ

(٤) روايَتُهُ في الورقة ٧٧٧

وَمِنْ دُوْنِ مَا مَنَّى أميَّة نَفْسَهُ   غِمَارُ حُتُوفٍ لَيْسَ يُرْجَى زَوَالُهَا

---

(١) أنظر «العرب» س١ ص ١١٢ وس ١٥ ص ١٥٨ .

والجزء يحوي أخبار العباس بن عبد المطلب وولده . وقد جاء ـــ بفهارسه المفصلة ـــ في ٣٨٨ صفحة ، وصدر في عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) بطباعة (المطبعة الكاثولوكية) في بيروت .

☐ الزاهر في معاني كلام الناس :

محمد بن القاسم الأَنْبَارِيُّ (٢٧١ ـــ ٣٢٨هـ) من أئمة اللغة والأدب ، حنبليُّ المذهب ، له مؤلفات في علوم القرآن والحديث واللغة والأدب ، منها كتاب «الزاهر في معاني كلام الناس» ـــ أي الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودُعَائِهم ، وهم غير عالِمِيْنَ بمعنى ما يتكلمون به من ذلك ، وما تستعمله العوامُّ في أمثالها ومحاوراتها من كلام العرب ، وهي غير عالمةٍ بِتَأْوِيْلِهِ .

وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ الجليل الدكتور حاتِم صالح الضَّامن ، فقدم له بدراسة عن المؤلِّف والمؤلَّف ، وعن حركة التأليف في الأمثال ، وعن الطريقة التي سار عليها في التحقيق ، جاءت تلك الدراسة في ٧٨ صفحة وست ورقات مصورة .

ووقع أصل الكتاب في جزءين ، صفحاتها (٦٦٢ + ٦٦٠) = ١٣٢٢ . سوى المقدمة .

وقد استغرقت الفهارس المفصلة (من ص ٤١٥ إلى ٦٦٠) : ٢٤٥ صفحة من الجزء الثاني .

وجُهْدَ المحقق الفاضل يَبْدُو لا في كل صفحة تزدان بتعليقاته وإضافاته ، بل في كل جملة من جمل الكتاب ، حتى برز بخير ما ينبغي أن يَبْرُز به من الصُّور ، إتقاناً وضَبْطاً ، وحُسْنَ إخراج .

وقامت (وزارة الثقافة والإعلام) العراقية بنشر الكتاب ، فجاء الحلقة الـ(٢٦) من سلسلة (كتب التراث) .

وطبع في بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) بمطابع المؤسسة الوطنية للصحافة والطباعة والنشر .

□ **عالم الكتب :**

استهل مؤسسا مجلة «عالم الكتب» التي صدر جزؤها الأول في رجب ١٤٠٠ هـ (مايو ١٩٨٠ م) استهل المؤسسان الكريمان الأستاذان عبد العزيز الرفاعي وعبد الرحمن المعمر فاتحتها بالقول : (فقد أردنا بإصدار هذه المجلة أن نوفّر لعشاق الكتب — بعد ازدهار حركة التأليف في كتابنا خاصَّة ، وفي البلاد العربية عامة — أن نُوَفِّر لهم مجلةً متخصصة ، تُعْنَى بالكتب ، تلاحق أخبارها وتقدّم قِيِّمَهَا ، وتعرف بها وبمؤلِّفِيْهَا وتنقد ، وتقوِّم ، وتَرْصُد ، وتُسَجِّل ، وتُفَهْرِسُ ، لا تحصر نشاطَهَا في المجال الْمَحَلِّي ، وإن كانت تني[1] به في المحلّ الأول بل تَمدُّ نشاطها إلى المجال العربي ، ثم العالمي ، كلما وسعها إلى ذلك سبيل)

ومن يمن طالع هذه المجلة أن يتولى رئاسة تحريرها الأستاذ يحيى محمود ساعاتي خَيّرٌ من أعرفه مِمَّنْ تَمَرَّس بِالْوِرَاقَة وخبرها منذ نعومة أظفاره .

وقد حوى — الجزء الأول فيما حوى — بعد مقدمتي المُؤَسِّسَيْن ورئيس التحرير من الموضوعات :

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — أسعد سليمان عبده .

رسائل جامعية عن المملكة :

إرشاد الساري إلى اختصار صحيح البخاري (مخطوط) — عبد العزيز المسفر .

الزمن الرابع في المملكة — أحمد عبد القادر المهندس كتب حديثة .

(ببليوجغرافيا) التاريخ الطبيعي للمملكة — جعفر إبراهيم التاي .

فهرس المطبوعات الحكومية — ناصر بن محمد السويدان .

معجم المسرحيات العربية والمعربة — يحيى محمود ساعاتي .

اليد السفلى — مجموعة قصصية — مراجعة عبد العزيز الرفاعي .

---

(١) لعل الصواب (تعنى به) .

أخبار موجزة من عالم الكتاب .
كشاف الدوريات (مجلة الاشعاع) . مع الكتاب بالراحلين ــ عن محمد حسن عواد ومحمد طاهر كردي ــ رحمهما الله ــ .

ثم الكشاف وهو فهرس مفصل لما ورد في الجزء من الأسماء أو عناوين الموضوعات ، بطريقة شاملة تدل على الدقّة في العمل مع إتقانه .

والطباعة حسنة من حيث الورق والحروف بمطابع الفرزدق في الرياض . والناشر (دار ثقيف للنشر والتأليف) . وصفحات الجزء (١٤٢) من القطع الكبير .

☐ **الشباب ، دراسات ولقاءات** :

وجاءت الحلقة الـ (٣١) من سلسلة الكتب التي يشرف على إصدارها معالي الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي بعنوان (المكتبة الصغيرة) كتاب «الشباب : دراسات ولقاءات» تأليف فضيلة الأستاذ أحمد محمد جمال عضو مجلس الشورى والمدرِّس في جامعة الملك عبد العزيز ، وقد أجمل مؤلفه محتواه في المقدمة بأنه يحوي فصلين الأول : لخص فيه آراء بعض العلماء المسلمين حول الشباب لتقويمه وإصلاح سلوكه . والفصل الثاني : تحدث فيه عن لقائه بالشباب في ندوات أُقيمت من أجله ، وطرحت بعض المشكلات المتعلقة بالشباب فكان للمؤلف حولها آراء وأحاديث .

وجاء هذا الكتاب في ١٣٢ صفحة على نمط سابقه من الحلقات . مطبوعاً بمطابع الروضة في جدة ، ولم يحدد زمن الطبع .

☐ الجامعة العربية :

إذا تحدث الأستاذ أحمد الشقيري السياسي المعروف (توفي هذا العام) عن (الجامعة العربية فإنه يتحدث عن علم تامٍّ ، ولهذا فكتابه «الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تُصْبِحُ عربية»؟

يُعَدُّ من أوثق الدراسات وأوفاها في موضوعه . وقد جاء في (٤٠٨) من الصفحات ، بطباعة حسنة ، وصدر عن (دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع) في تونس ، عام ١٣٩٩ (١٩٧٩م) .